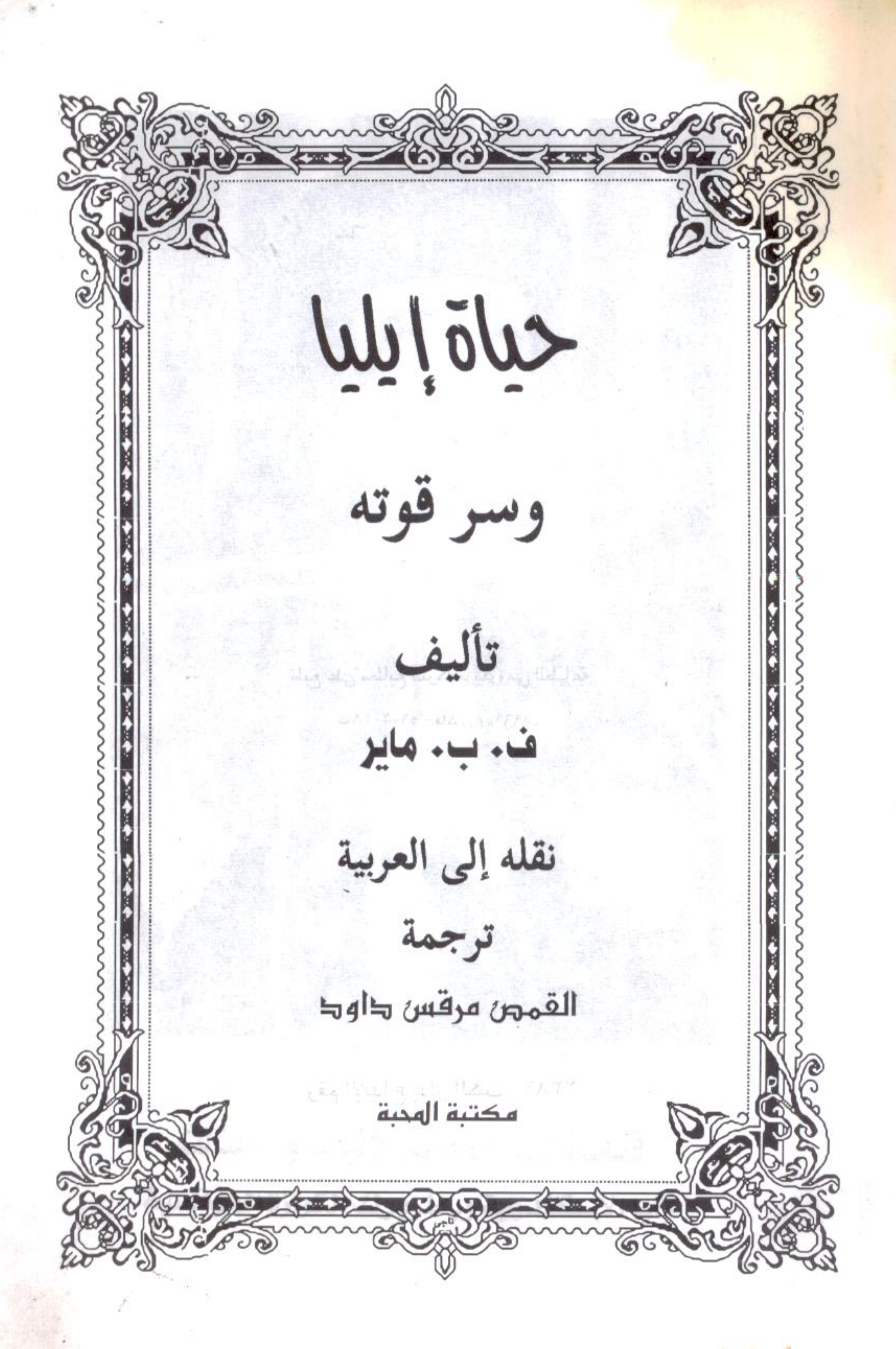

حياة إيليا
وسر قوته
ترجمة
القمص مرقس داود
ف.ب. ماير
مكتبة المحبة
https://coptic-treasures.com/



حياة إيليا

وسر قوته

تأليف

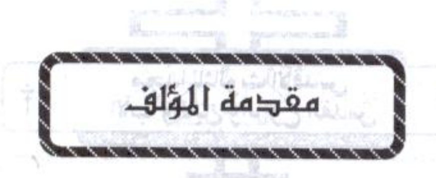
ف. ب. ماير

نقله إلى العربية

ترجمة

القمص مرقس داود

مكتبة المحبة



مقدمة المؤلف

قد يتهمنى بعض القراء بالتهور لدى محاولة تصوير حياة إيليا - ذلك البطل العظيم جدا بين عامة البشر - الذى لا وجه لمقارنتنا به قط، لبعد الشقة بيننا وبينه؛ لكن عذرى فى ذلك، يتضح مما رددته مرارا فى الصفحات التالية؛ من أن حياة هذه الشخصية العظيمة، تعزى إلى حلول الروح القدس، الذى لا يزال فى مقدور جميع الذين يؤمنون ويطيعون.

إن ألزم ما تحتاجه كنيسة اليوم، هى القوة الروحية، وهذه أسهل ما يمكننا الحصول عليه، إن كنا مستعدين لدفع الثمن.

لا يجدينا شئ قط، إن كنا نصرخ يائسين: «أين هو الرب إله إيليـا؟؟» هو هنا؛ وهو مستعد أن يفعل اليـوم كما فعل فى القـديم مع أولئك الأبطال القديسين؛ فلنقـتد بإيمانهم، ولنقف كما وقـفوا فى حضرة الله، مستعدين لإتمام أصغـر وصية أو أمر من أوامره؛ وبذلك نكون أتباع أولئك الذين، بالإيمان والصبر، ورثوا المواعيد.

ف. ب. ماير



مقدمة المعرب

كان للترحيب العظيم ، والتقدير السامى ، اللذين قـوبلت بهما الحلقتان الأولى والثانية من سيـر أبطال الكتاب المقـدس عن «حياة يوسف» و «حـياة إبراهيم»، حـافزا لى على موالاة تـعريب باقى حلقات السلسلة، على قدر الاستطاعة. وهنا أنا أقدم الحلقة الثالثة عن «حياة إيليا»، مبتهلا إلى القدير أن يحقق بها الغاية المرجوة.

كان «إيليا» إنسانا تحت الآلام مثلنا، ولكن لأن حياته سلمت لله تسليما كاملا، ولأنه كان متحققا دواما من أنه ماثل فى حضرة الله، فكثيرا ما كان يردد القول «حى هو الرب الذى أنا واقف أمامه»، ولأنه كان ممتلئـا من الروح القدس؛ لهذا، فقـد أتيح له أن يقوم بنهضـة روحية قوية، ويلاشى كل أثر لعـبادة الوثنية التى دنست البلاد بنجاستها، ويرمم مذابح الله المتهدمة.

والكنيسة اليوم - فى مـصر وفى كل العالم - فى أشد الحاجة إلى نهضـة روحية قوية، إلى هدم الأصنام التى أقامها العـالـم وشيدتها الشهوة، إلى ترميم مـذبح الله فى قلوب الأفراد، ووسط العائلات، وفى الكنيسة.

وكمـا أتيح لرجل واحد، أن يقـوم بكل تلك الأعمـال الجليلة فى القديم؛ فأحـرى بنا ، ونحن نعيـش اليوم فى نور الإنجـيل وقوته، أن يوجـد بيننا أمثـال إيليا، بل وأعظم من إيليـا، لأن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، وقوته لم تنقص ولم تحد.

ترى؛ هل تكون هذه السيرة سببـا فى خلق إيليا آخر اليوم؟ ليس لدى الرب مانع عن أن يخلص بالقليل، كما بالكثير. فليـبارك إلهنا فى هذا المجهود الضعيف، وليستخدمـه لإشعال نار الغيرة فى قلوب الكثيرين، لتمجيد اسمه القدوس فى كنيسته إلى أبد الدهور . . . آمين.

القس مرقس داود

طبعة ثانية { يوليو ١٩٤٢ / أبيب ١٦٥٨

طبعة ثالثة { يونية ١٩٦٦ / بؤونه ١٦٨٢



مصدر قوة إيليا (١ مل ١٧)

يبدأ هذا الإصحاح بحرف العطف «و»؛إذا، فهو إضافة لما سبقه، وهذه الإضافة هى إضافة الله، وعندما نتأمل فيما ورد فى هذا السفر (ملوك الأول)، حتى نهاية الإصحاح السابق، الذى يصور لنا الحالة المحزنة، التى وصلت إليها الأسباط العشرة، وكيف سادتها العبادة الوثنية بشكل عام؛ قد نتخيل بأن هذه هى نهاية الأمر، وأن عبادة الإله الحى، لن تسترد مكانتها الأولى، وقوتها السابقة. ولا شك فى أن أبطال الرواية، كان يسودهم هذا الاعتقاد؛ هذا ما اعتقده أخاب وإيزابل، الأنبياء الكذبة، بل، والبقية من جماعة أولاد الله الأمناء، الذين كانوا قد تشتتوا مخبئين.

ولكنهم أسقطوا من حسابهم أمرا جوهريا، إنهم قد نسوا الله نفسه؛ ففى أزمة خطيرة كهذه، كان ينبغى أن يقول الله كلمته، يجب أن يضيف بعض إصحاحات أخرى، قبل أن تختم الرواية، عندما يأتى البشر آخر ما عندهم من الشر، فحينئذ؛ يحين الوقت لله، ليبدأ عمله. وعندما يبدأ الله عمله، فإنه يستطيع، بأبسط الوسائل، أن يقلب رأسا على عقب، كل ما عمله البشر من دونه، ويسطر بعض الصحائف فى تاريخ البشرية، لتكون درسا ثمينا، وهدى لكل الأجيال القادمة.

إن هذا الحرف «و»، مرعب جدا لأعداء الله، ولكنه ملئ بالرجاء، والمواعيد الأكيدة، لأولاده الأمناء.

كانت الظلمة حالكة فى تلك الأيام؛ فإنه بعد موت سليمان، انشقت المملكة إلى قسمين، وصار الجزء الجنوبى، من نصيب رحبعام ابنه، والشمالى تحت حكم يربعام، الذى كان يشرف على أعمال عامة، متسعة المدى . وكان يربعام، حريصا كل الحرص، على ألا يفلت شعبه من تحت نفوذه، وسلطانه، وكان يخشى أن يفقد هذا النفوذ، إذا استمر الشعب فى الذهاب إلى أورشليم، مرتين، أو ثلاث مرات فى السنة، فى الأعياد السنوية، وظن أن العشرة القديمة، قد

تزعزع ولاءهم الحديث له. من أجل هذا، عزم على إقامة عبادة يهوه فى بلاده؛ فبنى هيكلين، أحدهما فى دان، فى أقصى الشمال، والآخر فى بيت إيل، فى أقصى الجنوب، وفى كل منهما؛ وضع عجلا ذهبيا، حتى يعبد إله إسرائيل، فى شكل عجل، يأكل الحشيش.

كانت هذه الخطية، نقضا للوصية الثانية، التى حرمت على بنى إسرائيل، عمل أى تمثال منحوت، أو السجود أمام أية صورة مما فى السماء، من فوق، وما على الأرض، من تحت، ويا لها من خطية شنيعة، تلك التى سقط فيها شعب الله، والتى طالما صورها لنا الكتاب من بشاعتها، من حين لآخر؛ وكم مرة نسمع، دوى ذلك الصوت المرعب، يرن فى آذاننا: «يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ».

وبعد تقلبات عديدة، وسفك دماء كثيرة، انتقل الملك إلى رجل حربى خطير، هو (عُمْرى)، وهذا ولد أخآب، الذى قيل عنه، إنه زاد فى العمل، لإغاظة الرب إله إسرائيل، أكثر من جميع ملوك إسرائيل، الذى كانوا قبله (١ مل ١٦:٣٣). على أن ازدياد شر هذا الملك، (آخآب) لا يرجع إلى ازدياد فساد طبيعته، بل إلى ضعفه المتناهى؛ فقد كان آلة فى يد امرأة شريرة ، ماكرة، حمقاء، قاسية. ولعل بعضا من أشر الجرائم التى ارتكبت على وجه البسيطة، قد تمت على أيدى أشخاص ضعفاء، بتحريض من شخصيات مجرمة، أثيمة، أقوى منهم.

عندما تركت إيزابل، الشابة الجميلة، قصور مدينة صور العظيمة، لكى تكون زوجة لملك إسرائيل الجديد، كان يظن أن هذا الزواج، توفيق عظيم؛ فقد كانت صور ملكة البحار، فى أوج عزها ومجدها، انتشرت مستعمراتها على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، حتى وصلت إلى اسبانيا، وملأت سفنها كل البحار، والمحيطات، حتى تجاسرت على الوصول إلى شواطئ بلاد الإنجليز الجنوبية الغربية، لطلب القصدير. أما أختها قرطاجنة، فكانت تفاخر بأنها هى التى أبرزت هانيبال إلى ميدان السياسة العالمية، وبأنها استطاعت أن تدخل الرعب فى قلب روما نفسها.

على أن ذلك الزواج، مع الأسف الشديد، كان سبب بؤس وشقاء، ونذير شؤم وخراب، كغيره من الزيجات التى تبدو فى أعيننا جميلة، وموفقة؛ إذن، فلا يمكن أن يكسر أحد وصية الله الصريحة، التى تقضى بعدم الاقتران بأى شخص لا يعرف الله، دون أن يشرب مرارة العلقم فى النهاية.

ولعل إيزابل، قبل أن تغادر بيت أبيها فى صور، قد أوصاها بشدة، الكهنة الذين تربت على أيديهم، والذين لأجل هذا، كان لهم سلطان واسع المدى عليها، لكى تبذل كل ما فى وسعها، لتنتشر فى إسرائيل، ديانة بلادها البغيضة، لهذا؛ نراها لا تتردد، ولا تتباطأ، فى تلبية هذا النداء. فإنها فى بداية الأمر، يظهر أنها شيدت مذبحا لعشتاروث، بجوار يزرعيل، مقر القصر الخاص لسكن الملك، وكانت تعول كهنته الأربعمائة والخمسين، من مالها الخاص.

بعد ذلك، شيدت هى وأخآب، مذبحا للبعل فى السامرة، وهى عاصمة المملكة، وكان ذلك المذبح، متسعا جدا، يكفى للكثيرين من العابدين (٢ مل ١٠:٢١). من ثم، بدأت الهياكل الوثنية، تشيد فى كل أرجاء المملكة. أما مذابح الإله الحى، كمذبح الكرمل، فكانت قد تهدمت، واكتظت الأرض بأنبياء البعل، وعشتاروث، الذين كانوا يفخرون بما لهم من الحظوة لدى البلاط الملكى، ويتيهون عجبا بسبب السلطة التى انتقلت إليهم فجأة، مع سفالة أخلاقهم، وانحطاط مستوى حياتهم الأدبية.

ومن ثم، اشتعلت نيران الاضطهاد بقسوة وعنف، وأغلقت مدارس الأنبياء، وطلع القريس فى دورها. أما الأنبياء أنفسهم، فكانوا يطارَدون ويُقتلون بحد السيف، و «يطوفون فى جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين، مذلين»، وبلغ الاضطهاد أشده، حتى أن عوبديا الصالح، وجد مشقة جسيمة فى انقاذ البعض منهم، بإخفائهم فى مغارات جبل الكرمل، وإعالتهم، وهو يعلم أنه بذلك، يعرض حياته لخطر الموت.

وهكذا، بدت الأرض كلها مرتدة عن الله؛ فمن كل ألوف وربوات إسرائيل، لم يبق سوى سبعة آلاف ركبة، لم تجث لبعل، وحتى هؤلاء، كانت حياتهم مشلولة بسبب الخوف، فإنهم كانوا منزوين، لدرجة أن إيليا نفسه، لم يشعر بوجودهم فى ساعة وحدته.

كثيرا ما مرت على العالم عصور مظلمة، كهذا العصر، سادت فيها الأديان الكاذبة، والمعتقدات الفاسدة، وامتلأ قلب بنى البشر فيهم بفعل الشر، وبردت محبة الكثيرين؛ هذا ما حصل فى آسيا الصغرى، عندما اكتسحها الأتراك، وفى أوربا، فى العصور الوسطى. هذا ماحصل أيضا فى القرن الماضى، عندما سادت عقيدة الاعتدال على اسكتلندة، وعقيدة عدم المبالاة، على إنجلترا.

على أن الله لا يمكن أن يعدم وسيلة لإيقاف هذا التيار؛ قد تسود الخطية كل البلاد، وقد يبدو كأن مصابيح الشهادة للحق، قد انطفأت كلها، وقد تتجمع كل القوات العالمية ضد الحق، وقد يظهر أن المؤامرات التى حاكها الشيطان ضد أولاد الله، أو ضد عمل الله، على وشك النجاح النهائى. ولكن؛ ربما يكون الله يدرب، ويعد أحد الأشخاص الضعفاء، فى قرية حقيرة، مجهولة، كل تلك المدة الطويلة الماضية، وفى وقت الحاجة الشديدة، يبرزه إلى العالم. وفى ذلك؛ يكون أبلغ رد على مؤامرات أعدائه، «عندما يأتى العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩:١٩)، هذا ما حصل، وهذا هو نفس ما يحصل.

كان إيليا من مستوطنى جلعاد. تقع جلعاد شرقى الأردن، وكانت مقفرة، تغطى جبالها الغابات الكثيفة، ولا يقطع حبل الصمت فى خلواتها، سوى صوت اندفاع المياه على الجبال، ويرتاد أوديتها الوحوش الكاسرة. أما سكان جلعاد؛ فقد امتزجت طبيعتهم بطبيعة بلادهم، فكانوا خشنى الطبع، شاذين فى الأخلاق، لأنهم سكنوا القرى الحجرية الخشنة، يقتاتون من رعاية الأغنام.

نشأ إيليا صبيا فى تلك البلاد، كباقى الأولاد فى جيله، وربما كان فى صباه، يشتغل برعاية الأغنام، على تلك الجبال الجرداء، وعندما صار رجلا؛ كان يمتاز عن سكان الأودية والسهول، بقوة عضلاته، وعباءته التى من وبر الإبل، وطول قامته، واستقامتها، وساعده المفتول، وقوته البدنية، التى مكنته من أن يسبق الخيل فى المركبة الملكية، كما مكنته من تحمل المتاعب والمشقات البدنية. على أنه لم يتفوق فى هذه الامتيازات عن زملائه، الذين نشأوا معه على جبل «تشبه»، الذى انتسب إليه فيما بعد، ولقب بـ «التشبى». فقد كان فيهم من يجاريه فى القوة البدنية، وسرعة الحركة، والقدرة على احتمال المشقات، لهذا؛ فلا يسوغ أن نظن، بأن هذه الامتيازات، كانت هى سر قوته.

ولما تقدمت به الأيام، امتاز بغيرة دينية فائقة؛ فقد امتلأ «غيرة للرب إله الجنود». وإذ تعمق فى دراسة الأسفار المقدسة، خصوصا، تلك الفقرات التى تنبئ كيف صنع الرب لشعبه فى القدم، فقد كان يود من كل قلبه، لو أن شعبه أعطى الإكرام اللازم له. وعندما علم أنهم لم تصدر عنهم، إلا الإهانات المتكررة لله، إذ كانت تتلى عليه الأخبار، بين آونة وأخرى، عما كان يحصل فى عبر الأردن، ويأتيه الرسول مخبرا إياه، بما كانت تفعله إيزابل، نحو هدم

مذابح الله، وقتل أنبياءه، واستبدالهم بالأنبياء الكذبة، والعبادة الباطلة، التى أتت بها من صور، كان يحتدم غضبا، وتشتعل نيران الغيرة فى قلبه، «ويغار غيرة للرب إله الجنود».

إيه أيتها النفوس الكريمة! ليتنا جميعا نمتلئ غيرة، ونحتدم غضبا، بسبب شرور جيلنا الحاضر، ليتنا نحصل على جذوة من تلك النيران، التى كانت تتقد فى صدر إيليا.

ولكن، ما العمل؟ وكيف كان ممكنا لشخص كهذا - خشن الملمس - وخشن الطبع، تربى فى البرارى والقفار - أن يفعل؟ لم يكن أمامه سوى أمر واحد يعلمه، وهو ما تلجأ إليه كل النفوس المجربة، المثقلة. كان أمامه أن يصلى، وهذا ما فعل؛ فإنه «صلى صلاة» [١] (يع ٥:١٧). ويظهر أنه فى صلاته، مَثَّل أمامه ذلك التهديد الذى نطق به موسى، منذ أجيال مضت، مهددا شعبه، بأنهم؛ إن ابتعدوا عن الله، وعبدوا آلهة أخرى، اشتعل غضب الرب عليهم، وأغلق السماء عنهم، فلا تعود تعطى مطرا (تث ١١:١٧).

ولعله، تحت تأثير هذه العوامل، ناجى نفسه بهذا الحديث قائلا:«إن كان إلهى لا يتمم هذا التهديد، فقد يظن الشعب أنه كلام لغو أو أن الكتاب خرافة من خرافات العصور الماضية، ولكى لا تتسرب هذه الأوهام إلى عقولهم، فخير للأرض أن تذوق مرارة المجاعة، ويتضور الشعب جوعا، ويتحرق عطشا، وأنحنى أنا شخصيا تحت عبء هذه المجاعة. خير لنا أن نرزح تحت أشد الأهوال المادية التى تعطل تقدم كل البلاد، من أن ننتهى أخيرا إلى هذه النتيجة المرة، وهى أن يعتقد الشعب أن إله آبائنا لا يفرق شيئا عن آلهة الأمم». ولهذا، فقد أقام نفسه للصلاة، لكى يتم ذلك التهديد المرعب حرفيا. «صلى صلاة (أو بحرارة) ألا تمطر».

ويا لها من صلاة مرعبة، ولكن؛ أليس أمرا أشد رعبا، وهولا، أن ينسى الشعب إله آبائهم، ويتجاهلوه، ويستسلموا لعبادة البعل، وعشتاروث، بما فيها من نجاسات وأقذار؟ تذكر أيضا، سلسلة الآراء الخاطئة، التى كانت لابد أن تستخلص، فيما لو سكت الرب نهائيا عن حالة كهذه. فهل هناك أخطر من أن يظن، بأن الكتاب المقدس، مشحون بشرائع، لا يستطيع المشرع أن يتممها، أو يتردد فى تنفيذها؟ «هذه صنعت وسكت، ظننت أنى مثلك. أوبخك وأصف خطاياك أمام عينيك» (مز ٥٠:٢١).

---

[١] «صلى صلاة حارة» حسب الترجمة الانكليزية.

إن مصيبة الآلام الجسدية، أخف هولا، من مصيبة الانحطاط الأخلاقي، ومحبة الله، لا تتردد عن إيقاع آلام كهذه، إن رأت أن في ذلك صدا لتيار الخطية.

لعل هذا، هو السبب في كثرة أحزانك أيها العزيز. إن كنت ترزح تحت أعباء جفاف شديد، ان يتلف الأخضر واليابس، ويلاشي كل ثروتك، إن كنت قد حرمت أياما طويلة، من ندى النعمة، ومطر البركة؛ فاعلم بأن ذلك، ليس وليد الصدفة، بل هو، تدخل يد ذاك الذي أحبك، إلى المنتهى، فلم يسمح لك، بأن تركه نهائيا، قبل أن يبذل معك آخر مجهود، لعلك تقف عند حدك، وترجع إليه. وإن كان حقل قد أُحرِقَ، فلأنه يريد أن يردك إليه (٢ صم ١٤:٣٠)، وإن كان الجفاف قد سمح به الرب، فلأجل ترميم المذبح على جبل الكرمل، وإبادة الأنبياء الكذبة في الوادي.

عندما كان إيليا يصلي، كان واثقا أن صلاته، لابد مستجابة، وأنه لابد من أن يذهب إلى أخآب ليعلمه بالأمر. ومهما تعرضت حياته للخطر، فلابد أن يبين للملك، وللشعب، العلة الحقيقية، للمصيبة التي حلت بهم. وهذا ما أدركوه بالفعل، كما سنرى فيما بعد (١ مل ١٨:١٠)، أما أن الجفاف حصل بسبب صلاة إيليا، فهذا أيضا واضح من كلمات إيليا الصريحة، التي أعلن بها الحقيقة للملك «لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي» (ع١).

ويا له من لقاء خطير، ذلك الذي تم بين إيليا والملك. نحن لا نعلم أين تمت المقابلة، أكانت في قصر الصيف، وبجانب أخآب وإيزابل الملكة، أو عندما كان كبار رجال الدولة يحيطون به في السامرة؟ ومهما كان المكان الذي تمت فيه المقابلة، فإنها كانت تحتاج إلى منتهى الحكمة، والذكاء؛ فقد وقفت الديانة القديمة ضد الجديدة، وقف ابن الطبيعة، ضد ابن القصور، وقف لابس وبر الجمال، ضد لابس الحرير، وقفت القوة الأدبية، أمام الضعف الأخلاقي.

لم تكن هذه المقابلة تحتاج إلى مجرد القوة الأدبية العادية؛ فإنه لم يكن يسيرا على ابن الصحراء، غير المصقول، غير المتعلم، أن يتقدم لمهمة كهذه، في ذلك القصر الذي تحف به المهابة، والعظمة، لأنه لم يكن هنالك أقل أمل في النجاة. يقينا، أن نصيبه لا يمكن أن يكون أوفر حظا، من أولئك الأنبياء، الذين لم يتجاسروا، بأن يفعلوا مافعله إيليا. ورغم كل

ذلك، فقد توجه إلى القصر الملكى، وخرج منه سالما؛ إذ كان متسلحا بتلك القوة التى لن تقهر.

إذن؛ فماذا كان سر تلك القوة؟ إن قلنا، بأنها ترجع إلى مؤهل غريزى، انفرد به إيليا، كقوة طبيعية، أو صفة نفسية ممتازة، لايحق أن يطالب بها عامة البشر، لحقَّ لنا أن نصمت، ونكف عن السؤال، ولا نفكر فى الوصول إلى سمو تلك القوة، التى تهزأ بنا. أما إذا تبين لنا – كما أعتقد – أن إيليا لم يصل إلى تلك الحياة السامية، بسبب بعض الصفات الغريزية، بل بسبب مصادر القوة، التى هى فى مقدور أضعف أولاد الله، الذين يقرأون هذه السطور، لوجدنا فى كل سطر منها، هدى وإرشادا، ودعوة خاصة، للوصول إلى مستوى تلك الحياة المجيدة. إذن.. فتشجعوا أيها الإخوة، لأنه لم يكن فى حياة ذلك البطل، ما لا يمكن تحقيقه فى حياتنا، إذْ؛ تبين أن قوت،ه كانت مستقاة من المصادر التى لا زالت فى مقدورنا.

لم يكن سر قوة إيليا، راجعا إلى شخصه، أو إلى الوسط الذى عاش فيه، فقد كان من أصل متواضع، ولم يكن قد تلقى دراسة خاصة، وقد قيل عنه صراحة ؛ إنه «كان إنسانا تحت الآلام مثلنا» (يع ٥:١٧)، وعندما ابتعد مرة عن مصدر قوته، بسبب ضعف إيمانه، ظهر بمظهر الجبن، والاستكانة، كأضعف إنسان عادى، وارتمى على الرمال فى الصحراء، وطلب الموت لنفسه. وإذا ما تكشفت طبيعته الأصلية، وظهرت بمظهرها الحقيقى، تبين أنها لا تمتاز عن غالبية الشعب، بل هى على العكس، قد تظهره أضعف منهم.

هنا يذكر لنا إيليا ثلاثة أدلة لمصدر قوته:

(١) «حي هو الرب» :

كان كل من عداه، يبدو إليه كأن الرب إله ميت،أما هو؛ فكان ينظر إلى الله، بأنه هو الإله الحى، ومعطى الحياة. فإن أردنا أن نكون أقوياء؛ فلنتعلم نحن أيضا، بأن نقول: «أنا أعلم أن وليى حى، هو حى فى كل حين ليشفع فينا. نحن نحيا لأنه هو حى» (أى ١٩:٢٥، عب ٧: ٢٥، يو ١٤:١٩). لقد كان موت الصليب قاسيا، ولكن يسوع «حى». ولقد أتى البشر والشياطين بآخر ماعندهم ، ولكنه «حى». إن من يستطيع أن يسمع المسيح وهو يقول:«أنا هو الحى» (رؤ ١:١٨) لابد أن يسمعه أيضا إذ يقول:«لا تخف، تشدد، تقو» (د ا ١٠:١٩).

(٢) «الذي أنا واقف أمامه» :

لقد كان واقفا فى حضرة أخآب، ولكنه كان واثقا، من أنه واقف فى حضرة من هو أعظم من أعظم ملوك العالم، فى حضرة الرب، الذى تخر أمامه الملائكة فى رهبة وخشوع، لتصغى إلى صوت كلمته، وجبرائيل نفسه، لم يقف موقفا أسمى من هذا «أنا جبرائيل الواقف قدام الله» (لو ١:١٩). ليتنا إذن، ندرب أنفسنا على أن نتحقق دائما من وجودنا فى حضرة الله؛ فإن ذلك يرفعنا فوق كل خوف. ليتنا نبنى مخدعنا، بحيث تطل منه كل نافذة على جبل حضرة الرب. ليتنا نحيا، ونتحرك، ونوجد، ولا يسودنا إلا هذا الفكر «هو ذا الرب هنا».

وفضلا عن هذا، فقد كان يسوده الاعتقاد، بأنه مختار من الله، لكى يكون خادمه ورسوله، وعلى هذا الاعتبار، وقف أمامه.

(٣) إن لفظة «إيليا» معناها «الرب إلهى» :

على أنها يمكن أن تحمل معنى آخر: «الرب قوتى». وهذه توضح لنا سر حياته؛ فقد كان الله حصن حياته، فممن يرتعب؟ عندما اقترب إليه الأشرار ليأكلوا لحمه، مضايقوه وأعداؤه عثروا وسقطوا، إن نزل عليه جيش لا يخاف قلبه (مز ٢٧: ١-٣).

يا له من إعلان مجيد قد أعطى لنا فى هذه التسمية؛ ليته يكون من نصيب كل واحد منا، ولماذا لايكون كذلك؟ لنكف من هذه الحظة عن الاتكال على قوتنا التى مهما عظمت، فهى ضعف؛ ولنلجأ إلى قوة الله فقط، كل يوم، بل كل ساعة، بالإيمان.. وعندئذ، يصبح شعار حياتنا فى المستقبل: «إنما بالرب البر والقوة، أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى، الرب قوتى ونشيدى، وقد صار خلاصى» (إش ٤٥:٢٤، فى ٤:٣، خر ١٥:٢).





بجانب النهر الجاف (١ مل ١٧)

نحن ندرس حياة إنسان تحت الآلام؛ مثلنا، يضعف حيثما نضعف، ويسقط حيثما نسقط، ولكنه وقف وحيدا، ضد شعبه، وضد تيار الشر، والعبادة الوثنية، وأرجع أمة بأكملها، لإلهها. وقد استخدم للوصول إلى غايته، تلك المصادر، التى لا زالت فى مقدورنا أجمعين؛ وهذا هو وجه جمال هذه الرواية، فإنه قد يبدو لنا، بأن إيليا، أتم كل أعماله بتأثير بعض أسرار، تخفى عنا نحن الضعفاء، أو أنه قد طبع بطابع خاص، ليس لنا حق المطالبة به، وعندئذٍ، يدب فى نفوسنا روح اليأس، والاستسلام، لعجزنا عن أن نحتذى بهذا المثال، واستحالة تحقيق هذه المثل العليا فى حياتنا.

ولكن الأمر على العكس من ذلك تماما؛ فإن هذا الرجل، الذى بواسطته، سحق الرب الجبال، لم يكن فى أزهى أيامه، إلا دودة حقيرة. وهذا العمود فى هيكل الله، لم يكن بطبيعته، إلا قصبة، تحركها أقل الرياح. وهذا النبى النارى، الذى أضاء كشعلة من نار، لم يكن أصلا، إلا فتيلة مدخنة، ولكنه بالإيمان؛ وصل إلى ما وصل إليه.

وهذا هو ما نصل إليه نحن أيضا.. بالإيمان؛ إن استطعنا أن نستخدمه، كما فعل إيليا، ونستمد القوة من الرب القدير. فكل قوة فى يد الله، وقد صارت المسرة أمامه، أن يكتنز كل هذه القوى فى المخلص، المقام من بين الأموات، كما لو كانت مكتنزة فى مخازن متسعة، وبواسطة الروح القدس، تنتقل من هذه المخازن، إلى القلوب البشرية. أما الروح القدس؛ فإنه يعطى بحسب مقياس قابلية النفس، وإيمانها.

ليت قلوبنا تمتلئ قابلية، كما كان إيليا، لكى تمتلئ قوة إلهية، كما امتلأ، فنستطيع أن نقوم نحن أيضا، بجلائل الأعمال، من أجل الله، ومن أجل الحق.

ولكن، قبل أن يتم ذلك، يجب أن تجتاز نفس الطريق الذى سلكه إيليا؛ يجب أن تذهب إلى «كريث»، وإلى «صرفه»، قبل أن تقف على جبل الكرمل؛ وحتى إيمانك، يجب أن يتطهر ويتنقى، ويتهذب، لكى يقوى؛ على أن «يقهر ممالك، ويصنع برا، ويهزم جيوش غرباء» (عب ١١: ٣٣و٣٤).

لاحظ إذن، الخطوات المتعاقبة، التى يتخذها الله، لتدريب خُدامه:

(١) يجب أن يتعلم خدّام الله أن لا يخطوا إلا خطوة واحدة فى وقت واحد:

هذا درس من الدروس الأولية، ولكنه ليس من الدروس الهينة فى تعلمها. ولا شك فى أن هذا ما اختبره إيليا قبل أن يغادر «تشبه» إلى «السامرة»، لكى يؤدى الرسالة الخطيرة التى ثقلت نفسه. كان من الطبيعى، أن يتساءل عما يجب أن يفعل، بعد تأدية الرسالة، وكيف سيقابل: ماهى نتيجة هذه المأمورية، وإلى أين يذهب، لكى ينجو من انتقام إيزابل، التى لم تتردد فى قتل أنبياء، لم يكونوا أقل منه جرأة. فلو كان قد وجه هذه الأسئلة إلى الله، وانتظر عنها الإجابة، قبل مغادرة وطنه، لما قام بهذه الرسالة على الإطلاق. إذ، ليست هذه هى الطريقة، التى يعامل الله بها أولاده، لأنه، لا يكشف لنا أكثر من خطوة واحدة، فى وقت واحد، ثم يأمرنا بالسلوك فيها، بالإيمان. وإذا ما توجهنا إليه بهذا السؤال: «إذا خطوت هذه الخطوة التى لابد أن تجر علىَّ المتاعب، فماذا أفعل بعدها؟» فلن نتلقى من السماء جوابا غير هذا: «اخط هذه الخطوة واتكل علىَّ».

على أن إيليا، حالما خطا تلك الخطوة، التى أرشده إليها الله، وقدم الرسالة، التى عهد إليه بها، «كان كلام الرب له قائلا انطلق من هنا واختبئ عند نهر كريث» (١ مل ١٧: ٢و٣). وبعد ذلك، عندما جف النهر، وتحولت المياه الجارية، إلى برك فى قاع النهر، وعندما جفت تلك البرك نهائيا – فى ذلك الوقت فقط، صارت كلمة الرب إليه قائلا: «قم اذهب إلى صرفة» (١ مل ١٧: ٩).

إننى أحب هذه العبارة، «صارت إليه [١] كلمة الرب»، فإن لم يكن فى حاجة للتفتيش،

---

[١] « جاءته» حسب الترجمة الإنكليزية.

والبحث عنها؛ بل هى التى جاءته. وهى تأتى إليك أيضا، وقد تأتيك فى كلمة الله المكتوبة، أو فى تأثير خاص، يطبعه الروح القدس على قلبك، أو فى بعض الظروف الخاصة. وسواء جاءتك فى هذه الصورة أو تلك؛ فإنها لابد أن تجدك، وتعلن لك ما ينبغى عليك عمله. «يارب؛ ماذا تريد أن أفعل، فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» (أع ٩:٦).

لعله قد جاءك إعلان خاص، منذ مدة طويلة، عن واجب معين تؤديه؛ ولكنك أحجمت عنه، لأنك لم تستطع أن تدرك، ما يجب عمله فى الخطوة التالية. أيها العزيز! لا تتردد بعد، بل تقدم ، ولو كانت الطريق غامضة فى نظرك، فإنك لابد أن تجد رجلك تخطو فى أمان، وأنك كلما خطوت خطوة، وجدت الله قد مهد لقدمك موضعها - الخطوة الأولى، فالثانية، ثم الثالثة، وهكذا. إن الخبز؛ لا يعطى لنا إلا يوما بيوم، والمن؛ لا يعطى إلا كل صباح، والقوة؛ تعطى حسب حاجة الساعة؛ والله لا يعطى كل الإرشادات مرة واحدة، لئلا يضطرب العقل ، ويرتبك الفكر، ولكنه يأمر بما تستطيع الذاكرة أن تعى ، وبما يستطيع المرء أن يعمل، وبعد ذلك، نتطلع إليه، فى انتظار الخطوة التالية؛ وبذا نتعلم طريق الطاعة، والثقة، بخطوات يسيرة، هينة.

(٢) يجب أن يتعلم أولاد الله قيمة الاختباء :

«انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبئ عند نهر كريث» (١ مل ١٧:٣). على المرء، الذى سوف يتخذ مكانا رفيعا أمام إلهه،أن يضع نفسه ويذلها. وليست هنالك طريقة أنجح لإذلال نفس الإنسان، أكثر من سحبه فجأة، من الدائرة التى كان قد بدأ يظن نفسه، أنه لا غنى عنه فيها، لكى يتعلم، أنه لا حاجة إليه على الإطلاق، لإتمام مقاصد الله، وحتى يدرك، إذا ما عزل فى جهة نائية، كنهر كريث، كيف كانت أفكاره مشوشة، وكيف كانت قوته كلا شئ.

بنفس هذه الطريقة، عامل الرب رسله؛ فإنهم فى إحدى المرات، عندما عادوا إليه ممتلئين تيها وعجبا بأنفسهم، ومأخوذين بنشوة النجاح، قال لهم بهدوء: «تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء» (مر ٦:٣١). فنحن عندما نعتز بقوتنا، ونفتخر بأنفسنا، لا يستخدمنا الله فى كرمه، وكم من مرة توهمنا أننا شئ عظيم، وأن الرب لا يمكن أن يستغنى عنا؛ لهذا فإننا فى أشد الحاجة، أن يخبئ الله اعتزازنا بأنفسنا، عند نهر كريث، أو فى ظلمة أحد القبور، لكى يخبئه ويحفظه، فى مكان الموت.

إذن، فلا نعجب إن سمعنا أبانا السماوى، يهمس فى آذاننا أحيانا: يكفيك يا ابنى ما قد أربكت نفسك فيه هناك من مشاغل، وإعلانات، وارتباكات، تعال هنا، واختبئ عند النهر، اختبئ عند «كريث» فراش المرض، أو عند «كريث» الآمال الخائبة، أو عند «كريث» الخسائر، أو فقد الأعزاء، أو فى الوحدة، التى هجرتها الجموع المزدحمة. وسعيد هو الذى يستطيع أن يقدم هذا الجواب: إرادتك هذه، هى إرادتى أيضا؛ إننى أطير إليك يا إلهى، لكى تخبئنى فى ستر خيمتك، وفى ظل جناحيك.. تسترنى.

فعلى كل نفس كريمة، تشتهى الحصول على قوة أمام البشر، أن تنالها فى خلوة نهر كريث؛ فإن الانتصار العظيم، على جبل الكرمل، يجب أن يسبقه نهر كريث. وإن نهر كريث، لابد أن يعقبه جبل الكرمل. ونحن؛ لن نستطيع أن نقدم شيئا للعالم، ما لم نكن قد أخذنا من الله. ولن نستطيع أن نطرد الشياطين التى تعذب البشر، ما لم ندخل مخادعنا، ونغلق أبوابها، ونصرف الساعات، فى شركة عميقة مع الله. ولن نستطيع الحصول على القوة الروحية، ما لم نختبئ عن أنفسنا، وعن البشر، وفى مكان سحيق عميق؛ حيث نمتص القوة، من إلهنا الأبدى، كما امتصت الغابات، خواص الشمس، أثناء العصور الطويلة الماضية، فتعيدها الآن فى نيران الفحم المتقدة.

كان لأحد الأساقفة نهر كريث، حيث يقضى فيه كل يوم، خمس ساعات فى العبادة، والصلاة. وكان آخر، لا يسر باليوم الذى لا يقضى منه ثمانى، أو عشر ساعات، فى الشركة مع الله. وكان لآخر، نهر كريث، فى الغابات، والأحراش، التى تشتاق إليها نفسه. وكان أحد المدرسين، يهجر حجرة الدراسة، إلى حجرته الخاصة، ويصرف الساعات الطويلة، جاثيا على ركبتيه، مع تلاميذه، طالبا من الله، أن يملأ الجميع بروحه، حتى لا يعود فى قدرة التلاميذ الاستمرار فى جثوهم على ركبهم.

أما إذا رجعنا إلى العصر الأول المبارك؛ الذى منه يبدأ تاريخ العصور، استطعنا أن نجد أن بطمس، وعزلة سجون الرومانيين، وصحراء العرب، وجبال فلسطين وأوديتها، كانت أنهار كريث المحبوبة عند أولئك الذين كان لهم الفضل فى تغيير العالم كله. يسوع كان كريثه فى الناصرة، وفى برية اليهودية، بين أشجار الزيتون فى بيت عنيا، وفى عزلة كورة الجدريين.

إذن، فلا يمكن أن يستغنى أحدنا عن نهر كريث، حيث تتبدل أصوات المشاغل العالمية والأصوات البشرية بخرير المياه الخارجة من عرش الله فى سكونها، وحيث نتلذذ بحلاوة عشرة الله، وننال قوة الحياة المستترة مع المسيح وفى المسيح، بقوة الروح القدس. قد تضطر بعض النفوس أحيانا أن تجد كريثها فى ازدحام العالم، وفى هذه الحالة، يكون الرب لها ملجأ كافيا، ويكون ستر العلى قدس أقداس لها.

(٣) ويجب أن يتعلم أولاد الله الثقة المطلقة فى الهمم :

عندما يصدر إلينا من الله أمر يبدو لنا مستحيل التحقيق؛ فإننا فى بداية الأمر، لا نقدم إلا طاعة ضعيفة؛ ولكننا عندما نختبر صدق مواعيد الله، فإن إيماننا ينمو ويتقوى، ثم نزداد تعمقا فى الخدمة. وهذه هى الطريقة التى بها يُعَلِّم الله نسوره الصغيرة الطيران،فإنهم سوف يجدون أخيرا إنه ليس لديهم شئ مستحيل؛ هذا هو سر اختبارات إيليا.

أليس غريبا أن يرسل إلى نهر يعرض إلى الجفاف كأى نهر آخر؟ أيدخل فى عقل أى امرئ أن تأتى الغربان بالطعام للإنسان، وهى لا تقتات إلا على الجيف؟ وهل يعقل أن الغراب إن عثر على هذا الطعام، يأتى به بانتظام صباحا ومساء؟ أليس غريبا أيضا أن يبقى إيليا آمنا لا تمتد إليه يد إيزابل الشريرة بأى أذى وهو لم يتعد تخوم إسرائيل؟ على أن أمر الله كان صريحا لا يقبل الالتباس، ولم يكن هنالك أمامه سوى إطاعته، لهذا، فإنه «انطلق وعمل حسب كلام الرب» (ص ١٧:٥).

وإننا لنتخيل إيليا يصل فى مساء أحد الأيام إلى الوادى الضيق الذى تنحدر من بين جانبيه مياه النهر ، بخريرها الموسيقى، مندفعة نحو الأردن؛ وجد على جانبى الوادى العالية وبعض الأشجار الوارفة، ليستظل تحتها فى الظهيرة، اتقاء حرارة الشمس المحرقة، واكتسى جانباه بحلة سندسية، أبهج منظرا من أفخر الأبسطة فى قصور الملوك. وهناك «كانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحا وبخبز ولحم مساء» (ع٦). الغربان التى تحتاج إلى من يعولها! ويا له من درس تلقاه إيليا عن قدرة الله على إعالته. ولا شك فى أن إيليا كان يتأمل مرارا فى هذه الحادثة فى أيامه التالية كبداية لعصر جديد فى حياته؛ ولعله كان يردد هذه الكلمات فى

نفسه «إننى لن يتسرب إلىَّ الشك فى الله ثانية. وكم أنا مدين بالشكر له لأنه أغلق عنى كل معونة أخرى وجعلنى ألقى كل رجائى عليه. إننى واثق فى أنه لن يخيب رجائى مهما كانت ظروف الضيق أو التجارب التى يدعونى لاجتيازها».

إننى أتسمع إلى تشديد خاص على كلمة (هناك) «وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك» (ع٤). ربما كان إيليا يفضل أمكنة كثيرة أخرى يختبئ فيها غير نهر كريث؛ ولكن كان هذا هو المكان الوحيد الذى تعوله فيه الغربان. وأينما كان هو، فإن الرب كفيل أن يسدد كل حاجاته. يجب أن يكون كل اهتمامنا محصورا فى هذا السؤال: «هل أنا فى المكان الذى يريدنى الله أن أكون فيه؟» إن كان الأمر كذلك؛ فإن الله لا يسمح بأن نهلك بسبب الحاجة، بل يتمم معجزة خاصة. إذا اختار الابن الأصغر أن يذهب إلى كورة بعيدة من تلقاء نفسه، فقد يهلك جوعا وسط خنازيره، أما إذا أرسله الآب هناك، وجد كفايته وفوق الكفاية. لأن الرب لا يرسل أحدا إلى الحرب بنفقة نفسه، وهو لا يتوقع منا أن نعمل فى الحقل، ثم نعول أنفسنا. والمن، يكون دائما مقترنا بعمود السحاب، وعندما نتمم مشيئته على الأرض، كما فى السماء، يعطينا خبزنا كفافنا كل يوم. «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت ٦: ٣٣).

لا حاجة بنا للبحث عن احتمال صحة هذه الرواية، فيكفى أنها مكتوبة هنا فى كتاب الله. وكل الذين يستطيعون أن يقولوا «أبانا» والذين يؤمنون بقيامة الرب يسوع المسيح، لا يجدون أمرا مستحيلا؛ أما إذا احتاج الأمر إلى زيادة التأكيد، لازداد تأكيدا مئات المرات، من اختبارات الكثيرين من الأحياء، الذين قد سددت أعوازهم، بطرق لا تقل غرابة عن إعالة الغربان لذلك النبى المتوحد.

قرأ مرة طفل صغير، هذه الحادثة مع أمه الأرملة، فى إحدى ليالى الشتاء، وهما جالسان بجوار طاولة خشبية متواضعة ، مجردة من كل شئ، فى غرفة شديدة البرودة؛ فرجا الطفل أمه لتترك الباب مفتوحا، حتى تدخل غربان الله، لأنه كان واثقا أنها آتية إليهما فى الطريق؛ وبينما كان عمدة تلك المدينة الألمانية مارا بجوار المنزل، استرعى انتباهه ذلك الباب

---

[١] «بعد نهاية الأيام» حسب بعض الترجمات.

المفتوح، فدخله، واستعلم عن سبب فتحه؛ وعندما علم السبب، قال: إننى سأكون غربان الله، وسد احتياجاتهما تلك الليلة، وبقية أيام حياتهما.

أيها القارئ العزيز.. إن الرب، ينابيع ومصادر، لا تنضب، وإن كنت تتمم عمله فى المكان الذى يريدك أن تكون فيه، فإنه لابد أن يسد كل أعوازك، حتى ولو عجزت السماء عن أن تمطر، وكل ما هو مطلوب منك، هو أن تتكل عليه.

(٤) وطالما دعا الله أولاده ليجلسوا بجانب النهر الجاف :

«وكان بعد مدة من الزمان[١] أن النهر يبس» (ع٧). لا نستطيع أن نكوّن صورة صحيحة عن حالة أرض الموعد، فى شهور الجفاف الأولى. إننى أتخيلها الآن، وقد جفت مراعى الجبال، كأن ألسنة النيران قد اندلعت، فأقحمتها. وأما الأنهار؛ فقد نضب ماؤها، رويدا رويدا، حتى تلاشت منها آخر نقطة. كما لم تكن هنالك أمطار، لتعيد الحياة إلى المزروعات، أو تفيض على ينابيع المياه. والشمس؛ كانت تشرق، وتغرب، لمدة عدة شهور، فى سماء صافية، لا أثر لسحاب فيها. والندى؛ لم يعد يبلل الأرض، لكى يعطى، ولو شبه أمل، للمزروعات. وهكذا؛ ابتدأ نهر كريث، يجف هو أيضا، يوما فيوما، حتى ظهرت الأحجار فى قاعه، ثم تجف تماما.

وماذا كان يجول بخاطر إيليا فى ذلك الحين؟ هل تخيل أن الله نسيه؟ هل يدبر الخطط لنفسه؟ هذا أمر طبيعى للبشر. ولكننا نرجو إنه كان ينتظر الرب، صامتا. وكان يسكت نفسه، كفطيم نحو أمه، وهو يتغنى قائلا «إنما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى» (٢مز٦:٥).

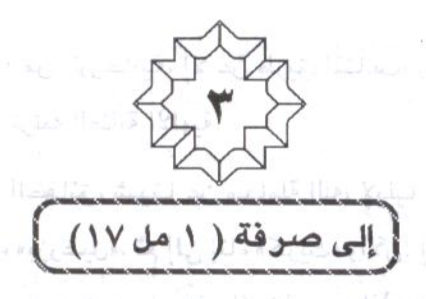
لقد قضى على الكثيرين منا، أن يجلسوا بجوار أنهار تجف، وربما كان البعض جالسا بجوارها الآن. قد يكون نهر الصيت والشهرة، بدأ يجف، كما جف من يوحنا المعمدان. وقد يكون نهر الصحة، بدأ يجف، وسمع الرب بمرض عضال، لا شفاء منه. وقد يكون نهر الثروة، بدأ يجف، رويدا رويدا، بسبب مطاليب المرض، أو الديون، أو أى نوع آخر، من مظاهر إسراف البشر. وقد يكون نهر صداقة الأصدقاء، بدأ ييبس، منذ مدة طويلة، وأوشك حبل صداقتهم أن ينقطع نهائيا. حقا؛ إنه لاختبار مر على النفس، أن يجلس المرء بجوار نهر ييبس، وهو حقا أمر، وأشد صعوبة، من الوقوف أمام أنبياء البعل، على جبل الكرمل.

ولماذا يسمح الرب، بأن تيبس كل هذه الأنهار؟ لأنه يريد أن يعلمنا؛ بأن لا نتكل على نعمه، بل على شخصه. يريد أن يخلينا من ذواتنا، كما أخلى التلاميذ عشرة أيام، انتظارا للروح القدس. يريد أن يحل أوصالنا، قبل أن ينقلنا إلى دائرة أخرى، للخدمة، أو التعليم. لأنه يريد أن يرفع أبصارنا، إلى النهر الخارج من عرش الله، الذى لن ييبس إلى الأبد.إذن؛ فلنتعلم هذه الدروس، ولنتحول من نهر كريث، الذى خيب آمالنا، إلى مخلصنا.. الذى لن يخيب لنا رجاء، فيه نجد كل كفايتنا، ينابيعه لا تنضب بمرور الدهور، ولا ينقصها عطش ربوات القديسين، الذين يشربون منها فى الأعالى، بجوار منبعها، كما نشرب نحن منها، هنا؛ على الأرض، بجوار مصبها. «سواقى [١] الله ملآنه ماء» (مز٦٥:٩)، كل من يشرب من هذا الماء، يعطش أيضا، ولكن؛ من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء، ينبع إلى حياة أبدية» (يو٤:١٣و١٤).إذن، «فاشربوا واسكروا [٢] أيها الأحباء». (نش ٥:١).



[١] «نهر» حسب ترجمة اليسوعيين، والترجمة القبطية، والترجمة الانكليزية.

[٢] «اشربوا كثيرا» حسب الترجمة الانكليزية.



إلى صرفة (١ مل ١٧)

إذ كان صديق لى يقضى بضعة أيام بجوار إحدى البحيرات، استرعت أنظاره بعض الزهور الفائقة الجمال، وخلبت عقله، لأنه لم يسبق أن رأى مثلها فى كل أيام حياته الماضية. ولما استعلم عن سبب هذا الجمال، المنقطع النظير، عرف أن السبب، كان فى اتباع طريقة مستحدثة فى تربية الزهور، وهى نقلها من مكان إلى آخر، مهما كان تأثير هذه الطريقة فى الطبيعة، فإنه من المؤكد أن أبانا السماوى، يستخدم طرقا مشابهة، ليضمن أفضل النتائج فى حياتنا. فإنه دواما، ينزعنا من بعض الأمكنة، لينقلنا إلى غيرها. ومع أن التغييرات، تهددَ فى بعض الأحيان، بتعطيل نمونا فى الحياة الروحية، إلا أنها؛ إن أحسن استخدامها، أتت بأطيب الثمرات، وخلفت وراءها، أعمق الاختبارات.

ولعلنا نستطيع أن نجد تأييدا آخر لهذه الحقيقة، فى ذلك التشبيه الذى يقدمه لنا إرميا، إذ يقول: «مستريح موآب منذ صباه وهو مستقر عَلَىَ دُرْدِيِّه [١] ولم يفرغ من إناء إلى إناء ولم يذهب إلى السبى. لذلك بقى طعمه فيه ورائحته لم تتغير» (إر ٤٨:١١). عندما يعصر العنب، يكون العصير فى أول الأمر كثيفا، وغير نقى، فيترك فى إناء حتى يتخمر، ثم ترسب الثمالة فى قاع الإناء. إذا تم هذا، ينقل السائل بحرص إلى إناء آخر، وتترك الثمالة. ثم تكرر عملية التفريغ هذه، مرارا، حتى تتلاشى الرائحة الكريهة، العطنة، ويصير السائل رائقا، جميلا.

وفى حالة موآب، لم تتم عملية النقل هذه، «ولم يفرغ من إناء إلى إناء»، ولهذا؛ لم يكسب الشعب شيئا من الأخلاق الفاضلة، أو النمو الروحى، بل «بقى طعمه فيه ورائحته لم تتغير».

لا شك فى أن الحياة الهادئة، ليست هى الحياة العظيمة. لأن بعض الأخلاق، لا يمكن

---

[١] أو «عكره» حسب ترجمة اليسوعيين.

أن تصل إلى الذروة العليا من الروحانية، إلا عن طريق المتاعب، وانتزاعنا من بعض الأمكنة، ونقلنا إلى غيرها، حسبما ترتبه العناية الإلهية.

ألا توضح لنا هذه الحقائق، شيئا عن معاملة الله، لإيليا؟ فمرة، نراه قائما فى إناء «وطنه»، ثم يفرغ إلى إناء «يزرعيل»، ثم إلى إناء «كريث» والآن: إلى الإناء الرابع، «صرفة». وكل ذلك، لكى لا يستقر على درديه، بل يدفع إلى السمو الأخلاقى، الذى لم يكن ممكنا له الوصول إليه، بأية طريقة أخرى، والذى أهله للوقوف فى الأيام التالية، على جبل التجلى، كخل لموسى، ورفيق للمسيح.

تشجع إذن؛ يامن تضطرك الظروف، لكثرة التنقل، لإقامة خيمتك فى المساء، وفكها فى اليوم التالى، إذ ترى عمود السحاب، قد تحرك، وتسمع صوت البوق، للارتحال.. اعلم بأن المحرك لذلك كله؛ هو محبة الله، الكلى الحكمة، والأمانة، الذى يريد أن يدربك، حتى تصل إلى هدف مجيد. ثق بأن ظروفك التى أنت فيها الآن، هى وحدها التى تناسبك للسمو فى أخلاقك، وبأن العناية، قد اختارتها لك من بين كل الحوادث، والحالات الممكنة، لكى تعدك إلى أسمى ما يمكن، من الإثمار، والجمال، وبأنك؛ لم يكن ممكنا أن تختار سواها، لو أنه وهب لك، أن تصل إلى أسمى درجات المعرفة، والاطلاع على كل شئ.

ومع ذلك؛ فإنه عندما تلتصق النفس بالله تماما، كما كان إيليا، فإن هذه التغييرات، تصبح تافهة فى نظرها، وغير مؤذية. ولا يكون مثلها، إلا مثل لسعة البعوضة للجندى، وقت اشتداد وطأة الحرب. وكل امرئ ينعم بالحياة الدائمة فى حضرة الله، الثابت، لا يتغير. ويستطيع أن يقول «هكذا قال الرب الذى أنا واقف أمامه»، فإنه لا يحفل بكل هذه التغييرات، التى لا تستطيع أن تمس إلا الحياة الخارجية، والتى؛ مهما انتزعت، فلن تستطيع أن تنتزع، سوى الأشياء المادية، ومهما منحت؛ فلن تمنح سواها.

إن الشعور بالوجود فى حضرة الله، هو الأمر الجوهرى فى حياة المؤمن، هو السلام، وهو التعزية للنفس، فى كل ساعات السهر، واليقظة. فى حضرة الله، تتبين لنا بأجلى وضوح، حقيقة كل الأشخاص، وكل الأشياء، وكل الحوادث؛ كما يتبين لنا كل شئ واضحا ، وجليا ، فى حرارة الصيف.

أما الرغبة الأولى، والوحيدة، التى تتوق إليها النفس المباركة، فهى؛ أن تتم مقاصده، وتطيع إرادته، بكل دقائقها، وتنتظر كل ما يأمر به، وتعيش فى شركة كاملة معه، لكى تتمتع برؤيته كل حين، وتقتنع بملء الفرح، الذى يملأ مخادع النفس الداخلية، بأبهج الروائح العطرية، وأعذب النغمات الموسيقية، العلوية.

أيها القارئ العزيز.. إن هذه النعمة، تعطى لك بالروح القدس، يقينا؛ إن كنت فقط، تفتح لها كل قلبك، وحياتك. فلماذا لا تطلبها؟

وهنا نستطيع أن نتعلم عدة دروس:

(١) الإيمان ينتظر حتى تعلن خطة الله:

«وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر فى الأرض» (ع٧)، كان إيليا يرقب هذا النهر، وهو ييبس يوما بعد يوم، وأسبوعا بعد أسبوع، وهو ثابت لا يتزعزع. وكم مرة، خامرته الشكوك واليأس، ولكنه لم يسمح لظروفه بأن تحول بينه وبين إلهه. الشكوك تنظر إلى الله خلال الظروف، كما تنظر إلى الشمس أحيانا، خلال الدخان، فتحجب أشعتها، أما الإيمان؛ فإنه يضع الله بينه وبين الظروف، فينظر إليها ،عن طريق الله.

وهكذا صار ذلك النهر المتدفق، خطا فضيا، ثم تحول إلى برك ضئيلة، انتشرت فى قاعه، ثم جفت هذه البرك نهائيا، فولت الطيور الإدبار، ولم تعد الوحوش تأتى إلى النهر، لتشرب منه، لأنه جف تماما، وفى ذلك الوقت فقط «كان له كلام الرب قائلا قم اذهب إلى صرفة» (ع٨و٩)، جاءته هذه الرسالة، وهو صابر، منتظر، لا يتزعزع.

لعل معظمنا، لو وجدوا فى هذه الظروف، لكانوا قد ارتبكوا، وتعبوا فى اتخاذ التدابير، ورسم الخطط، قبل ذلك بزمن طويل. وكانوا قد كفوا عن أغنياتهم، وترنيماتهم، منذ ابتداء تناقص المياه فى النهر. وكانوا قد علقوا أعوادهم، وآلاتهم الموسيقية، على الشجر، وغاصوا فى تأملاتهم، وأفكارهم. وكانوا قد رسموا خطة معينة، قبل أن يجف النهر تماما، وطلبوا بركة الله عليها، وغادروا المكان. ذلك؛ لأننا جميعا، مع الأسف الشديد نميل كل الميل، إلى اتباع إرادتنا الخاصة، وتنفيذ تدابيرنا، وما نرسمه لأنفسنا من خطط ومشروعات، وإن لم يحضر

صموئيل، فى الوقت الذى نتوقعه بالذات، فإننا نحشر أنفسنا فيما لا يليق بنا عمله، ونقدم المحرقة (١ صم ١٣:١٢).

هذه هى علة التعب والشقاء. فإننا نرسم الطريق لأنفسنا، ثم نندفع فيه. وعندما تعترضنا الصعوبات، التى لا يمكن تخطيها، فحينئذ فقط؛ نبدأ فى التفكير، عما إذا كانت خطواتنا الماضية، متفقة مع إرادة الله، أو أننا يجب أن نطلب إرشاده.

وكثيرا ما أوقف الله تقدمنا فى الطريق، وصدنا عن أن نتقدم خطوة أخرى، لأن رحمته تدوم إلى الأبد. على أننا، لو كنا قد انتظرنا فى بداية الأمر، حتى يكشف الله عن خطته، لما وصلنا إلى حالة الارتباك، والحيرة، التى نحن فيها الآن، ولما اضطررنا أن نبلل خطواتنا، بدموع الخجل، والفشل.

من أسمى الكلمات البناءة للحياة البشرية، وخصوصا، لخدام الله، هى تلك التى خاطب بها الله موسى قائلا «انظر أن تصنع كل شئ حسب المثال الذى أظهر لك» (عب ٨:٥). كان موسى يلتهب غيرة لكى يتمم عمل الله، وكان أمهر الصناع تحت أمره، ولكنه لم يسمح له أن يصنع كبيرة أو صغيرة فى الخيمة «حتى الجرس والرمانة والستائر والأوانى» إلا حسب المثال الذى يظهره له الله. لهذا؛ أخذه الله إلى الجبل، وفتح باب عقله، وكشف له عن مثال الخيمة المطلوب صنعها، وسمح لموسى أن يطلع على كل شئ، كما كان فى فكر الله. وبعد أن قضى أربعين يوما فى الدرس والاطلاع، على الجبل؛ نزل أخيرا. ولم يبق عليه إلا أن يُخرج إلى حيز الوجود، ما أعلن له على الجبل.

ولا شك فى أن مثل هذا الفكر، كان فى قصد ربنا المبارك، عندما قال «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل» (يو ٥:١٩). فإنه أخلى نفسه تماما، وكان فى كل خطوة، ينفذ إرادة الآب. لأن هذه الإرادة، لابد أن تقود إلى أعمال أعظم، إلى أن يقف العالم أخيرا، مذهولا أمام النتائج الباهرة، التى تبدو من جثسيمانى والجلجثة، والتى تبزغ من القبر الفارغ، إلى جبل الصعود، ثم مجد مجيئه الثانى.

يا له من اتضاع عجيب، يفوق كل العقول البشرية. كيف يرتضى ذاك الذى خلق، ودبر كل الأشياء، أن يعيش حياة الاتضاع الكامل؟ وإن كان قد ارتضى أن يحيا هذه الحياة،

ألسنا نحن أولى بها؟ فكم من ارتباكات تنجينا منها، وكم من أمجاد تأتينا بها؟ وفوق ذلك، فإنها تجعل حياتنا نافعة جدا. ليتنا نرتضى أن ننتظر، حتى يكشف لنا الرب عن خطته، حتى تكون حياتنا متممة لأفكاره، ومقاصده، ومحققة لمثله العليا. ليكن فكر قلوبنا، هو هذا دواما: «علمنى يا رب طريقك. علمنى أن أعمل رضاك. عرفنى الطريق التى أسلك فيها لأنى إليك رفعت نفسى» (مز ٢٧:١١، ١٤٣:٨-١٠).

(٢) مقاصد الله تتطلب طاعة كاملة:

«فقام وذهب إلى صرفة» (ع١٠) كما قام سابقا، وذهب إلى كريث، وكما سيذهب حالا ليقف أمام أخاب.

أقامت بيننا سيدة مسيحية، مدة، تعلمت خلالها، بركة حياة التسليم الكلى. ولكنها اضطرتها الظروف إلى الرحيل، لجهة نائية، حيث اتخذتها موطنا لها. عادت أخيرا من تلك البلاد القاصية، وقطعت آلاف الأميال، وقصدها الوحيد، أن تحج إلى ذلك المكان، الذى وجدت فيه سلامها الأول الذى فقدته، لعلها تستعيد فرحها، وبهجة قلبها السابقين، ولكنها عبثا، حاولت أن تسترد تلك الجوهرة الثمينة، التى أضاعتها، رغم أنها كانت تصلى فى نفس المكان السابق، وتستمع إلى نفس الصوت الأول. وأخيرا؛ اتضح لها السبب، فإنها كانت تحيا حياة عصيان إرادة المسيح، التى كان يوحيها إليها ضميرها، وكلمة الله. لقد كانت بواعث العصيان، تستتر تحت مظاهر النبل والشرف. على أن ذلك لم يغير من حقيقة الأمر الواقع - العصيان - وهذا كانت له عواقبه الوخيمة.

وهذا هو السبب الحقيقى، فى فشل حياة الكثيرين من المسيحيين. فنحن؛ قد تعلن لنا إرادة الله، وتتكشف لنا مثله العليا، فنعجب بها، ونتعهد بأقوى التعهدات، أن نعيش له، ونكرس ذواتنا له على المذبح. ولفترة قصيرة، يخيل إلينا بأننا قد انتقلنا إلى السماء، والتحقنا بنور السماء. بعد ذلك، يأتينا أمر صريح - لا يتطرق إليه الشك - كى نهجر «كريث» المحبوب، إلى «صرفة»، غير المحبوبة، كى نقول كلمة، أو نخطو خطوة، أو نهجر عادة محبوبة، ولكننا لا نطيع، لأن النفقة عظيمة، وحالما نعصى، ينطفئ نور الحياة، وتسودها ظلمة قاتمة.

نحن لا ننال الخلاص بالطاعة، فإنه عطية مجانية من الله، ننالها بالإيمان، بالفداء الذى أتمه ربنا يسوع المسيح. على أننا بعد أن ننال الخلاص، لابد أن نطيع. فمخلصنا يرجونا - بحق المحبة، التى نحبه بها - أن نحفظ وصاياه. وهو إذ يفعل ذلك، يريدنا أن نذوق أعمق هباته، لأنه يعرف، أن فى حفظ وصاياه، ثوابا عظيما.

قلّب الكتاب المقدس، من أوله لآخره، إن كنت لا ترى أن الطاعة الكاملة كانت هى السر فى سمو حياة أعظم الأبطال الذين أناروا العالم. لقد كان أفخر الألقاب، التى لقب بها ملكنا العظيم، ملك الملوك «عبد الرب». ولن يستطيع أحدنا أن يضع أمامه، غرضا أسمى مما كان فى قلبه «جئت لأصنع مشيئتك يا الله» ولعلنا نستطيع أن نجد فى كلمات العذراء، القديسة، مريم، رسالة فى هذا الصدد، تناسب كل الأجيال، إذ قالت: «مهما قال لكم فافعلوه» (يو ٢:٥).

(٣) فى بعض الأحيان قد تأتى بنا إلى اتون نيران متقدة وإلى بوتقة التمحيص:

معنى كلمة «صرفة»، هو: «بيت تمحيص»، أو «بوتقة تمحيص». كانت تقع هذه المدينة، خارج أرض كنعان، وتشغل موقع مدينة «صرفند» الحالية، القريبة من جبل حرمون، والمطلة على البحر المتوسط. وهى تبعد ٧ أميال عن صيدا، ١٤ ميلا عن صور. ولعله كانت هنالك بواعث كثيرة، جعلت هذه المدينة كريهة فى نظر إيليا. فقد كانت تابعة لبلاد إيزابل، التى خرجت منها أسرتها الدنسة. وقد شملتها لعنة الجفاف، على قدم المساواة، كأرض كنعان. وكان لا يمكن الوصول إليها، إلا بعد رحلة مضنية، لا تقل مسافتها عن مائة ميل، فى وسط الأرض التى تلوثت سمعته فيها، والتى كان جميع من فيها، حانقين عليه.

ثم كانت أمامه صعوبة أخرى، هى أنه كانت ستعوله أرملة وثنية، فى تلك المدينة. لم يكن يرى غضاضة، لو طلب إليه أن يعولها، هو شخصيا، ولكنه لم يكن من الهين على نفسه، أن يشعر بأنه ستعوله تلك الأرملة البائسة، المسكينة، من مواردها الضئيلة. إذن! فقد كانت صرفة حقا، بوتقة تمحيص لتطهيره من كل بقية لكبرياء على النفس، التى قد تكون لا تزال باقية، جاثمة فى إحدى زوايا قلبه.

أما طريقة استقباله؛ فقد كان فيها الكثير من النيران المطهرة. فإنه عندما وصل المدينة الشريرة، ولعله كان عند إقبال المساء، «جاء إلى باب المدينة وإذا بامرأة تقش عيدانا» لتهيئ طعام المساء (ع ١٠). قد يظن البعض، إنه التقى بهذه الأرملة من باب الصدفة. أما قاموس الإيمان، فلن تعثر فيه على هذه الكلمة، فإن ما تنظر إليه العين البشرية، بأنه صدفة، تراه عين الإيمان، تدبيرا من العناية الإلهية.

كان واضحا بأن هذه الأرملة، هى التى تكلم عنها الله لنبيه. وإذ كان قد أعياه العطش، وأضناه تعب السفر الطويل، مع وثوقه، بأنه سيجد كل كفايته، تقدم إلى هذه الأرملة، وطلب منها أن تأتيه بقليل من الماء فى إناء، ليشرب (ع ١٠). ولعل الرب قد سبق، فأنبأ هذه الأرملة بقدوم إيليا. وهذا ما يمكن استنتاجه من الكلمات التالية «هو ذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك» (ع ٩).

سوف تتضح لنا فى الوقت المناسب، أخلاق هذه الأرملة، ولكن؛ لابد أنها كانت تتصف ببعض الصفات، التى لم توجد فى الأرامل الكثيرات، فى إسرائيل (لو ٤: ٢٥و ٢٦). لم يتجاوز الرب عن كل هؤلاء الأرامل، ويذهب إلى أرملة فى بلاد سحيقة كهذه، اعتباطا، أو من باب الصدفة، أو بطريقة تحكمية. فإنها لابد أن تكون قد تحلت ببعض الصفات السامية، ووجدت فيها بذرة الأخلاق النبيلة، وشجاعة البطولة والإيمان - وهذه كلها ميزتها عن كل أخواتها المكتئبات، وأهلتها؛ لإضافة ذلك النبى العظيم، كما أهلتها؛ لكى تكون شريكة له فى الوليمة السماوية.ولعلها قد أحست فى قلبها، بقدوم النبى، كما أعلنت الرؤيا إلى شاول، وحنانيا، فى وقت واحد، وكما أعلنت أيضا، لكرنيليوس، وبطرس، فى وقت واحد.

لهذا، فإنها لم تعجب من طلب النبى؛ بل ذهبت فى هدوء وصمت، لتأتى إليه بكأس ماء بارد (مت ١٠:٤٢). وإذ وجد فيها إيليا، هذه الرغبة، تشجع، فطلب منها أن تأتيه أيضا بكسرة خبز (ع ١١). كان هذا طلبا متواضعا، ولكن، ما كانت تمتلكه هو «ملء كف من الدقيق فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز» (ع١٢). وكانت مزمعة أن تصنع منها آخر ما تسد به رمقها هى وابنها، الذى ربما يكون قد أعياه الجوع عن أن يرافقها. وبعد أن يشبعا به، لم يكن

لهما بديل، سوى أن يضطجعا فى انتظار الموت، وهذا حطم قلب رجل الله، بعد تلك الرحلة الطويلة، المضنية.

بنفس هذه الطريقة، لا يزال الله يعامل شعبه. «كل ما لا يدخل النار فتجيزونه فى الماء». (عد ٣١:٢٣)، أى أنه لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع. «إن الشونيز لا يدرس بالنورج ولا تدار بكرة العجلة على الكمون» (إش ٢٨:٢٧). بل كما هو مكتوب: «كل ما يدخل النار - كل ما يحتمل النار - تجيزونه فى النار فيكون طاهرا» (عد ٣١:٢٣). إذن، فإن وجد فيك ما يحتمل التحميص، فثق بأنك لابد أن توضع فى البوتقة.

ولكن، اعلم بأن النار لا تلاشيك، بل تطهرك فقط، ستوضع فيها بيد المحبة، وستبقى فيها فقط حتى يتمم الرب عمله الكامل، أما لهب النيران، فلن يحرق سوى رباطات العالم التى ربطت بها، وعندما تجتاز النيران، محلولا، حرا طليقا، فإن المتفرجين الواقفين يجوارك، سيرون من يرافقك، ويتمشى معك، شبيها بابن الله.

(٤) وعندما يضع الرب شعبه فى البوتقة يسد كل احتياجاتهم:

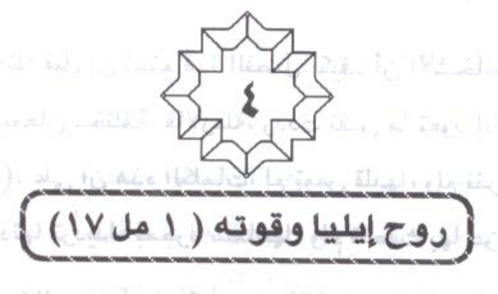
حقا، لقد كانت الظروف محزنة للغاية، ولكن، ماذا عساها أن تفعل لرجل، قد انشغل عقله بحضرة الله، وقوته. لقد وعده الله بأنه سيعوله، وبأنه سيعوله بواسطة هذه الأرملة؛ إذن؛ فلن يتطرق إليه اليأس فى إتمام هذا الوعد، ولو زالت الأرض والسماء. إن الصعوبات لا تفعل للإيمان، إلا فعل أدوات الرياضة للأولاد، فإنها تشد أعصابهم، وتقوى عضلاتهم، والإيمان؛ يتغذى بالنيران، وبهذا الإيمان الكامل، قال إيليا للأرملة: «لا تخافى، واعملى كقولك، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل، إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذى فيه يعطى الرب مطرا على وجه الأرض» (ع ١٣و١٤).

إن كل ما نحتاجه، هو أن نتساءل عما إذا كنا قائمين، فى المكان الذى حدده لنا الله فى خطته؛ إن كان الأمر كذلك، فحتى إن كانت طريقة إعالتنا، التى أعلنها لنا الرب، مستحيلة، فلابد أن يتم المستحيل، إن لم تنفع الطرق العادية؛ فإنه يعولنا بمعجزة «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم». إن فعلنا ذلك، فإننا نكنزللمستقبل، مستودعا لا ينضب من

الدقيق، والزيت. ولنلاحظ؛ قبل أن نختم هذا الفصل، كيف أن الأشخاص المختلفين، يستعملون نفس الألفاظ المقدسة، بمعان مختلفة. فالأرملة، رددت نفس ما تعود إيليا ترديده، وقالت: «حى هو الرب إلهك» (ع ١٢). على أن هذه الكلمات، لم تمس قلبها، ولم تترك فيه أثرا من السلام، والعزاء، لأنها، إنما رددتها ترديدا، بمجرد سماعها، ولم تتحدث بها عن اختبار عملى.

أرجو أيها القارئ العزيز، أن لا تكون هذه الكلمات على لسانك، مجرد حديث الببغاء؛ بل بالحرى،أن تكون مدفوعة من أعماق قلبك، حتى تستطيع أن تسير فى الحياة، وأنت لا ترهب شيئا فى الوجود، سوى الخطية، وحتى تستطيع أن تشجع القلوب الخائرة، وتبدد مخاوفها، وتقول لكل نفس: «لا تخافى» (ع١٣).





٤

روح إيليا وقوته (١ مل ١٧)

كل من أتيحت له فرصة زيارة سويسرا، بلاد الجمال، لا يمكنه أن ينسى ساعات الصباح المبكر، إذ يدعون للنهوض من سباتهم لاستقبال الفجر. فى تلك الساعات، يسود الطبيعة سكون رهيب، وصمت عجيب، كأن ملكا عظيما قادما، فصمتت الجماهير الغفيرة، فى انتظار وصوله. بعد ذلك تنبعث أشعة النور بشكل غريب من المشرق، وأخيرا، تنار أعلى قمم جبال الألب، بنور الفجر، ثم يتوالى النور؛ يسطع على باقى القمم، الواحدة تلو الأخرى؛ حتى تستضئ كلها بنور الفجر اللامع. على أنه خلال ذلك الوقت، تكون الأودية المنخفضة، لا تزال مكتسية بالضباب الكثيف، وغارقة فى الظلام الدامس. وبعد بضع ساعات، يتسلل الملك، رويدا رويدا، إلى عرشه، حتى يستوى فى كبد السماء، ومن ثم، تخترق أشعة الشمس، نوافذ الأكواخ والقصور، وتنعكس على الأنهار والبحيرات، وتسطع على الزهور والصخور.

ولعل هذا المنظر يقرب إلى أذهاننا، الفرق بين العهد الذى انتهى، بمجئ المسيح، والعهد الذى أسعدنا الحظ، بأن نعيش فيه، والذى سوف ينتهى، بظهوره الثانى المجيد. لقد حفل كل من العهدين، بخدمة الروح القدس. على أنه فى هذا العهد فقط – الذى بدأ منذ يوم الخمسين – قد انسكب على البنين والبنات، على العبيد والإماء (أع ٢: ١٧و١٨). أما فى العهد السابق، فقد كان يمنح – فى ملئه ونعمته الخاصة – للمختارين من أهل الإيمان فقط. الآن، يمكن لأقل الأودية انخفاضا، أن تنعم بفيض الروح، أما فى عصر إيليا، فلم يكن يعرف معنى الامتلاء بالروح القدس، إلا من وصل إلى أعلى جبال الألب، إلى أسمى درجات الكمال «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١:٢١)، «باحثين (الأنبياء) أى وقت، أو ما الوقت، الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم» (١ بط ١:١١). «لأن الروح القدس لم يكن قد مجد بعد» (يو ٧:٣٩).

كان إيليا، أحد أولئك الأبطال الذين امتلأوا بالروح القدس. وكل الذين عرفوه حق المعرفة، اتفقت شهادتهم على ذلك. فأليشع لم يرغب إلا فى أن يكون وارثا للروح الذى كان ظاهرا فى سيده (٢ مل ٢:٩)، أما بنو الأنبياء، فطالما تحدثوا عن «روح إيليا» (٢ مل ٢:١٥)، وبعد ذلك بمئات السنين، إذ كان الملاك يتحدث إلى زكريا فى الهيكل، لم يجد تعبيرا يوضح به حلول الروح القدس على ابنه الموعود به أفضل من أن يقول له: «ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته» (لو ١:١٥-١٧).

إذن، فخدمة إيليا المجيدة، لا تعزى لأية صفات داخلية موروثة فى شخصه، بل إلى امتلائه - بدرجة فوق العادة - بالروح القدس، الذى أعطى إليه بالإيمان، كما أعطى لسواه، من أناس الله القديسين، فى الأزمان السالفة. ومتى أمكننا الحصول على نفس الروح، بنفس المقياس، استطعنا أن نعيد نفس أعماله المجيدة.

لهذا، فإن الأمر الذى يهمنا جميعا معرفته، هو: هل يعمل الروح القدس فينا، وبواسطتنا، بقوة؟ إن كان الأمر كذلك، فمهما كانت مواهبنا ضئيلة، وطبيعتنا ضعيفة، فإنه سيتمم بنا نفس الأعمال العظيمة، التى يتممها فيمن يفوقنا كثيرا، فى المواهب العقلية الأدبية؛ بل يحق لنا أن نفتخر بالحرى، بضعفاتنا، كى تحل علينا، تلك القوة الإلهية بشكل أكثر ظهورا، ولكى يكون فضل قوة الله واضحا.

والآن، قد يتساءل البعض قائلين: هل يرجى أن ننال نحن المسيحيين العاديين، الذين نعيش فى هذا العصر، موهبة الروح القدس، بنفس القوة الخارقة ، والمقياس غير العادى، كما نالها إيليا؟ طبيعى أننا جميعا قد حصلنا على الروح القدس، لحد محدد، وإلا، لما كنا قد أتينا إلى المسيح، وكل ما نتمتع به من النعم، ونتصف به من الأخلاق المسيحية، كل تعزياتنا، وكل انتصاراتنا تعزى كلها إلى حلوله فى قلوبنا:

كل فضيلة اكتسبناها
وكل نصرة حازناها
وكل قداسة بلغناها
مستمدة منه وحده

وواضح أنه علاوة على تلك النعمة العادية، التى لا شك فى توفرها فى جميع المؤمنين،

فإن هنالك هبة خاصة للروح القدس، تعطى استعدادا خاصا للخدمة؛ هذه الهبة، حصل عليها إيليا. وربنا يسوع المسيح - كخادم - رجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، ورجع بقوة الروح إلى الجليل، وبدأ يعمل الآيات العظيمة، والقوات الفائقة، لأن روح الرب عليه (لو ٤: ١و ١٤و١٨)، والرسل حصلوا عليها منذ اليوم الخمسين، عندما نالوا ملء الروح للشهادة والكرازة، ولو أنهم لابد قد حصلوا عليها سابقا، لتعبير أخلاقهم الشخصية، (قارن أع ١: ٨ و٢: ٤ مع يو ٢٠: ٢٠-٢٢)، والمؤمنون فى السامرة حصلوا عليها بعد أن جاء إليهم «بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الرح القدس». ولو أنه واضح أن تجديدهم تم بعمل الروح القدس المبارك (أع ٨: ٥و ١٦)، والتلاميذ فى أفسس، لم يحصلوا عليها إلا بعد أن وضع بولس يديه عليهم (أع ١٩: ٦).

حقا إن هذا هو ما نحتاج إليه اليوم، وهو أمر سهل المنال؛ هذه المسحة الخاصة التى تؤهل للخدمة، ليست قاصرة على أمثال إيليا، أو بولس، أو بطرس، الذين قد اتسعت مسافة التباين بيننا وبينهم، بل هى لنا أجمعين، طالما بقيت على صفحات الوحى هذه الكلمات الرائعة:«إن الموعد [١] هو لكم ولأولادكم ولل الذين على بعد كل من يدعوه الرب» (أع ٢: ٣٩). ونحن من بين «كل الذين على بعد» ولهذا، فإن لنا حق المطالبة بهذا الموعد لأنفسنا، كى ننال ملء الروح، فيعدنا للحياة الأفضل ولحياة الخدمة.

على أنه توجد ثلاثة شروط لاتباعها، إن أردنا الحصول على هذه العطية المباركة، والاحتفاظ بها:

(١) يجب ألا نفرغ:

إن الله لا يملأنا طالما كنا ممتلئين، مع أن التلاميذ، كانوا قد قضوا ثلاث سنوات مع المسيح، تحت إرشاده وتعليمه المباشر، إلا أنهم كان لابد أن يقضوا عشرة أيام فى عملية التفريغ، التى كانت تمهيدا لا غنى عنه ليوم الخمسين. أما فى حالة إيليا، فقد تمت العملية بجوار النهر اليابس، وأثناء الرحلة الطويلة، الموحشة إلى صرفة، وأثناء إقامته بها، كانت مدة هذه الفترات، ثلاث سنوات وستة أشهر. كانت مدة الانتظار هذه طويلة ومضنية، ولكنه عرف

---

[١] وظاهر أن الإشارة هنا هى إلى ما ورد فى (أع ١: ٤) «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى».

كيف يصرفها على أحسن وجه، لأنه على قدر ما أفرغ من نفسه، ومن روح الاكتفاء، ومن الاعتماد على النفس، امتلأ من روح القوة، ولذلك؛ استطاع أن يقف على جبل الكرمل بكل مجد وجلال، مع ما كان يتطلبه الموقف من أعمال الجبابرة.

هل نحن مستعدون لدفع هذا الثمن؟ هل نحن مستعدون أن يخلينا الله من كل ما لا يتفق مع إرادته فى أية ناحية من النواحى؟ هل نقنع بأن نكون أوانى فارغة، مهشمة، حتى يستطيع النهر، الذى نرقد فى قاعه، أن يتدفق منا بسهولة؟

إن كنا غير مستعدين، فلنطلب منه أن يعمل فينا لكى نريد، ولكى نعمل من أجل مسرة مشيئته، أن يدفع الحديد البارد المستعصى إلى بوتقة نعمته، حتى ينثنى، ويطاوع إرادته الصالحة.

أما إن كنا مستعدين، فلنقدم طبيعتنا المفرغة لابن الله، ليملأنا بملء الروح، ولنؤمن أيضا، بأنه مستعد أن يملأنا بروحه، حالما نسلم ذواتنا إليه. إنك لا تطلب منه شيئا أسرع مما يطلبه هو منك، وكل من هذين الشرطين متمم للآخر.

إن النعمة كالطبيعة، تكره الفراغ، فكما أن الهواء البارد يندفع إلى المكان والإناء الفارغ حالما يجد فرصة، كذلك تدخل نعمة الروح القدس، كل قلب لا يفتخر إلا بأنه خال. قد لا يكون هناك تغيير مفاجئ، أو شعور بقوة خارقة للعادة، أو هبوب ريح، أو معمودية بالنار، ولكن رغما عن ذلك، فإن «السيد الذى تطلبونه يأتى بغتة إلى هيكله» (ملا ٣: ١). بطوفان من النور الهادئ الذهبى.

«هكذا قال الرب، اجعلوا هذا الوادى جبابا جبابا، لأنه هكذا قال الرب، لا ترون ريحا ولا ترون مطرا (مع ذلك فإن) هذا الوادى يمتلئ ماء» (٢ مل ٣: ١٦و ١٧).

إن الكثيرين من المسيحيين الذين يطلبون هذا الامتلاء المبارك، يرتكبون نفس الخطأ الذى يرتكبه من يطلبون المغفرة من الله، والقبول لديه، فإنهم يتطلعون فى داخلهم، لعلهم يجدون علامات قبول الروح، وسكناه فيهم، ويرفضون أن يصدقوا حلوله فيهم، ما لم يلمسوا بعض العلامات، ويتحققوا ببعض الأدلة التى يرونها ضرورية. وإننى أقرر هنا، بأن هذا خطأ محض، فإن الأمر لا يتوقف على الشعور، بل على الإيمان.

فإننا، إن أتممنا إرشادات الله، وجب أن نؤمن - سواء أحسسنا أو لم نحس بأى تغيير - أن الله قد قام بدوره، وتمم وعده الذى منحنا إياه فى المسيح يسوع ربنا، وأنه لم يتردد فى إعطائنا الروح القدس، كما لا يتردد الآباء الأرضيون، فى إعطاء الطعام لأبنائهم الجياع (لو ١١:١٣). وعندما نترك مخدعنا، الذى نكون قد سكبنا فيه نفوسنا أمام الله، لطلب الامتلاء بالروح القدس، يجب أن نلجأ لإحساساتنا، لكى نعرف إن كان قد حصل فينا التغيير الذى كنا ننتظره، بل لنصرخ بثقة الإيمان: «إننى أشكرك ياربى لأنك لم تتردد فى إتمام عملك المبارك، فإنك قد دخلت قلبى الذى يشتاق إليك، قد اتخذته لك مسكنا، لهذا؛ فإنك من هذه اللحظة، ستعمل فى لكى أريد ولكى أعمل من أجل المسرة».

يجب ألا نحاول معرفة حلول الروح القدس فى داخلنا بأية علامة تشير إلى شخصه. فإن الروح القدس لا يعلن عن نفسه، بل عن المسيح، هو يمجد المسيح (يو ١٦:١٤). أما أضمن العلامات بأنه فى داخلنا فى: حساسية متزايدة من جهة الخطية، يقظة الضمير، تقدير عظمة المسيح، وتمجيد اسمه، وإتمام مقاصده. هل هذه العلامات متوفرة لديك؟ وهل هى فى نمو مستمر؟ إذن، فأنت تدرك معنى الامتلاء بالروح القدس.

سُئلت فتاة مرة عن عمرها، فأجابت: إنى لا أحس بأننى أبلغ السابعة من عمرى، بل أحس أننى لا أتعدى السادسة، ولكن والدتى تقول؛ إن عمرى سبع سنوات؛ وهذا هو عمل الإيمان. إنها لم تضع الأهمية على إحساسها، بل على كلمات أمها. وهكذا نحن أيضا؛ يجب أن نكف عن تشخيص حالتنا بالعلامات الظاهرة، أو جس نبضنا بأنسنا، بل يجب أن نثق فى أمانة الله، وصدقه، ونفتح قلوبنا؛ لكى نمتلئ قوة وبركة.

(٢) ويجب أن نطيع:

سبق أن تحدثنا بقوة عن الطاعة، ولكننى أرى أن الأمر يدعو إلى زيادة التأكيد والتكرار؛ فالمسيح لم يتأخر عن تكرار وصيته، لحفظ وصاياه، فى كل عبارة تقريبا، فى حديثه الأخير مع تلاميذه (يو ١٤:١٥ و٢١ و٢٣ و٢٤). وهو يوضح لنا، سر ثباته فى محبة أبيه، فى هذه الكلمات القوية: «كما أوصانى الآب هكذا أفعل. إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى. كما أنى أن قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته» (يو ١٤:٣١و ١٥:١٠).

إن الطاعة السريعة، الكاملة، لتعليم الكلمة، ولإيحاءات الروح القدس الداخلية، شرط جوهرى لحفظ - بل لإنماء - ما حصلنا عليه من امتلاء.

وبالعكس، إن إصرارنا على مخالفة واحدة - مهما كانت ضئيلة - كاف لإيقاف أية بركة جديدة، فى حياتنا القادمة، بل ربما كان كافيا لحرماننا مما قد حصلنا عليه. «إن شئتم وسمعتم (وأطعتم) تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف» (إش ١:١٩و٢٠).

ليست هذه الطاعة صعبة المنال، لأن كل وصايا الله ممكنة، ونعمته كافية. تطلع إليها.. لو كان كل مؤمن يقرأ هذه السطور، يعزم من هذه الساعة، على الاقتداء بإيليا، الذى «انطلق وعمل حسب كلام الرب» (١ مل ١٧:٥و١٠) دون أن يتطلع إلى أى استحقاق فى ذاته، بل بباعث المحبة، ليس فى الأعمال العظيمة فقط، بل فى أتفه الأمور، لوجد فى الحال، أنه قد انفتح أمامه الباب لحياة مجيدة، جليلة. إننا على مرتفعات الطاعة الكاملة، نستطيع أن نتطلع إلى البحر الزاخر بالبركات؛ وإن طاعة إيليا الكاملة، هى الشرط الأساسى الذى به ننال ونحتفظ «بروح إيليا وقوته».

(٣) يجب أن نعيش على كلمة الله:

كان إيليا، والأرملة، وابنها، يعيشون على المؤونة المتجددة كل يوم، ولكن النبى، كان له طعام آخر ليأكله، لم تعرفه الأرملة، ولا ابنها، «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله» [١]. على هذه الكلمات، كان يقتات إيليا كل تلك الأيام الطويلة، التى تسير متباطئة. كان فى بعض الأحيان، يصعد إلى الجبال المتاخمة لتلك المدينة، ويقضى الأوقات الطويلة، فى تأملات عميقة، فى تلك الكلمة، التى هى: «مثل جبال الله». [٢] وفى بعض الأحيان، كان يتمشى على شاطئ البحر، متأملا فى تلك الأحكام، التى هى لجة عظيمة (مز ٣٦:٦). كان يستطيع أن يردد ما قاله غيره «وُجِد كلامك فأكلته، فكان كلامك لى للفرح، ولبهجة قلبى» (إر ١٥:١٦). ولعله، عندما كان يجلس مع المرأة وابنها، كان يحصر حديثه معهما فى تلك الكلمة، حتى اضطرت أن تشير إليها فى هذه العبارة الرائعة «هذا الوقت علمت أن كلام الرب فى فمك حق» (ع ٢٤).

---

[١] مت ٤:٤ (مكتبة المحبة).

[٢] الجبال العظيمة حسب الترجمة الانكليزية.

ولقد بين ربنا يسوع المسيح، أهمية الكلمة فى حياة المؤمنين، عندما قال: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية» (يو ٥:٣٩).

هذا هو الشرط الأساسى الآخر، للامتلاء من الروح القدس. ولدوام هذا الامتلاء؛ فإن الروح يعمل فى الكلمة، وبالكلمة. كما أن المعدن لازم للآلات البخارية، والأسلاك لازمة للكهرباء، وحبة الحنطة لازمة لدراسة روح الكتاب المقدس، دراسة روحية حقة؛ فإننا نفصل أنفسنا عن تلك الإرادة الفعالة، التى بواسطتها، يجتاز روح الله إلى الأرواح البشرية، وهذا هو أبشع أخطاء زماننا الحاضر.فإن المسيحيين أصبحوا يقنعون بحضور الاجتماعات الدينية، ويمارسون كل أنواع الخدمات المسيحية، ويقرأون كتبا نافعة كثيرة عن الكتاب المقدس، وعن الحياة المسيحية؛ أما الكتاب المقدس نفسه، فلا يهتمون به إلا اهتماما ضئيلا، وهذا هو السبب فى أن الكتاب المقدس لا يتحدث إليهم.

إن أردت إدراك مقدار هذا الجمال الساحر، فى إحدى الغابات؛ فيجب أن لا تقنع بالمرور فيها بخطوات سريعة، وبصحبة جماعة كثيرة من الأطفال المرحين، الذين يلقون بضحكهم فى قلوب الألوف من الكائنات الحية، التى تفضل البقاء فى جحورها وأوكارها، بسبب ما استولى عليها من الذعر، بل عليك أن تذهب إليها وحدك، وتجلس فى صمت، وهدوء، عندئذ؛ يبتدئ يتكشف أمامك، سر الجمال، خلال المظلات البديعة، ومساقى المياه، وأغصان الأشجار المتشابكة. وللحال؛ تسمع نغمة موسيقية من أحد العصافير على الغصن، إيذانا لعدد غفير من الجوقات الموسيقية، للبدء بنغماتها الشجية، فتتجاوب أصداء موسيقى العصافير فى أرجاء الغابة، وفى نفس الوقت، يسرع السنجاب، لتسلق إحدى الأشجار المجاورة، وتخرج أسراب الأرانب، لالتقاط طعامها، وتلهو الثعالب حول أوجرتها .. كل هذا، لا يمكن أن يعلن لأولئك الذين لا يستطيعون الانتظار. هكذا توجد أسرار من المجد، والجمال، فى الكتاب المقدس، مخفاة عن الحكماء والفهماء، ولكنها معلنة للأطفال.

فإن أردت أن تختبر جمال الكتاب المقدس، وحلاوته، وقوته؛ فلا تقنع بمجرد قراءته قراءة سطحية، بل ادرسه دراسة وافية، ادرسه بتعمق؛ تجد فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة. وإنك لن تجد كتابا يعوض عليك ما صرفته من وقت فى دراسته، كالكتاب المقدس.

حيثما وجدت الكتاب المقدس مهملا، وجدت نفسا خائرة، تهلك جوعا، وقلبا بلا تعزية، وحياة جافة بلا ثمر، وأحزانا للروح القدس. لو كان المسيحيون الذين يهرعون بمواظبة، إلى الاجتماعات الدينية، لالتقاط بعض الفتات من المعونة والتعزية، يوجهون عناية أكثر لدرس الكتاب، لازدادت الكنيسة سعادة، وازداد العالم بركة. قد تبدو هذه النصيحة فى نظر البعض حمقاء، ولكنها نصيحة حقة.

وهنا؛ يجب أن نترك المجال للفصل التالى، للتأمل فى تلك الحياة، التى عاشها ذلك البطل، الممتلئ بالروح، مع تلك العائلة، التى حل ضيفا عليها؛ إنما يكفى أن نذكر الآن، أن الروح القدس، الذى سكن فيه بغنى، أعلن عن نفسه فى تلك الصفات، التى هى من ثماره دوما: رقة وحلم، وقت الغضب، ثبات وقت التجربة، قوة فى الصلاة، حياة منتصرة على الموت. ولنلاحظ فى الختام، اعتراف الأرملة البارز، «هذا الوقت علمت أنك رجل الله» (ع ٢٤).

قد تتحدث أحيانا، عن رجل الأعمال، أو عن رجل المال، أو الرجل الذائع الصيت؛ ولكن، أليس الأفضل من الكل، أن يشتهر المرء بأنه «رجل الله»، أحد رجال الله، رجل حسب قلب الله. ويا لها من كرامة مضاعفة، ننالها؛ عندما يخاطبنا من اعتدنا أن نعيش معهم بهذه اللهجة، ويلقبوننا بهذه الكلمات... يقرر اختبار العالم، بأن الألفة، والدالة، وكثرة الاختلاط والمعاشرة، تسبب الاحتقار، ولكن؛ عندما يكون المرء ممتلئا من روح الله، فكلما ازداد البشر اختلاطا به، ازدادوا تأكيدا بأنه «رجل الله».

أما قوة الروح الذى سكن فى إيليا، فقد أظهرت نفسها فى النتائج الباهرة التى حصلت للأرملة وابنها. فالأرملة، أدركت خطيتها، وقبلت حق الله، والابن؛ بعد أن مات، قام من بين الأموات. ولا شك فى أنك تستطيع أن تختبر مثل هذه النتائج، لو طلبت أن تمتلئ إلى ملء الله. «من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها، يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها، لأنى ماض إلى أبى» (يو ١٤:١٢)، «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١:٨).





محك الحياة العائلية (١مل ١٧)

قد يستطيع الكثيرون، أن يقفوا كأبطال وقديسين فى عزلتهم بجانب نهر كريث، أو مرتفعات جبل الكرمل، ولكنهم، مع الأسف، يفشلون فى حياتهم العائلية فى صرفة، فإن مناجاة الله فى هدوء الطبيعة، والقيام بجلائل الأعمال، مع إظهار منتهى الغيرة فى حضرة الألوف، يختلفان كل الاختلاف عن السير معه يوما فيوما، وسط الحياة العائلية، بما تتطلبه دواما من إنكار الذات. مباركة حقا، تلك الحياة العائلية، التى نستطيع على أعتابها، أن نطرح كل تحفظ وتكتم، وكل دفاع عن النفس، كل شكوكنا، ومخاوفنا، ومتاعبنا، ونضع كل ثقتنا؛ فى أولئك الذين قد أفرغوا كل قلوبهم لمحبتنا.

على أنه من الجهالة أن أذكر، أننا فى حياتنا العائلية - مهما سمت فيها الأخلاق وارتقت - معرضون لأشد التجارب وأخطرها. فنحن، بلا انقطاع، فى حاجة قصوى لتدريب أنفسنا على اللطف، والوداعة، وإنكار الذات، وكبح جماح النفس، وكم من أشخاص؛ عندما يجوزون محك الحياة العائلية بمطاليبها، وواجباتها، يفشلون فى هذا الاختبار، رغما عما يبدو، من أن مستوى حياتهم، أرفع من مستوى أشخاص كثيرين، ممن يعيشون معهم.

هذا ما لا يليق أن يكون، بل ما يجب ألا يكون. فإن تديننا، إن كان كما يجب أن يكون، لصار مثل قانون الجاذبية، الذى لا يضبط الكواكب السيارة فى مداراتها فقط، بل يتحكم، حتى فى ذرات التراب الدنيئة، ويحتم سقوط أوراق الأشجار على الأرض. وعلى هذا القياس، فإن كل حركاتنا؛ كل نظرة، كل كلمة، كل تصرفاتنا، مهما كانت طفيفة، تكون خاضعة لديانتنا. والواقع؛ أننا نظهر حقيقة ديانتنا ودقتها، إن كانت تسود حياتنا، كما تسرى الحياة فى كل أعضاء الجسم. أما إن كانت ديانتنا، مجرد لباس نرتديه، فى أى وقت أردنا، ونخلعه فى أى وقت شئنا، كانت هذه ديانة زائفة. فالشخص المتدين تدينا حقيقيا، إن دهمته المصائب العظام، وجدته باشا، حلوا، رابط الجأش، كما لو قابل جمعا غفيرا، وإن حلت به الخسائر الجسام،

وجدته صابرا، كما لو حلت به خسارة طفيفة، وإن قدم إلى المشرحة لعملية جراحية خطيرة، وجدته متجلدا، محتملا، صابرا. «تكفيك نعمتى». هذا هو الجواب الوحيد، الذى نسمعه من السيد المسيح، ردا على كل طلبة، هذا هو الجواب الوحيد، لكل المعاذير، والأنات، مما يحل بنا من الشدائد.

إن حياتك العائلية، قد اختيرت لك، بواسطة ذاك الذى لن يخطئ قط، والذى يعرفك أكثر مما تعرف نفسه. إنها قد اختيرت لك، كأفضل مدرسة للنعمة؛ وقبل أن توضع أعباؤها على كاهلك، قد وزنت على أيدى المحبة الأبدية، أما أثقالها؛ فقد وزنت بمنتهى الدقة والعناية، بموازين أدق من موازين الصيادلة. والآن؛ إذ ينظر إليك السيد، يقول لك: لا يوجد شئ فى حياتك، لا تستطيع أن تتممه فىّ، ولأجلى وبى. وإننى مستعد أن أصيرك فى كل هذه الأمور، لطيفا، ونبيلا، وقديسا.

تأملنا قليلا فى الفصل السابق، فى روح إيليا وقوته، اللذين امتلأ بهما، ووهبا له، وأنهما لم يكونا سوى الروح القدس نفسه، وتعلمنا أن نفس هذه العطية المباركة، هى لكل واحد منا. حقا؛ إن الواجب يحتم علينا، بأن لا نهدأ، نمتلئ بنفس هذا الامتلاء، ونلبس نفس ذلك اللباس؛ على أننا الآن، نتتبعه إلى أحد البيوت، لنختبره بمحك الحياة العائلية. وسنرى أننا سنزداد حبا وتقديرا له.

لم يكن أعظم من أن يحيا حياة عائلية، حقيقية، عادية. لقد كان يعيش فى بيت تلك الأرملة، بنفس الروح التى وقف بها على جبل الكرمل. كان يشبه أحد تلك الجبال التى أشرنا إليها من قبل؛ المتناهية الارتفاع، التى لا يستطيع المرء الوصول إلى قممها، ولكنها قد اكتست فى أسفلها بالمروج، والأحراش الخضراء، والزهور النضرة، التى يستطيع النحل أن يجمع منه العسل، والتى يستطيع الأولاد، أن يلعبوا فيها. لقد برهن على أن المرء، عندما يكون ممتلئا بالروح القدس، فإن ذلك الامتلاء، يظهر من كيفية تصرفاته، وسلوكه فى الحياة اليومية.

(١) يعلمنا إيليا القناعة :

كانت موارد تلك الأرملة، ضئيلة جدا، لا تكاد تكفى الاحتياجات اليومية. إن الطبيعة البشرية، التى كانت قوية فى نفس ذلك النبى، كما هى قوية فى نفوسنا أجمعين، كانت تفضل

لو أنها استطاعت أن تتطلع إلى الدقيق، وبراميل الزيت، كانت تود لو استطاعت أن ترتاد المخازن الفسيحة، وإذ تسرح الطرف فيما ادخر بها من مؤونة وافرة، تناجى نفسها قائلة: «يا نفسى لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة، استريحى، وكلى واشربى، وافرحى» (لو ١٢: ١٩). لكن هذه ليست طريقة الله، ولا هى بالطريقة المثلى، للحياة الأفضل.

إن ناموس الله هو «يوما فيوما». فالمن؛ كان يسقط على رمال الصحراء يوما فيوما، والوعد الذى لنا؛ هو أن نعطى خبزنا كفافنا، يوما فيوما. وكما يكون يومنا قوتنا. والذين يعيشون حسب هذا الناموس، يذكرون دواما، اعتمادهم على محبة أبيهم الذى فى السموات، ويرجعون ليعيشوا حياة الأطفال الصغار، ويكونون فى مأمن من تجربة روح الاكتفاء، التى تحطم حياة الأغنياء، كالجراثيم الصغيرة، التى تعمل فى الخفاء، لإتلاف قاع السفن العظيمة التى تلاطم الأمواج.

لو أن الله خيرنا بين أمرين: إما أن نتطلع إلى مؤونتنا، ونحفظها بأنفسنا، أو أن لا نراها نحن، بل نترك له أن يعطينا منها يوما فيوما، لفضل الأغلبية الساحقة الحالة الأولى. فإن إعداد المخازن، وتدبير البراميل والأكياس، هذه كلها تشبع شهوة النفس، وتظهرنا بمظهر العظمة فى أعين الآخرين، وتبعث فى القلب حالة الاطمئنان.

على أننا يجب أن نكون أوفر حكمة فنقول: إننى أكتفى بتركيز كل ثقتى فيك، أيها الآب السماوى، الإله الحى، الذى يعطينا كل شئ، بغنى للتمتع، لتكن المخازن تحت تصرفك أنت، وفى يدك؛ فإن ذلك أوفر راحة لى، وأقل ارتباكا، ولا يدخلنى فى تجربة، ولا يعرضنى للغيرة من الآخرين ذوى النصيب الأكثر، ولا للزهو والكبرياء، إن كان نصيبهم أقل.

إن الذين يعيشون بهذه الروح، ليسوا أشقى حالا من غيرهم، بل هم فى الواقع، أسعد منهم كثيرا؛ فإنهم قد وضعوا مسئولية إعالتهم على الله، فتخلصوا من ارتباكات كثيرة، ومن ضغط الاهتمامات اليومية، ومن التجارب، التى تجعل دخول الأغنياء إلى ملكوت السموات، أمرا عسيرا.

وإن كان الرب يضمن أن يسد كل احتياجاتنا – وهذا هو ما فعله تماما – فهل يهمنا أن نرى المصادر التى يعولنا منها؟ صحيح؛ إن ذلك قد يشبع رغبة حب الاستطلاع الكامنة

فينا، ولكنه لا يزيدنا اطمئنانا. يكفينا أن نعرف، أن هذه المصادر موجودة فعلا، وأنها تحت بصره، وأنها تصل إلى أيدينا سالمة، كما لو أخذنا منها نحن مباشرة.

أما أهم ما يجب أن نعرفه، فهو ذلك الوعد الثمين «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم»، وبعد ذلك، لنستمر فى تأدية واجباتنا العادية اليومية، وإتمام الأغراض المرسومة لنا. وفى هذه الحالة، نتحرر من كل هم، كالطيور التى ليست لها مخازن، نضحك فرحين، كالطفل الذى يعود من مدرسته ليأكل، ثم يخرج ثانية، ليلعب، دون أن يفكر على الإطلاق، فى أكلته التالية. وقد نكون فقراء فقرا مدقعا، ومخازننا خاوية، ثروتنا تبددت، وكل مصادر معيشتنا، نضبت، ولكن؛ أبانا لديه مصادر لا تنضب. ألوف البهائم التى على الجبال، ملك له (مز ٥٠:١٠)، وجميع حقول الحنطة الفسيحة، ملك له، ربوات الأسماك فى أعماق البحار، تحت أمره، وتحت تصرفه. وكم من عبيد له يفضل عنهم الخبز، إنه قد أعد كل شئ لسد أعوازنا، لابد أن يعطينا إياها فى الوقت المناسب، إن كنا نركز فيه ثقتنا.

يستحيل أن يتكهن المرء، عن كل الأشخاص الذين سيقرأون هذه الكلمات، ولكن؛ إن قرأها بعض ممن يجعلون غايتهم الوحيدة، أن يعيشوا حياة الاستقلال المطلق، والاستغناء عن كل مساعدة، ليتأملوا قليلا فى معنى ما يقصدون. هل يقصدون الاستغناء عن الله، أم عن البشر؟ إنهم فى الواقع، سوف يتحققون من أنهم لن يستطيعوا الاستغناء عن الله، ولا عن البشر. وهنا، نرى ذلك السؤال الخطير، يبرز نفسه متسائلا: هل هذه الغاية، تليق بعبيد المسيح، الذين اشتراهم لنفسه؟ يقينا، أننا قد قصد بنا أن نكون وكلاء، ليس لكى نكتنز أموال الله لأنفسنا، بل لكى نقدم له، كل ما يفيض عن سد أعوازنا، وأعواز عائلاتنا، لينفق فى المركز الذى أقامنا الله فيه. أما غايتنا الوحيدة من العالم، فهى؛ أن لا ننفق أموال ربنا إلا فى أشد الأمور نفعا، وأمسها حاجة، حتى نستطيع أن نقدم له حسابا، باغتباط وسرور، عندما يأتى لمحاسبتنا.

أما إذا قرأ هذه السطور، أولئك الذين لا يمتلكون أكثر من قوت يومهم، وليس لهم رجاء فى امتلاك شئ، أكثر من حفنة الدقيق، ودهنة الزيت، فيلكن لهم من أمثال إيليا، عزاء وسلوى، «كونوا مكتفين بما عندكم، لأنه قال، لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣:٥).

قد يجرد برميل اليوم، من كل ما بقى فيه من دقيق، ولكنك إن عدت إليه غدا، وجدت فيه حاجة الغد، وقد تأخذ اليوم من الكوز، آخر نقطة من الزيت، ولكنك ستجد فيه غدا، كل كفايتك. إن ارتباكاتك لن تجديك نفعا، ولكن صلاة الإيمان، هى التى تفيدك، «لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت ٦:٣٢).

إن الذى أشعل سراج الحياة، يعلم تمام العلم، مقدار ما يحتاج إليه السراج، ليستمر فى الاشتعال، فألق كل المسئولية على الله، لأنه إن كان قد أعطانا ابنه، كيف لا يهبنا أيضا معه كل شئ ؟ (رو ٨:٣٢)، لا تصغ إلى رئيس الكذابين، الذى ينفث فيك سموم اليأس، عدم الثقة، فإنه كاذب فى كل ادعاءاته، مخادع فى كل إيحاءاته، لا تركن إليها، فإنها كلها سموم قاتلة، بل، عليك أن تطأها بقدميك.

ليتنا نتعلم، كيف نقنع بالحالة التى نحن فيها، مهما كانت تلك الحالة، حتى لو تعلمنا تلك الدروس، فى مدرسة الفقر والفاقة. ليتنا نستطيع أن نصرخ مع أحد أقران إيليا:«أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤:١٣). «لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل، أن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذى فيه يعطى الرب مطرا على وجه الأرض» (ع١٤).

(٢) ويعلمنا أيضا الحلم وقت الغضب :

نحن لا ندرى طول مدة مرض ابن تلك الأرملة، ربما لم يطل أكثر من نصف نهار، كذلك الولد الذى صرخ قائلا: «رأسى رأسى» (٢مل ٤:٢٩)، أو ربما يكون قد طال مرضه، فتهدمت صحة الولد، وتثقلت نفس الأم، وتحطمت أعصابها، حتى خاطبت رجل الله – الذى نجى عائلتها – وقالت له فى غباوة وقسوة: «هل جئت إلىّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى» (ع١٨).

كان هذا الادعاء الباطل، وتلك اللهجة الجافة، كافيين لإثارة شعوره، فيرد عليها بقارس الكلام. ولا شك فى أنه لو لم يكن ممتلئا من الروح القدس، لفعل كذلك، وأنى له أن يفعل ذلك؛ وهو مملوء باللطف، أحد ثمار الروح القدس، الساكن فيه «وأما ثمر الروح، فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف» (غل ٥:٢٢). إن الطبيعة، التى يخلقها روح الله فى النفس، تتفق مع طبيعته التى هى المحبة، «والمحبة تتأنى وترفق، ولا تحتد، وتحتمل كل شئ، وتصدق كل شئ،

وترجو كل شئ، وتصبر على كل شئ» (١ كو١٣: ٤-٧). وهذا هو نفس ما حدث، فإن إيليا لم يجبها بأكثر من أن «قال لها أعطيني ابنك» (ع ١٩). وإن كان هنالك ما أشعل نيران الغضب في قلبه، لحيظة، فقد أطفأتها في الحال، حمامة الروح القدس، التي سكنت وادعة، في عش قلبه.

إننا في أشد الاحتياج لهذه التقوى العملية، فإن الكثيرين يخدعون أنفسهم، تجدهم يواظبون على الاجتماعات الدينية، وحضور الكنيسة، ويعترفون بأنهم قد كرسوا كل شئ لله، ويتحدثون كأنهم ممتلئين حقا من الروح القدس، ولكنهم؛ بمجرد عودتهم إلى بيوتهم، تجدهم يثورون، ويحتدون كالبركان، لأقل احتكاك، أو لمجرد الاعتراض على آرائهم، أو لصدور أي خطأ من الآخرين. أمثال هؤلاء، لم يختبروا بعد نعمته الخاصة، ولا تزال أمامهم دروس كثيرة ليتعلموها، والذي أرشدهم إلى المسيح أولا، يستطيع أن يخلع عليهم من لطفه، ووداعته، ويستطيع أن يمنحهم نصرة على ضعفهم الطبيعي، كما يمنحهم نصرة على كل خطية، ويستطيع أن يغيرهم تغييرا كاملا، حتى «عوضا عن الشوك ينبت سرو [١] وعوضا عن القريس [٢] يطلع آس [٣] ويكون للرب اسما علامة أبدية لا تنقطع» (إش ٥٥: ١٣).

إن كان الروح القدس، يملأ القلب حقا، فإنه يستطيع أن يغير أحد الطباع، وأشد الأخلاق غلظة وفظاظة، ويبدد كل أثر لمحبة الذات، وعندئذ؛ لا ترى إلا كل لطف، ورقة في الحديث، بل وفي نبرات الصوت، وكل تفكير هادئ، طاهر، حتى في أتفه الأمور. وسلام الله الذي يفوق كل عقل، يبدو على الوجه، وتكون هذه كلها الختم الظاهر، للروح القدس، والعلامة الظاهرة، بأننا أبناء السماء، هل هي واضحة جلية في حياتنا؟

أيها الروح الوديع، املأ قلبي
فأصير أنا أيضا وديعا، ويزداد لك حبي
ولا يخرج من فمي إلا ما هو صالح للبنيان
فتبدو حياتك فيّ ظاهرة للعيان

---

[١] شجرة الصنوبر

[٢] شجيرة صغيرة تشبه نبات النعناع،إلا أنها بلا رائحة، تظهر في فصل الربيع،يكسوها وبر دقيق جدا وتسبب حساسية شديدة وحكّة للجزء الذي يلمسها من جسم الإنسان . (مكتبة المحبة).

[٣] نبات جميل المنظر، عطري الرائحة.

(٣) ويعلمنا إيليا أيضا قوة الحياة الطاهرة :

سبق أن تلوثت حياة المرأة، بلوثة أخلاقية، فاقت ذكرياتها، عن ذكريات كل خطاياها السالفة، وبقيت جاثمة أمام ناظريها، كإثم لا يغتفر (إثمى) (ع١٨).

نحن لا ندرى ماهية ذلك الإثم، وربما كان يتعلق بميلاد ابنها هذا نفسه. ولعله قد ارتكبته منذ سنوات طويلة مضت، فامتلأ قلبها حزنا وقت ارتكابه، وتثقل ضميرها، لأن الضمير لا يمكن إلا أن يقوم بعمله، حتى فى قلوب الأمم والوثنيين (رو٢: ١٤و١٥).

على أنها بمرور الأيام، زالت عنها حدة ذلك الحزن والألم، وابتدأ لظى نيران الضمير يخبو قليلا، فكانت فى بعض الأحيان، لا تذكر شيئا عن إثمها أياما، بل أسابيع، بل شهورا. لأننا جميعا لنا قدرة عجيبة على أن ننسى كل فكرة غير محبوبة، كما يحاول البشر أن يخفوا عن أنفسهم العلامات الظاهرة جدا للمرض، وهو يفت فى عضدهم، وينخر فى عظامهم.

ليس فينا من يجهل ذلك الاختراع البديع، المسمى بالحاكى (الفونوغراف)، الذى يسجل الصوت على اسطوانات شمعية، ومن هذه الاسطوانات، يمكن تكرار سماع الصوت بعد النطق به بمئات السنين. تصور نفسك الآن، وأنت تسمع أصواتا، قد رقد أصحابها فى مقرهم الأبدى منذ أمد بعيد.[١]

إن عمل الذاكرة يشبه هذا الاختراع المادى، فإنها تثبت كل المؤثرات، وتطبعها فى المخيلة، ثم تستعيدها. إنها لا تسمح بمحو هذه المؤثرات، بأى حال من الأحوال، ولو أنها قد تعجز أحيانا، عن إبرازها لأول وهلة.

تشبه بعض الذاكرات، مكتبة منظمة تنظيما جيدا، تستطيع أن تعثر فيها، حتى على أتفه نبذة، فى الحال، وبعض الذاكرات، تجدها مشوشة مضطربة، حتى أنها لا تفيد أصحابها الفائدة العملية، وحتى فى هذا النوع الأخير، لا يمكن أن يفقد شئ قد دخلها. وحيثما وجدت المفتاح الحقيقى، قامت الأصوات من مرقدها، وانبعثت المناظر، والأفكار، الى طال عليها العهد، وهى دفينة.

---

[١] لا ننسى بالطبع الاختراعات الحديثة فى وقتنا هذا (مكتبة المحبة).

كم يكون مرعبا للنفس الشاردة إذ تواجه - على عتبة العالم المظلم الذى تذهب إليه - بتلك الكلمات الأليمة «يا بنى اذكر» (لو ١٦:٢٥). وأى عقاب أشد هولا، من أن نضطر لمواجهة الماضى الدنس، إذ؛ لابد أن تعرض الذاكرة كل بضاعتها. أما الضمير، فلا يعود بعد بليدا، بل تعود إليه حساسيته، فيقتنع بأن الخطية خاطئة جدا.

ومما يلاحظ باهتمام، اختلاف البواعث الفكرية، التى تكفى لإيقاظ الذاكرات النائمة فى العقول المختلفة. فلدى البعض، قد يكفى لإيقاظ الذاكرة، مجرد رؤية خطاب قديم، أو صورة معينة، أو شم رائحة يحملها النسيم، أو سماع أغنية . ألم يكن حزن أخوة يوسف فى ضيقتهم، كافيا لتذكيرهم بمعاملتهم المشينة لأخيهم منذ ثلاثين عاما؟ أما فى حادثة امرأة صرفة، فقد كانت حياة إيليا المقدسة، وكذا حزنها بسبب مصيبتها، هما اللذان ذكراها بإثمها. تحت ضغط هذين العاملين، بعثت ذاكرتها ما كان دفينا، واستيقظ ضميرها من سباته العميق، وقام إلى قوة الحياة «هل جئت إلىّ لتذكير إثمى».

آه.. ليتنا نعيش فى قوة الروح القدس، حينئذ؛ تكون نظراتنا كافية لإقناع أشر الخطاة بخطيتهم، كما قيل عن «فينى» الذى كان وجهه المكتئب، كافيا لإقناع إحدى الشابات بخطيتها، وبواسطتها، ربح جميع عمال مصنع كبير.. حينئذ، تكون سيرتنا المقدسة، شاهدا حيا لتوبيخ الأثمة، ومرآة تكشف للخطاة، عن الدمار الذى تسببه الخطية.. وحينئذٍ، تكون كلماتنا سيفا ذا حدين، مخترقة إلى مفرق النفس والروح (عب ٤:١٢).

إن كان هنالك ممن يقرأون هذه الكلمات، من يشعر بخطية كامنة لم تغفر بعد، فليعلم أن كل مجهود يبذله لينساها، ذاهب أدراج الرياح. فإنه قد يأتى المرض، أو فقد عزيز، أو الخسائر الفادحة، كأنها قد ارتكبت بالأمس فقط. يقال؛ إن روح القتيل يطارد القاتل، حتى يعترف بجريمته، ويقدم الترضية اللازمة، وهذا القول فيه بعض الحق، لأن الخطية لا تمحى من ذاكرة الله، وذاكرة النفس، إلا إذا اعترفنا بها، ووضعناها تحت دم المسيح. فاعترف أيها الأخ بخطيتك، واطلب من الله الآن، أن يطهرك منها، فتسمع صوته قائلا لك: «لا أعود أذكر خطاياك وتعدياتك فيما بعد» (عب ٨:١٢).

(٤) ويعلمنا إيليا أخيرا سر منح الحياة :

من ضمن ما يتميز به أولئك الذين قد امتلأوا بالروح القدس، أنهم يحملون معهم، أين حلوا، روح الحياة، بل روح الحياة المقامة من الأموات. فإننا لا نقف عند حد إقناع الآخرين بخطاياهم، بل نصبح أوانى مقدسة، تنتقل إليهم، بواسطتنا، الحياة الإلهية. هكذا كان الحال مع إيليا، لكن؛ لاحظ الشروط التى يجب توفرها ، حتى يتم فينا هذا الملء المجيد.

(١) الصراع فى عزلة:

«وأخذه من حضنها، وصعد به إلى العلية التى كان مقيما بها، وأضجعه على سريره، وصرخ إلى الرب» (ع١٩و٢٠). إن صلواتنا، غير مخصصة، وغير محددة، وغير موجهة، إلى هدف معين، ونحن لا نصرف وقتا كافيا فى الصلوات الشفاعية، ذاكرين فى صلواتنا بكل إلحاح، كل شخص محبوب، وكل شخص مجربٍ، فلا عجب إذن؛ إن كانت صلواتنا قليلة الثمر.

(٢) التواضع:

«فتمدد على الولد» (ع ٢١). أليس عجيبا، أن ترى رجلا عظيما، يصرف وقتا ومجهودا، على ذلك الهيكل الفاني، ويرتضى بأن يلتصق بذلك الميت، الذى قد تعتبره منجسا له؟ حقا؛ إن هذا المنظر أخاذ، وعلينا أن نقتدى به لحد ما، علينا أن نجاهد فى سبيل تجديد حياة الأولاد، وربحهم، قبل أن يقتنصهم الشيطان، أو العالم. ولكن؛ لكى نفعل هذا، يجب أن ننحنى إليهم، ونصير مثل الأطفال، حتى نربح الأطفال للمسيح.

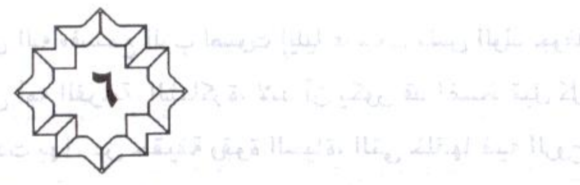
(٣) المثابرة:

«فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب»(ع ٢١). لم يتطرق إليه اليأس سريعا. وهكذا، يختبر الله مقدار إخلاصنا فى رغباتنا. إن تأخير استجابة صلواتنا، يجب أن يقودنا إلى زيادة التعمق فى الصلاة، زيادة التقدم فى الجراءة، وزيادة الاستمرار فى اللجاجة، وهذه كلها بركات، ما كنا نحلم بالوصول إليها من غير هذا الطريق. «ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل».

وقد لقيت تضرعاته نعمة لدى الله «فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد جوفه فعاش» (ع٢٢).وحالما قدمه إيليا إلى أمه الفرحة، الشاكرة، لابد أن يكون قد اغتبط قبل كل شئ، بشهادتها البسيطة، التى شهدت بها، عن حقيقة وقوة الحياة، التى خلقها فيه الروح القدس، «هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق» (ع٢٤).

وماذا كانت نتيجة كل ذلك؟ كانت أن تلك المرأة سمت أخلاقها، وتغيرت حياتها باختلاطها برجل الله، حتى أن المخلص، وهب لها أجر نبى (مت ١٠:٤١). لقد كانت الخدمة التى أدتها تافهة، وكان إدراكها محدودا، وكانت فى حياتها وثنية، ولكن؛ لأن عواطفها كانت شريفة، والباعث الذى دفعها للخدمة نبيل، ولأنها أظهرت عطفها على إيليا، فقد شهد لها الله، ديان الجميع، بأنها قد فعلت كل ما فى وسعها، وبأنها ستنال إكليلا فائق المجد والبهاء.

إن جزاءنا لا يتوقف على مقدار اتساع دائرة عملنا، ولا على نتائج خدمتنا، بل على مقدار إخلاصنا فى عواطفنا، وعلى مقدار جمال البواعث الدافعة فينا. وهذه تصل إلى نفس درجة السمو فى أرملة مجهولة، كما تصل فى إيليا نفسه.



النقيضان - عوبديا وإيليا (١مل ١٨)

وبعد أيام كثيرة، كانت كلمة الرب إلى إيليا ثانية، لكى يتخذ أهبته للرحيل. لقد مرت عليه الشهور، بل السنون، وهو فى عزلته فى صرفة، وفى أثنائها، التصقت نفس الأرملة وابنها به، بأقدس الروابط. أما ذلك البيت المتواضع، بعليته، وبكوار الدقيق، وكوز الزيت، فقد تقدس بأبهج الذكريات، عن عناية الله التى لا تحد.

لابد أنه وجد فى الأمر الذى صدر إليه للرحيل، تجربة شديدة، ويا له من اضطهاد شنيع كان ينتظره، فلعله قد سمع بأن أخآب، يبحث عنه فى كل الممالك المجاورة، وبأنه لم يترك أمة أو مملكة، لم يبحث فيها عنه، ويستحلف حاكمها، بأنه غير مختبئ فيها. لهذا، لم يكن معقولا بأن يقابل بالاحترام، بل كان المنتظر، أن يقبض عليه فى الحال، ويسام كل أنواع العذاب، أو «يسحب» تلك الكلمات التى سببت عدم هطول الأمطار على كل البلاد، ثم الجفاف. وإذ بدأ يقارن بين تلك العاصفة، التى كانت مزمعة أن تعصف على سفينة حياته وسط الأمواج المتلاطمة، وبين الميناء الهادئ، الذى اختبأ فيه مدة طويلة، كان ممكنا أن يفكر فى الانسحاب من الميدان فى فزع، ولكنه لم يفكر فى أمر آخر، سوى الذهاب، فإن الذى قال له فى بداءة الأمر «انطلق واختبئ» قال له الآن «اذهب وتراء» (ع١). وهل كان هو إلا خادما مطلوب منه الطاعة والخضوع؟ وهكذا، فى بساطة الطاعة التى لفتت أنظارنا أكثر من مرة «ذهب إيليا ليتراءى لأخآب» (ع٢).

وفى هذا الارتحال الجديد، لابد أن يكون النبى قد شجع نفسه، بتلك الكلمات التى تعلمها، عندما دخل إلى حضرة الملك فى المرة الأولى «حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه» (ع١٥). ولعل نفسه قد رددت بإيمان قوى، وعزم ثابت، تلك الكلمات التى نطق بها أحد أولاد الله منذ بضعة أجيال مضت «الرب نورى وخلاصى ممن أخاف. الرب حصن حياتى ممن أرتعب. عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمى مضايقى وأعدائى عثروا

وسقطوا . إن نزل على جيش لا يخاف قلبى. إن قامت على حرب ففى ذلك أنا مطمئن». (مز ١:٢٧-٣).

ومع أن روح إيليا كانت محصنة ضد الخوف، إلا أنه لابد أن يكون قلبه قد امتلأ حزنا، إذ رأى الخراب الذى حل بالبلاد. فخرير المياه لم يعد يسمع فى الأرض، والخضرة التى كانت تكسو الجبال، والمراعى، انعدمت، ولم تعد الأزهار ترى على أشجار التين، ولا الأثمار على الكروم، ولم تعد معاصر الزيتون تؤدى عملا. وهكذا! صارت الأرض قاحلة جرداء. أما الأيائل، فقد تركت صغارها، واختبأت فى الحقل، لانعدام الحشيش، وأما الحمار الوحشى، فقد تسلق الجبال، ليستنشق أقل نسمة هواء، يخفف بها شدة وطأة حرارة العطش.

ولعل الطرقات فى المدن والقرى المجاورة، قد امتلأت من جثث الفقراء المساكين، الذين قد تضوروا جوعا، فتناثرت أشلاؤهم هنا وهناك، بسبب شدة الفقر المدقع.

نحن لا نستطيع أن ندرك تمام الإدراك،ونحن نعيش فى هذه المنطقة المعتدلة المناخ - مقدار هول الجفاف فى البلاد الشرقية. كل هذا حصل نتيجة صلاة إيليا. وكم تكون الحالة أشد إيلاما لنفسه، لو لم يدرك شعبه مقدار شر الخطية وقبحها «ويوبخك شرك وعصيانك يؤدبك، فاعلمى وانظرى أن تركْك الرب إلهك شر ومر» (٢:١٩).

ومع أن المجاعة كانت شديدة فى كل مكان، إلا أنه يبدو، أنها كانت أشد فى السامرة «وكان الجوع شديدا فى السامرة» (ع٢). وكانت هذه المجاعة، هى التى أظهرت صفات أخاب الحقيقية. فقد كنا ننتظر، أنه يكرس نفسه لكى يخفف من بؤس شعبه، وشقائه، وأن يرجع إلى الله قبل كل شئ؛ ولكن شيئا من هذا لم يحصل. فقد حصر كل تفكيره فى خيله وبغاله، ووجه كل اهتمامه، إلى إنقاذ ما يمكن انقاده، لأجل هذه الغاية، قام برحلة للبحث عن العشب. ويا لقبح محبة الذات، التى تسلطت على قلبه، فكيف يهتم بالبغال والخيل، قبل أن يهتم بشعبه، وكيف يبحث عن العشب، بدلا من أن يبحث عن الله!!

على أن محبة الذات هذه، لا تزال إلى الآن متفشية، حتى كادت تسود الجميع. أليست محبة الذات هى التى تدفع عظماء الأرض، لكى يزجوا بربوات البشر فى الحروب الطاحنة، التى تحصد النفوس حصدا، لكى ينتقموا لأنفسهم، بسبب مجرد إساءة شخصية بسيطة، أو

إشباعا لشهوة جامحة، غير مبالين بالشقاء المقيم على ألوف العائلات، وربوات الأفراد؟ أليست محبة الذات، هى التى تجعل الأغنياء ينامون على الفراش الوثير، ويباهون بجيادهم المطهمة، وعرباتهم الفخمة، ويأكلون أفخر الطعام، وما لذ لهم وطاب كل يوم، غير مبالين بأولئك المساكين، الذين يتضورون جوعا، وهم أصل ثروتهم، إذ لا يعطونهم إلا أجرا زهيدا جدا؟ أليست محبة الذات، هى التى تنفق على أثاثات البيوت، وعلى الخيل، والكلاب، والصيد، والملاهى، أكثر مما يحتاجه الأمر لدوام عمل الله، أو أكثر مما يلزم، لإسعاف الفقير، وتخفيف آلامه؟ وهل يخلو من هذه النقيصة، أولئك الذين يسمون أنفسهم مسيحيين؟ ألا يوجد الكثيرون منهم، ممن ينفقون على وليمة واحدة، أكثر مما ينفق على احتياجات هذا العالم البائس؟ أليس كل هذا تكرارا لخطية أخآب، الذى ذهب لكى يفتش عن عشب لبهائمه، وترك شعبه يتضور جوعا؟

ليت روح الله ينتزع هذا الروح الخبيث، روح محبة الذات من قلوب الجميع. إذن، لما تعطلت جهود الهيئات التبشيرية، بسبب عدم وجود المال؟ ولامتلأت خزائن المؤسسات الخيرية، واستطاع العمال النشيطون، المجدون، أن يخرجوا إلى حيز التنفيذ، المشروعات الكثيرة، التى قد تعطلت تعطيلا كليا، بسبب الحاجة إلى المال.

إننى لا ألوم المسيحيين، الذين يظلون فى أعمالهم، ووظائفهم، التى كانوا يشغلونها وقت دعوتهم للمسيحية، فإن الواجب يحتم عليهم، أن يظلوا فى تلك الوظائف، ويعتبروا أنها وزنات مقدسة من الله (كو ٧: ٢٠و٢٤). ولكننى لا أفهم، كيف يدعى المرء أنه مسيحى، وهو ينفق على ملذات الحياة، وكمالياتها، أكثر مما ينفقه على خدمة الإنسان، الذى هو عزيز جدا فى نظر الله. كانت هذه حقا، هى محبة الذات التى تملكت آخآب.

من المدهش أن نعثر على إنسان مثل عوبديا، يشغل مركزا خطيرا فى بلاط أخآب «عوبديا الذى على البيت» (ع ٢)، أى الوكيل المتصرف على البيت. كان عوبديا يخشى الرب منذ صباه، حسب شهادته لنفسه (ع ١٢)، وهذه أيضا، هى شهادة كاتب هذا السفر عنه، «وكان عوبديا يخشى الرب جدا» (ع٣).

وهو قد أعطى برهانا ناطقا على تقواه، لأنه عندما اكتسحت إيزابل الأرض، باضطهاد عنيف، وطاردت أنبياء الله، لقتلهم جميعا بلا تمييز، نجى مائة من هؤلاء الأنبياء، وخبأهم خمسين خمسين فى المغاير، «وعالهم بخبز وماء» (ع٤). ومع أنه كان رجلا صالحا،

إلا أن أخلاقه كان ينقصها الكثير من الشجاعة الأدبية، وصلابة العود، وقوة الشكيمة، وإلا لما استطاع أن يلبث فى تلك الوظيفة فى خدمة أخآب وإيزابل.

لا ضرر مطلقا على أى شخص مسيحى، أن يشغل مركزا ممتازا فى بلاط أى ملك، أو فى أية هيئة، إن كان يستطيع أن يفعل ذلك دون أن يضحى بمبدئه، بل بالعكس، إن وجوده فى مركز كهذا، قد يكون فرصة لتقديم خدمات جليلة لحق الله، على أن القليلين، هم الذين يستطيعون أن يشغلوا أمثال هذه المراكز، دون الالتجاء إلى الأكاذيب، والغش، والمداهنة، والمصانعة؛ ولدينا كل الأدلة، على أن هذه كانت نقطة الضعف فى عوبديا.

كان عوبديا لا يؤمن بأنه يجب أن يكون متطرفا، لقد كان بطبيعة الحال، غير راض عن الحوادث الجارية حوله، على أنه رأى بأنه لم يكن مطلوبا منه أن يفرض آراءه، ومعتقداته الدينية على كل إنسان. فكم من مرة، كان يتألم بسبب ما كان يراه من الأمور فى القصر الملكى. وكان لا يجد راحة فى السكوت على هذه الأمور، ولكنه كان يرى، بأنه ليس مسئولا عن تصحيحها، وأنه يجب أن لا يتدخل فيما لا يعنيه، وإن طرده من وظيفته، لا يصلح هذه الأخطاء، لأنه كان واثقا من طرده لو جاهر بآرائه. وكان كلما تأمل فيما يتجرعه أنبياء الله من آلام اشتد حزنه، وفكر فى الدفاع عن قضيتهم، ولكنه كان يرى، من الناحية الأخرى، أن شخصا واحدا مثله، لا يمكن أن يكون جهاده فى هذه الناحية كثير الإنتاج. ولهذا، فضل أن يساعدهم بطريقة هادئة، بأن يظل فى مركزه، ولو كان فى ذلك فى بعض الأحيان، كسر لمبادئه.

ولابد أن ذلك المسكين، كان يجده أمرا شاقا على نفسه، أن يوفق بين واجبه لإلهه، وواجبه لسيده الآخر - آخآب. ولعل إيليا، قد لمح لهذه الحقيقة، بمكر ودهاء، عندما قال له: «اذهب وقل لسيدك هو ذا إيليا» (ع ٨). إن خطة السياسة، والمصانعة، والمداهنة، تشبه السير على الحبل، الذى يقتضى كثرة التمرن على حفظ التوازن.

وكم من أشباه عوبديا، يحيطون بنا فى كل مكان، بين أدعياء المسيحية. إنهم يعرفون الحق، ويحاولون أن يفعلوه سرا، ولكنهم لا يتكلمون إلا النادر عن الشئون الروحية، ولا يوبخون الخطية على الإطلاق. ولا يظهرون حقيقة أمرهم. وإذا ما ثار فيهم الضمير، تلمسوا لأنفسهم المعاذير، وإذا عرفت حقيقة أمرهم لدى جماعة المسيحيين الحقيقيين، احتدم فيهم الغضب، واشتد الألم، كما فعل عوبديا، عندما أرسله إيليا إلى آخآب. وإذا ما سمعوا عن

اضطهاد يحل بالمؤمنين من أجل البر، اشتد حزنهم، ولكنهم، لن يخطر ببالهم الوقوف بجانبهم، لتشجيعهم، وتقويتهم، وشد أزرهم. إنهم يسكتون ضميرهم ببعض الخدمات الطفيفة التى يسدونها إليهم، كما فعل عوبديا بالأنبياء المطاردين. وبينما هم يخفون هذه المساعدات عن العالم، تجدهم يبرزونها لأولاد الله، كدليل على إخلاصهم وغيرتهم، كما فعل عوبديا، «ألم يخبر سيدى بما فعلت.. إذ خبأت من أنبياء الرب مئة رجل» (ع ١٣). وقد تدفعهم الحماسة فى بعض الأحيان، إلى حد ترك كل شئ، وتضحية كل شئ، والوقوف موقف مشرف للدفاع عن الحق. ولكنهم سرعان ما ينكصون على أعقابهم، إذ يجدونه أمرا عسيرا عليهم، أن يتقدموا ليتألموا مع شعب الله، طالما كانوا ساكنين فى القصور، متنعمين بكل حاجيات الحياة.

يا له من تناقض بين عوبديا وإيليا.. من أجل هذا، عزمنا بنعمة الله، على تحليل شخصية عوبديا، لزيادة إيضاح ذلك الاختلاف، ثم لإبراز صفات إيليا النبيلة، بأكثر وضوح وجلاء.

(١) إن هنالك فرقا بين خارج المحلة وداخلها لكي نكون شهودا أمناء :

ولكل من هذين الرأيين معضدون، فالكثيرين بيننا يشيرون بأن أولاد الله، يجب أن يبقوا فى العالم، داخل المحلة، ويشتركوا فى ولائمه، ويرتادوا ملاهيه، ويتزعموا مجالسه ونواديه، ظنا منهم أنهم بذلك يستطيعون أن يحفظوا اتزانه، ويرفعوا مستواه، ويضمنوا سيادة الأخلاق المسيحية. هذه أحلام جميلة، تتفق مع منطقنا الطبيعى، ولو صحت؛ لخلصت العالم من متاعبه، لو صحت؛ لوجب أن يعود الأنبياء المساكين من مخابئهم، وجاز أن يصبح إيليا وزيرا لأخآب، ولاستراح بال عوبديا، لو صحت؛ لكانت خطة إيليا خطأ فادحا، ولفضلنا كلنا أن نصبح عوبديا فى الحال.

على أن هذه النظرية – التى تقول برفع المستوى من الداخل – تعترضها صعوبتان، لا يمكن تذليلهما:

الأولى : أنها تناقض تعليم الكتاب صراحة:

هذا هو النداء الذى يرن صداه من أول صفحة إلى آخر صفحة فى الكتاب المقدس: «أخرجوا منها يا شعبى لئلا تشتركوا فى خطاياهم، ولئلا تأخذوا من ضرباتها» (رؤ ١٨: ٤).

«اخرجوا من وسطهم، واعتزلوا، يقول الرب. لا تمسوا نجسا» (٢ كو ٦:١٧). إنك لن تجد شخصا واحدا، من الأبطال والقديسين الذين تتلألأ أسماؤهم فى صفحات الكتاب المقدس، قد حرك أهل زمانه من الداخل. فإنهم جميعا بلا استثناء، قد رفعوا الصوت عاليا «لنخرج خارج المحلة» (عب ١٣:١٣). وانضموا إلى صفوف الشهداء، والمعترفين، والأنبياء، والقديسين، الذين لم يكن العالم مستحقا لهم، ولكنهم قد احتفظوا بعلاقتهم بذاك الذى قيل عنه، إنه «تألم خارج الباب» (عب ١٣:١٢). إن الطريق الوحيد، الذى يرسمه الكتاب، لكل الذين يريدون أن يكونوا شهودا لله، هو أن يخرجوا إليه خارج المحلة. هم فى العالم، لكنهم ليسوا من العالم. يجب أن يرتدوا لباس الغربة، يظهروا روح الغربة، يتحدثوا حديث الغربة.

الثانية : وهذه النظرية ليست عملية:

فإن من يدخل إلى العالم، ليرفع مستواه إلى فوق، سرعان ما يجد نفسه قد نزل إلى مستواه. ألم يكن هذا هو الحال مع عوبديا؟ فإنه بدلا من رفع أخآب إلى مستوى تفكيره، أرسله أخآب إلى كل عيون الماء، ليجد عشبا لخيله وبغاله. يقينا؛ أن هذه كانت إرسالية مزرية، بشخص يخشى الرب جدا. ولكن ليست هذه إلا عينة لما يحصل تماما، لكل من يحاول أن يخدم سيدين.

قارن بين التأثير الذى استطاع أن يفعله إبراهيم فى سدوم من الخارج، وهو على مرتفعات ممرا، وتأثير لوط، الذى لم يكتف بإقامة خيمته على أبواب المدينة، بأن دخل إليها لكى يعيش داخلها، بل صار واحدا من مقدميها. (تك ١٩:١). واذكر أن لوط، قد حمل أسيرا مع من سبى من سدوم، أما إبراهيم فقد أنقذه.[١]

وهل نحن فى حاجة إلى استشهادات كثيرة، والبراهين تترى كل يوم، تؤيد هذه الحقيقة. إن المرأة المسيحية؛ التى تتزوج رجلا شريرا، تعرض نفسها لخطر محقق، هو الانحدار سريعا إلى مستواه. والمؤمن؛ الذى يدخل فى شركة مع شخص من أهل العالم، لا يستطيع أن يحفظ عماد ثروته من الانهيار. والكنيسة؛ التى تسمح بأن يدخل العالم إلى دائرتها، سوف تجد أنها قد صارت عالمية، قبل أن يصير العالم مسيحيا.

لهذا، فإن أضمن وأقوى مركز، هو خارج المحلة. قال أرشميدس: إنه يستطيع أن

---

[١] راجع (لو ١٦:١٣) (مكتب المحبة).

يحرك العالم، لو أنه أعطى نقطة ارتكاز خارج العالم، هكذا أيضا؛ يستطيع حفنة من أولاد الله، أن يؤثروا على العالم، لو أنهم تشبهوا بإيليا، الذى صرف حياته خارج أسوار سراى أخآب، وبعيدا عن عالم زمانه.

(٢) وهنالك فرق بين التقوى السلبية الوقائية والتقوى الايجابية الهجومية :

لم يفكر عوبديا إلا فى منع الضرر الذى وقع؛ فإنه حمى الأنبياء من سيف إيزابل، ومن شدة وطأة المجاعة؛ وحسنا فعل. إن للتقوى السلبية التى من هذا القبيل، فوائد جمة؛ إنها تعول البيوت، والملاجئ، والمخابئ، التى يلجأ إليها المضطهدون والمطاردون.

ولكن العالم يحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك؛ فإنه لا يكفى معالجة مجارى المياه السامة، بل يجب أن توجد أيضا، اليد التى تمتد لكى تطرح ملحا شافيا، فى النبع الأصلى لكى تبرأ المياه (٢ مل ٢:١٩-٢٢). الحاجة ماسة جدا، لأمثال إيليا، ويوحنا المعمدان، ليقفوا فى وجه الأشرار، ويوبخوهم على تعدياتهم، ويلزموهم بالخضوع للناموس الذى داسوه.

من أجل هذا، نحن فى حاجة إلى القوة الإيجابية، التى لن ينالها أولئك الذين لم يسلموا سوى نصف قلوبهم لله. بل هى فقط، من نصيب الذين قد صاروا عبيدا لله، من هامة الرأس، إلى أخمص القدم. لم يكن لعوبديا نصيب من هذه القوة. وكيف كان ممكنا له أن يحصل عليها؟ أما إيليا، فكان ممتلئا بها، ولأجل هذا، نجح فى صد تيار الخطية، عندما بلغ أشده.

لا يكفى أن نخبئ الأنبياء، بل يجب أن نذهب ونتراءى لأخآب، قد نشبه السكر حلاوة؛ ولكننا يجب أيضا، أن نكون كالملح الذى يوقف الفساد، ويمنع تقدمه. الوسائل السلبية الوقائية نافعة، ولكن الوسائل الإيجابية الهجومية، أجدي وأفضل، لأنها تعالج الأسباب الخفية.

ليت الرب يرسل لكنيسته حفنة من الأبطال، مثل إيليا، الذى سجل عنه الكتاب، بكل فخر، «فذهب إيليا ليتراءى لأخآب» (ع٢)، لكى يواجه ذلك الملك المجرم، ويوقعه فى شر أعماله.

(٣) وهنالك فرق بين الاحتياط للظروف وبين جسارة الإيمان :

عندما طلب إيليا من عوبديا، أن يخبر سيده، بأنه ينتظره، شك عوبديا فى صدق هذا

الكلام، لأنه كان يعرف، كيف كان أخآب، يحتدم غضبا وغيظا، من جهة إيليا. ولذا، فقد كان يبدو فى نظره، بأنه من الغباوة والجنون، أن يزج إيليا بنفسه، وسط هذه النيران المتأججة. وظن بأنه إما أن إيليا يجهل، كيف كان الملك يفتش عنه باهتمام؛ أو أن روح الرب، قد يختطفه قبل أن يتلاقيا، لأنه لم يخطر بباله، أن يتجاسر إيليا للقاء الملك، لو كان يعلم بحقيقة الأمر.

وبفرض أنه قد بلغت به الحماقة، أن يتجاسر ويخاطر بحياته، فلا شك فى أن الله سيصده عن أن يسلم نفسه، فريسة فى يد الأسد.

وعلى أى الحالات؛ فإنه أبى أن يتدخل فى هذا الأمر، لأنه كان يهتم بنفسه أكثر من اهتمامه بعمل الله، أو برغبات إيليا. وهنا؛ نراه يكرر هذه العبارة مرتين «إنه يقتلنى». وأخيرا، وبعد أن أشهد إيليا الله على قسمه، وبعد أن أكد له، أنه لابد أن يتراءى لأخآب قبل غروب الشمس، بعد ذلك فقط، ذهب عوبديا بتلكؤ إلى أخآب، وأخبره بالأمر، وهو غير قادر على أن يكون لنفسه صورة حقيقية عن جسارة إيليا، وعدم خوفه.

وماذا كان مصدر عدم الخوف هذا؟ حقا؛ إنه يعلن إلينا فى تلك الكلمات الخالدة، التى نطق بها إيليا: «حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه». لقد كان الله يقينا لإيليا، أكثر مما كان لأخآب. كان إيليا أحد حاشية ملك الملوك؛ فكيف يهاب إنسانا يموت، أو ابن الانسان، الذي يُجعل كالعشب، وسرعان مايذبل (إش٥١ :١٢).

لقد حصنه خوف الرب، ضد كل خوف. فالإيمان «يبصر وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار» (٢ مل٦ :١٧)، ويستطيع أن يسمع صوت أقدام اثنى عشر جيشا من الملائكة، آتين لدفاع عنه، ويستطيع أن يراقب يد القدير، التى تخبئ أولاد الله فى مظلته.

وهكذا؛ يستطيع من كانوا على شاكلة إيليا، أن يتقدموا لإتمام أوامر الله، بقلب ثابت، وعزم وطيد، مهما قامت فى طريقهم العثرات. أما الذين هم على شاكلة عوبديا، فيزعمون بأنهم لن يتجاسروا على إتمام مقاصدهم، ومشروعاتهم، ولكنهم؛ سوف يرون أن مزاعمهم كانت خاطئة، وأن تخيلاتهم كانت أضغاث أحلام.

(٤) وهنالك فرق بين مقابلة الأشرار لكل من هذين الصنفين من الأخلاق :

لا شك فى أن أخآب كان راضيا عن عوبديا، لأنه لم يوبخه يوما ما. عندما يفقد الملح

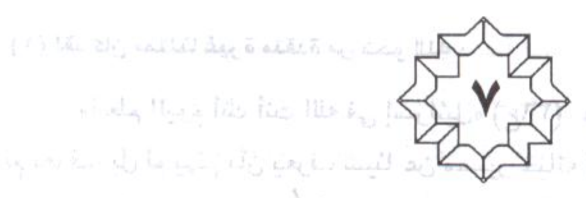
خاصيته، فإنه لا يلذع، ولو بدا فى نظر البشر حافظا شكله. ولكن؛ حالما وقع نظر أخآب على إيليا، اتهمه بأنه أعظم مكدر لجيله، «ولما رأى أخآب إيليا قال له أخآب، أأنت هو مكدر إسرائيل» (ع١٧). وبعد ذلك بسنوات، قال أخآب هذا نفسه عن رجل آخر من خدام الله الأمناء، إذ طلب يهوشافاط مشورته «إنى أبغضه لأنه لا يتنبأ على خير بل شرا» (١ مل ٨:٢٢).

لعله لا توجد شهادة أبلغ للدلالة على سمو حياتنا، من كراهية أمثال أخآب الشديدة لنا. من أقسى ما يمكن أن يوجه للبشر من دينونة، هذه الكلمات التى فاه بها المسيح «لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى أنا لأنى أشهد أن أعماله شريرة» (يو٧:٧). فمن ذا الذى لا يفضل بأن يحتمل كل بغضة يصبها عليه أخآب، ويسمع تلك الكلمات من فم المسيح. «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. افرحوا وتهللوا» (مت ٥: ١١و١٢). إن كان جميع الناس يمدحونكم، وجب عليكم أن تتساءلوا عن أنفسكم، لئلا تكونوا قد تحولتم إلى عوبديا. أما إن كان أخآب يتهمكم بأنكم قد كدرتموه، فافرحوا، وأخبروه مواجهة؛ بأن علة تعبه راجعة إلى كسر إحدى الوصايا، وإلى الأصنام التى يعبدها.

إن كان هناك من بين من يقرأون هذه الكلمات، نفس متعبة، مثقلة، تحت نير بعض المحن والآلام، تئن تحت عبء المجاعات، فلتدقق البحث، لئلا يكون السبب راجعا إلى نكث بعض العهود، أو إلى تدنيس بعض الهياكل. إن كان الأمر كذلك، فارجع فى الحال للرب، بدموع التوبة، والاعتراف. «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا» (هو ٦:١).

لنترك الآن أخآب وإيليا وجها لوجه، ولا داعى لكى نتساءل عن أكثرهما عظمة، وجلالا ملكيا؛ ولا داعى كذلك لضياع الوقت، فى البحث عن عوبديا. فليس لنا إلا أن نعجب كل الإعجاب، بمسلك نبى الله وحياته النبيلة، ولكن، لنذكر أن هذه الحياة، لم تكن تعزى لبعض الصفات الموروثة فيه؛ بل، لإيمانه، أطفأ قوة النار، نجا من حد السيف. وإن حصلنا على نفس هذا الإيمان، استطعنا أن نختبر نفس هذه الاختبارات فى حياتنا، مهما كانت ضعيفة.





خطة الهجوم (١مل ١٨)

عندما ترك إيليا صرفة، لا مشاحة فى أن عقله كان خاليا من كل تفكير فى أية خطة معينة يسلكها.كان يعرف أنه يجب أن يتراءى لأخآب، وأن المطر قريب على الأبواب، لأن هذه كانت رسالة الله الصريحة إليه قبل الرحيل، «اذهب وتراء لأخآب فأعطى مطرا على وجه الأرض» (ع١). ولم يعرف شيئا أكثر من هذا. وربما يكون قد ارتسمت أمام نظره، بعض الصور الغامضة، عن ذلك الصراع العنيف على جبل الكرمل، ولكنه لم يعرف شيئا على وجه التحقيق. فقد كان كل همه محصورا فى أن يهدئ طبيعته الثائرة كفطيم نحو أمه «أنما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى» (مز ٦٢:٥).

لعل خطة الهجوم فى تلك المعركة التى كانت ستنشب أظفارها بين الله والبعل، بين الحق والباطل، قد أعلنت إلى إيليا فى طريقه من صرفه إلى أخآب، ولعلها قد خطرت على باله فجأة، بسرعة البرق الخاطف. ولعلها أيضا، قد أعلنت إليه مجزأة، كالطفل الذى إذا أعطا أبوه لغزا، قدمه إليه قطعة قطعة، لئلا يضطرب عقله، إذا ما قدمه إليه دفعة واحدة.

هذه هى طريقة الله فى أغلب الأحيان. وكل الذين قد ركزوا ثقتهم فيه، يغتبطون كل الاغتباط، لأنها كذلك. فإنهم يرون فى الحياة جمالا مجددا، وتغييرا مستمرا، عندما يجدون أن كل خطوة إنما هى جديدة، وتكشف لهم عن مناظر جديدة من جمال الله، وجمال أعمال عنايته.

لو أننا حاولنا تحليل نفسية إيليا، لنعرف وجهة نظره، عندما ترك صرفة الآمنة، وابتدأ يواجه الحوادث التى بلغت أشدها على جبل الكرمل، لاتضح لنا أنها مثلثة النواحى. ولا شك فى أنه مما يلذ معرفته جدا، أن ندرك كيف كان شعوره، وهو يقترب إلى تلك الأزمة الخطيرة، التى كانت أشد ما واجه فى حياته.

(١) لقد كان ممتلئا غيرة متقدة من نحو الله :

«ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل» (ع٣٦). هذه الصلاة هى المفتاح إلى قلبه. إنه لم يعرف، بل لم يهتم بأن يعرف شيئا عن مصير حياته الشخصية. ولكنه كان يتقد غيرة من نحو مجد الله. فإنه لم يحتمل أن يسمع تلك الأخبار الأليمة التى وصلته عن المذابح المتهدمة، والأنبياء الذين أهرقت دماؤهم. ولم يحتمل أن يرى كيف أن أرض الموعد، تحت ثقل العبادة الوثنية الفينيقية وقبائحها، ولم يحتمل أن يخطر بباله كيف أن شعبه، قد بدأ يفكر فى أن إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل، قد توارى بسبب هذه الآلهة التى أدخلت حديثا. وعندما اضطر لمواجهة هذه الحقائق، احتدت روحه داخله، واشتعلت فيها نيران الحزن والغضب.

حبذا لو امتلأ كل واحد منا بنفس هذه الغيرة. كلنا نتمنى من صميم القلب، نجاح عملنا وكنيستنا. فإذا نجحت؛ سررنا، وإذا ضعفت؛ حزنّا. وكثيرا ما حصرنا كل اهتمامنا فى البرك الصغيرة التى تحت بصرنا، دون أقل اهتمام بالبحر الأعظم - مجد الله - الذى يجاورها. وهل نعجب بعد هذا إن كنا لا نصادف إلا نجاحا ضئيلا؟

إن الله لايعطى مجده لآخر، ولا يعطى سبحه للتماثيل التى نحتتها أهواؤنا وغرورنا. على أنه، فى هذا أيضا؛ مستعد أن يسمو باختباراتنا اليومية إلى المثل الأعلى، الذى تتوق إليه نفوسنا. وكل ما يطلبه منا أن نثق فيه، بأنه يستطيع أن يتمم ذلك. أطلب، ثم انتظره، أن يملأك بنار الغيرة التى اتقدت قديما فى قلب إيليا، فتحرق منك كل ما هو دنى وفاسد، كل أثر لمحبة الذات، وتجعل الإنسان كله إناء صالحا لله. لم تكن هذه النعمة وقفا على إيليا، ولكنها كما كانت من نصيبه، فهى من نصيب كل منا إن أراد، وهى لم تكن إلا ثمرة من ثمار الروح القدس، الذى سكن فيه، والذى وعد به أشر شرير.

(٢) كان مقتنعا كل الاقتناع بأنه لم يكن إلا مجرد عبد :

«ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وأنى أنا عبدك» لم يكن من حق العبد، فى تلك الأيام السحيقة، أن يدبر الخطط والمشروعات، أو يقود تفكير سيده. بل كان عليه أن يكون رهن إشارة من سيده، وأن يخضع لإرادته، وأن يكون آلة فى يده، يحركه حيثما أراد. وهذه كانت وجهة نظر إيليا، أن يفرغ تماما، ثم يخضع خضوعا كاملا، أن يلين لتلك اليد التى تمتد من السماء، لكى تصوغ البشر كيفما شاءت.

ووجهة النظر هذه، هى التى تليق بنا أجمعين. ألا نميل كل الميل لإتمام أمور كثيرة لله، عوضا عن أن نترك الله أن يتمم فينا ما يختاره؟ كثيرا ما قلنا؛ لنذهب هنا أو هناك، لنفعل هذا أو ذاك، لنعمل هكذا من أجل الله. ولكننا لا نفكر أن نسأل أولا، إن كانت هذه هى إرادة الله لنا. وذلك لأننا لا ندرك أننا ملك له بكلياتنا. ولهذا، فكثيرا ما أهملنا إتمام ما تحتمه علينا إرادته، لإصرارنا على إتمام بعض أمور تافهة، من اختراعنا وتفكيرنا. وهذه إحدى الآفات التى تصاب بها المشروعات والأعمال الكثيرة التى يقوم بها المسيحيون فى الوقت الحاضر؛ فإنهم لا يرضيهم أن يتمثلوا ببولس، الذى قال عن نفسه:«بولس عبد ليسوع المسيح» (رو ١:١).

(٣) وكان إيليا راغبا كل الرغبة فى معرفة خطة الله وإتمامها :

«ليعلم اليوم أنك الله فى إسرائيل وانى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور». عندما يشعر المرء بأنه يتمم خطة الله، وأن الله يتمم خطته فيه، يصبح قويا لا يقهر. فلا البشر، ولا الظروف، ولا الاضطهادات، تستطيع أن تزعزعه، بل تصبح أمامه كالعصافة التى تذريها الريح. إن خطة الله هى هدفه، وهدف الله، ينبغى أن يتمم، ولو زالت الأرض والسماء؛ ولا شك فى أن هذه كانت إحدى عناصر قوة إيليا الفائقة.

إنه لأمر جوهرى جدا، أن نعرف موقفنا بإزاء خطة الله، لأن قوة الله وبركاته، لا يتمتع بها فى كمالها، إلا الذين يوجدون حيث يريدهم أن يكونوا. لقد كانت فكرة التيه فى البرية، ضمن خطة الله قبل أن يغادر إسرائيل أرض مصر، وقد نفذ هذه الخطة، بتحركات السحاب على رمال الصحراء، كان المن لا يسقط فى الصباح، إلا فى المكان الذى يظلله السحاب، وهذا؛ كان يظلل الجماعة بظله الظليل. فلكى يتمتع مفديو الرب بالمن والظل، كان عليهم أن يوجدوا حيث قصد الرب أن يكونوا.

هذا مثال لما يجب أن تكون عليه حياتنا. هل نريد أن نتمتع بمعونة القدير ونعمه؟ يجب أن نتمم الخطة الإلهية، خطوة خطوة؛ فالنار لا تشتعل، إلا إذا أقمنا المذبح، حسب كلمة الرب. يجب أن لا نعاند الرؤيا السماوية، يجب أن لا نضيع السنوات فى الأحلام والأوهام، أو فى طلب الراحة والرفاهية، بل يجب أن نلح فى هذا السؤال: «ماذا تريد أن أفعل؟».

هناك طرق عدة، لمعرفة خطة الله. قد تعلن بعض الأحيان فى بعض الظروف؛ وليس

من الضرورى أن تكون الظروف سارة فى كل الأحيان، ولكنها على أى حال، محتملة ومقبولة دواما، لأنها تعلن إرادة أبينا السماوى. لا يحصل ظرف واحد بدون إذنه. لهذا؛ فكل ظرف إن هو إلا رسول ملكى، يحمل رسالته،ولو أننا قد نرتبك بعض الأحيان فى قراءتها.

وقد تعلن خطة الله بعض الأحيان فى نداء الواجب الملح، الذى يزداد صوته ارتفاعا كلما ازدادت الصلاة من أجل هذا الواجب، وكلما سلطت عليه أشعة نور كلمة الله.

هنالك أصوات كثيرة، يستطيع بها الله أن يعلن إرادته للنفس الخاضعة له، خضوعا من كل القلب. أما إن وجد أى شك فى تمييز إرادة الله، كان ذلك راجعا لأحد هذين السببين: إما أن الإرادة لم تخضع خضوعا كليا لإتمام إرادة الله حالما تُعرف، لأن هنالك حاجزا، بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية، يعوق الأولى عن أن تبتلع فى الثانية، أو أن وقت المعرفة الكاملة، لم يحن بعد، ويجب أن ننتظر خلاص الله.

إنها لقاعدة ثابتة لنا أجمعين، ألا نفعل شيئا طالما كان هنالك أي أثر للشك، بل أن نمتحن أنفسنا ونكون مستعدين لإتمام إرادة الله، حالما تعلن إلينا. قد لا يتكرر معنا كثيرا اختبار الرسول بطرس «وإذ كان بطرس يرتاب فى نفسه ماذا عسى أن تكون الرؤيا التى رآها إذا الرجال الذين أرسلوا من قبل كرنيليوس. وقد وقفوا على الباب» (أع ١٠:١٧). قد يكون قرع الباب بواسطة الثلاثة رجال، هو الذى يعلن لنا خطة الله، أو قد يكون حلم من وراء البحار، أو رؤية وجه شاحب أكثر تعبا من وجوه الذين حوله (أع ١٦:٩ و١٠، يو ٦:٥ و٧).

كانت الخطة التى رسمها إيليا لأخآب مطابقة كل المطابقة لظروف الحال. كانت تتضمن أن يدعى إسرائيل بأمر ملكى إلى جبل الكرمل المشرف على سهل اسدرايلون، وكان هذا الجبل أنسب مكان لاجتماع شعبى. يجب أن تبذل عناية خاصة لضمان حضور ممثلى تلك العبادة الباطلة، التى تجاسرت على منافسة عبادة الإله الحى «أنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السوارى أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل» (ع ١٩).ثم يجب أن يعمل امتحان لتلك الديانة المنافسة، لم يستطع تابعو البعل أن يرفضوه، لأنه (البعل) كان إله الشمس، وكان الامتحان بالنار.

كان إيليا واثقا من أن مذبح البعل سوف لا تقترب منه النار، وكان واثقا أيضا من أن

الرب سوف يحقق إيمانه بإنزال نار على مذبحه، كما فعل معه مرارا فى كل أيام الماضى المجيد. وهو فى نفس الوقت، كان مقتنعا أن الشعب، عندما يلمسون الحق واضحا وجليا، سوف يطلقون إلى الأبد، عبادة الفينيقيين، ويعودون مرة أخرى لعبادة إله آبائهم.

لعل أخآب لم يحط علما بكل تفاصيل هذه الخطة، إلا على قدر ما يسمح بجمع الشعب، لأنه لو أن إيليا أخبره بكل التفاصيل، لكان قد احتدم غضبه، وثارت ثائرته، وقاوم إيليا مقاومة عنيفة. ولم يكن ممكنا أن يذعن، إلا بعد إغرائه بالطعم، والتلويح له بهطول الأمطار. فأرسل أخآب إلى جميع بنى إسرائيل وجميع الأنبياء إلى جبل الكرمل» (ع ٢٠).

نحن لا ندرى كيف تم هذا، ولكن؛ مما لا شك فيه، أن كلمة الملك كان لابد أن تنتشر فى كل المملكة على أيدى بعض الرسل، كأولئك الرسل، الذين أرسلوا إلى جميع تخوم إسرائيل، منذرين بالخطر الذى كان يهدد أهل يابيش جلعاد (١ صم ١١:١-٥). وعلى أى حال، فإن استدعاء جميع الشعب، كان لابد أن يستغرق بضعة أيام.

ولنقف الآن، لنتأمل قليلا فى فترة الانتظار هذه؛ لقد كانت تشبه فترة السكون الرهيبة التى «تسبق الرعد»، أو كفترة الانتظار المروعة، التى تسبق التحام جيشين قويين، فى معركة حامية.

أين وكيف قضى إيليا هذه الفترة؟ يخبرنا الكتاب أنه «تقدم (أو جاء) إلى جميع الشعب» (ع ٢١) عندما تم اجتماعهم فى اليوم المعين». ألا تدل هذه الكلمة «تقدم» (أو جاء) على أنه أتى من ناحية أخرى غير تلك التى أتى منها الشعب؟ وإن كان الشعب قد أتوا من كل نواحى البلاد، فلعله قد خرج إليهم، من إحدى المغاير التى تكثر فى جبل الكرمل، المشرف على البحر.

وفى رأيى أن إيليا صرف تلك الأيام الرهيبة - فترة الانتظار - على جبل الكرمل نفسه مختبئا مع غلامه فى إحدى المغارات فى الليل، أما فى النهار، فقد كان يتطلع إلى المكان الذى تتم عليه الموقعة القادمة. ويا لمرارة نفسه، وتفجع قلبه، عندما يستند إلى حجارة ذلك المذبح المتهدم، الذى لم ينهدم بسبب عوامل الطقس القاسية، ولا بتوالى الأيام والسنوات عليه؛ بل بناء على أوامر إيزابل الشريرة (١ مل ٢٢:١٨). كيف بذل كل الجهد للعثور على الاثنى عشر حجرا الأصلية (ع ٣١) التى كانت قد تبعثرت فى كل ناحية، وتراكمت عليها

الرمال. فقد كان فى شديد الحاجة إليها بعد فترة وجيزة. كيف كان باستمرار يسكب نفسه أمام الله، ويقدم الطلبات والتضرعات من أجل الشعب، ويمنطق ذاته بالصلوات الحارة، استعدادا لتلك الموقعة القادمة. ألا يدرس الطريق إلى نهر قيشون، فى أسفل الجبل، ويفتقد العين التى يملأ منها الجرات ماء (ع ٣٣ و٣٤)؟

قد يظن البعض أن استجابة الله بالنار، لم تتوقف على قوة إيمان إيليا، أكثر مما توقفت على إرادة الله. وقد نظن أن إعادة المطر، كانت تستلزم من الإيمان، والصلاة، أضعاف ما كان يستلزمه استدعاء النار. وقد نتخيل أن إعادة المطر، كانت تستلزم الصلوات الطويلة الحارة، أما استدعاء النار، فلم يكن يستلزم أكثر من تلك الكلمات، التى نطق بها إيليا على مسمع الشعب فى لحظة تقديم المحرقة.

ولكن الذين يقولون هذا القول، يبرهنون على أنهم يقرأون الكتاب المقدس، مجرد قراءة سطحية؛ وهذا القول لا يتفق مع معاملات الله العامة، لأن استدعاء النار، كان يحتاج إلى نفس الصلوات الحارة، القوية، التى تستلزمها إعادة المطر.

إذن، فاستجابة النار لم يكن ممكنا أن تتم فى ذلك اليوم، إن لم يكن قد صرف الأيام السابقة فى مخدعه فى حضرة الله. والتلاميذ كان يجب أن يقضوا فترة الانتظار - طيلة الأيام العشرة - فى الصلاة فى العلية قبل حلول الروح القدس، معمودية النار فى يوم الخمسين.

يا له من منظر مبهج أن نرى ذلك الرجل منتظرا على جبل الكرمل؛ بإيمان ثابت، اجتماع الشعب والكشف عن قصد الله. لقد كان واثقا من النتيجة، وإذ توالت الأيام، كان قلبه يزداد فرحا، لأنه كان يتوقع أن يرى أمة بأكملها، عند قدمى الله.

كان لإيليا كل هذا، ليس لأنه كان من طبيعة أخرى غير طبيعتنا، بل لأنه قد تأصلت فيه تلك العادة المباركة؛ وهى الالتجاء لأول وهلة إلى الله، الذى كان له الامتياز العظيم، أن يكون واقفا أمامه على الدوام، والذى كان يراه حقيقة حية.





الموقعة على جبل الكرمل (١مل ١٨)

نحن الآن فى الصباح الباكر على جبل الكرمل فى أعلى قممه؛ نرى فى الشمال، جبل حرمون، فى أقصى حدود البلاد، يشمخ نحو السماء، بقممه المغطاة بالثلوج، وحولنا إلى اليسار، البحر الأبيض المتوسط، وقد تبعثرت فيه، هنا وهناك، سفن مدينة صور العظيمة. وفى أسفل الجبل، يجرى نهر قيشون القديم، الذى غص يوما ما بقتلى جيش سيسرا، وعلى مقربة منه، يمتد سهل اسدرايلون، جنة فلسطين، ولكنه كان قد أصبح وقتئذ، يبابا خرابا، بسبب عدم نزول الأمطار مدة ثلاث سنوات. وعلى مسافة ليست بعيدة، تقع مدينة يزرعيل، بقصرها الملكى، وهيكلها الوثنى، اللذين يراهما الناظر من بعيد.

شق الجموع طريقهم على جبل الكرمل، من كل جوانبه، للوصول إلى قمته، إلى ذلك المكان، الذى كان مخصصا للعبادة، منذ القديم.

وقف دولاب العمل فى كل مكان، فى حوانيت التجار، ومصانع الصناع، وانحصرت كل أفكار الشبان والشيوخ، فى تلك الدعوة العظمى، التى دعاهم بها أخآب. انظر كيف يتجمع ألوف وربوات إسرائيل، رويدا رويدا، وكل منهم، يحاول أن يحتل مكانا ممتازا، ليستطيع أن يرى منه جميع ما يحصل. كل ذلك، استعدادا للتغير العجيب، الذى كان مزمعا أن يتممه إيليا معهم، لينقلهم من رجاسات عبادة البعل، وعبادة العشتاروث، إلى ديانة آبائهم، وترميمها، على أشلاء الأنبياء الكذبة.

كاد يكتمل اجتماع الشعب، ثم سمعت أصوات أقدام صفوف أنبياء البعل، وكانوا أربعمائة وخمسين، وهم يتميزون بعلامة الشمس، تسطع على جباههم. وأما أنبياء عشتاروث، فقد تخلفوا عن الحضور، لأن الملكة، التى كانوا يأكلون على مائدتها، لم تكن موافقة على هذه الدعوة، التى وجهها أخآب إلى شعبه، وأخيرا؛ أقبلت العربة الملكية، يحف بها عظماء الدولة.

والآن، لننتقل من هذا المنظر الطبيعى، ومن التطلع إلى تلك الوجوه الواجمة، وإلى

عظمة وجلال الكهنة، الذين كانوا واثقين من عطف البلاط الملكى، والذين كانوا لهذا السبب، يتحدون إيليا، بكل وقاحة – لننتقل من هذه المناظر، ولنحدق بأبصارنا، بكل اهتمام، إلى ذلك الشخص الواحد، القوى العوارض، المسترسل الشعر، الذى كان ينتظر، حتى يسود ذلك الجمع المحتشد، صمت رهيب، فى لحظة، بمجرد التطلع إلى عينيه، اللتين يشع منهما نور قوى، كأنه يتطاير منهما الشرر، وشفتيه الصامتتين. لنتأمل فى ذلك الرجل الواحد، الذى وقف أمام أمة بأسرها. لنتأمل؛ كيف كان الكهنة يحدقون بأبصارهم الشريرة، إلى كل حركاته، ولعل النمر، لا يقرب فريسته بمثل تلك الوحشية، ولو أعطيت لهم الحمية، لفتكوا بإيليا فتكا ذريعا، عاجلا.

ثم،لنلق نظرة على الملك، وقد تنازعه عاملان: الخوف والبغض. ولكنه كان يكبح جماح نفسه، لأنه يشعر، أن عودة المطر تتوقف على ذلك الإنسان الواحد. وفى كل ذلك الجمع الحاشد، لم يكن هناك من يعطف على إيليا، ولو وجد من يعطفون عليه، لما تجرأوا على فتح شفاههم بكلمة؛ وحتى عوبديا، لم يتجاسر على الظهور، فى ذلك المنظر الرهيب.

ولكن، لا تخش على إيليا، فإنه لم يكن فى حاجة إلى أى عطف، فقد كان واثقا، من أنه واقف فى حضرة ذاك الذى ينظر إلى كل شعوب الأرض، كما ينظر المرء إلى الحشرات الدنيئة. كان واثقا، من أن قوات السماء تسنده، كان يرى جيوش الملائكة، تملأ الجبل، بخيل، ومركبات نارية. كان مجرد إنسان، تحت الآلام مثلنا، ولكنه كان ممتلئا من الإيمان، والقوة الروحية. وقد تعلم سر تحريك الله له. واختبر كيف يستمد المعونة من القدير، كما يستطيع القضيب الرفيع، أن يسحب البرق من السحاب. وسوف ترى، كيف أنه فى ذلك اليوم، استطاع – بقوة الإيمان، وليس بأية قوة موروثة – أن يقهر مملكة، ويصنع برا، وينجو من حد السيف، ويشتد فى الحرب، ويهزم جيوش غرباء (عب ١١: ٣٣ و٣٤). سوف ترى، أنه لا يستحيل عليه شئ؛ أليس مكتوبا «كل شئ مستطاع للمؤمن» (مز ٩: ٢٣).

لقد تكلم سبع مرات فى ذلك اليوم الخطير، وهذه الكلمات، تعبر تماما عما كان يكنه فى قلبه، ويجول فى خاطره.

(١) لقد وجه إليهم إيليا احتجاجا مشبعا بروح التوبيخ :

«فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال:حتى متى تعرجون بين الفرقتين. إن كان الرب هو

الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه» (ع ٢١). لم يكن إيمانه القوى يعرف هاتين الكلمتين: «إن كان »، فهو لم يشك لحظة واحدة، فى أن الرب هو الله، ولكنه أراد أن يبين للشعب، سخافة موقفهم، لأن الديانتين المتناقضتين، هذا التناقض الظاهر، لا يمكن أن تكون كلتاهما صحيحتين، بل، لابد أن تكون إحداهما زائفة. ومتى عرفت الديانة الصحيحة، ظهر بطلان الأخرى، ووجب أن يضرب بها عرض الحائط.

كان موقفهم فى ذلك الوقت سخيفا، وغير متفق مع المنطق السليم. فإنهم كانوا يشبهون فى سيرهم، رجلا أعرج، رجلاه غير متعادلتين، أو يشبهون خادما، يخدم سيدين، ويحاول أن يرضى كليهما، ولكنه، لا يستطيع أن يرضى أحدهما. لهذا، فإن إخلاص إيليا لم يحتمل، ولم يطق صبرا على هذه الغباوة، والجهل المطبق، ولا شك فى أنهم قد انحرفوا فى هذا التيار، كما ينحرف البشر عادة، فى المواقف الخاطئة السخيفة، وكلنا معرضون لانحراف فى هذا التيار.

ولكن الوقت قد حان، لكى توقف الأمة عند حدها، وهى تحاول أن تخلط عبادة الرب، بعبادة البعل، ولكى تلزم باختيار أحدهما. ولا شك فى أن النبى، كان يدرك أنه، إن ألزم شعبه بأن يختاروا إحدى العبادتين، ويقرروا، إن كان الرب إله آبائهم، هو الله، أو البعل، هو الله، فلا جدال فى أنهم يختارون عبادة الله الحى.

ويظهر أن الشعب، شعروا بشدة الخجل، ثم الارتباك، إذ خيروا بين هذين الأمرين، غير المتوازنين، لأن الكتاب يقرر، أنه، «لم يجبه الشعب بكلمة» (ع ٢١). كم نحن فى حاجة، إلى نظرة الإيمان الثاقبة، التى تبين للبشر غباوة تصرفاتهم، وسخافة موقفهم، وتكتسح كل مغالطاتهم، بكلمة واحدة، أو حركة بسيطة، كما تتبدد خيوط العنكبوت بحركة بسيطة، وتوقفهم أمام محكمة ضمائرهم، فلا يستطيعون «أن يجيبوا بكلمة واحد»، إذ يقتنعون بخطيتهم. هذا ما نحتاجه فى هذه الأيام، التى نجد فيها البشر فى كل مكان، يحاولون أن يرضوا العالم، ويرضوا المسيح، فى وقت واحد، ويغشون هياكل الأوثان، وهياكل الله، ويجتهدون أن يكونوا مقبولين فى البلاط الملكى، فى قصر شاول، وأن ينالوا رضى داود فى منفاه.

(٢) ودعاهم للنزال متحديا إياهم :

«والإله يجيب بنار فهو الله» (ع ٢٤). كان هذا اقتراحا عادلا، لأن البعل، كان رب

الشمس، وإله تلك القوى الطبيعية، التى تقدم لنا الحرارة، كأحد عناصرها وعلاماتها. إذن، فلم يكن ممكنا أن يرفض عبدة البعل، هذا النداء.

كان ممكنا لكل إسرائيلى، أن يذكر مناسبات عدة، فى الماضى المجيد، استجاب الرب فيها بالنار. ألم تشتعل فى العليقة، وكانت لنفسها طعاما، ووقودا؟ ألم تضئ، كأنها علم فى رأسه نار، أثناء رحيل إسرائيل فى البرية؟ ألم تسطع بلمعانها على قمة جبل سيناء؟ ألم تصعق الجماعة المتذمرة؟ ألم تنزل على الذبائح، التى كانت تنتظرها، على المذبح النحاسى؟ لقد كانت النار رمزا ليهوه، وعلامة على قبوله عبادة شعبه.

لهذا، فإن إيليا، عندما اقترح أن يقدم كل من الطرفين ثورا، وينتظر الجواب بالنار، كان يضمن قبول الشعب لهذا الاقتراح، فى الحال، «فأجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن».

قدم إيليا هذا الاقتراح، وهو واثق كل الثقة، من أن الله، لا يمكن أن يخيب انتظاره. ألم يقض أياما فى الصلاة؟ ألم تعلن له الخطة الإلهية؟ أكان يعقل لحظة واحدة، أن الله يزج بعبده فى مقدمة المعمعة، ثم يتخلى عنه؟ لم يكن أمرا غريبا، على إنسان كهذا، يعيش فى ظل القدير، أن يؤمن إيمانا لا يتطرق إليه الشك، أن آية لابد حادثة قبل غروب الشمس. إن العجائب والآيات، تأتى نتيجة الحياة، فى حضرة القدير.

الله لن يخيب رجاء الإنسان الذى يلقى عليه كل اتكاله، قد يتركه فى انتظاره، حتى الهزيع الرابع، ولكن، متى بزغ الفجر، ظهر ماشيا على الأمواج المتلاطمة، لإغاثة عبده. متى كنت واثقا من أنك تتمم خطة الله، فتقدم باسم الله ، وعندئذ، تجد أن نفس قوى الطبيعة فى طاعتك، وأن النار تنهال من السماء، تحت أمرك.

(٣) وخاطبهم بكلمات تهكمية لاذعة :

لأول مرة فى حياتهم، تعذر على الأنبياء الكذبة، أن يوقدوا النار خلسة، فى الحطب الموضوع على مذبحهم. لهذا: اضطروا للالتجاء مباشرة إلى إلههم، «ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر» (ع ٢٦). فعلوا هذا بقوة وثبات، ثم جعلوا «يرقصون حول المذبح مرارا» (ع ٢٦)، ويكررون تلك النغمة المملة «يا بعل أجبنا، أجبنا يا بعل». فلم يكن صوت ولا مجيب، «أصنامهم فضة وذهب، عمل أيدى الناس، لها أفواه، ولا تتكلم، لها أعين، ولا تبصر، لها

آذان، ولا تسمع، لها مناخر، ولا تشم، لها أيد، ولا تلمس، لها أرجل، ولا تمشى، ولا تنطق بحناجرها، مثلها يكون صانعوها، بل كل من يتكل عليها» (مز ١١٥:٤-٨).

مضت ثلاث ساعات على هذه الحال، وفى خلالها، كان إلههم يسير ببطء، فى مركبته الذهبية، حتى انتصف كبد السماء، وصار فى عنفوان قوته، وكان لابد أن يغيثهم، إن كان ذلك فى استطاعته، ولكنه لم يزدهم إلا خجلا على خجلهم.

أما إيليا، فإنه بالجهد، استطاع أن يخفى فرحه لفشلهم، فهذا ما كان يتوقعه. لقد كان واثقا كل الثقة، أنه لن تستطيع أية قوة، أن تحول دون فشلهم، حتى أنه هزأ بهم، والتمس لإلههم سببا فى تغافله عنهم، «وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال ادعوا بصوت عال لأنه إله. لعله مستغرق أو فى خلوة سفر أو لعله نائم فيتنبه» (ع ٢٧). السخرية سلاح، له قيمته العظمى، عندما يستعمل للتشهير بالباطل، والادعاءات السخفية، ولإقناع البشر بغباوتهم ،وحماقتهم فى طرقهم.

«فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم» (ع ٢٨). حقا، لقد كانت مغالاتهم هذه كافية، لأن تحرك عواطف أى إله، مهما كان قاسى القلب. وإن كانت السماء قد استمرت فى صمتها. ألم يكن ذلك دليلا للشعب، على أن ديانتهم، إنما هى مجرد خداع وأوهام؟

ثم انقضت ثلاث ساعات أخرى، حتى حان الوقت، الذى تعود فيه كهنة الله، أن يقدموا الذبيحة المسائية فى هيكل أورشليم، «ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين اصعاد التقدمة لم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ» (ع ٢٩)، فالمذبح، بقى كما هو، بلا دخان، والثور باق على حاله، سليما.

(٤) ثم وجه إيليا إليهم دعوة :

لقد حان وقته أخيرا. وكان أول عمل لديه، هو توجيه الدعوة للشعب، للاقتراب إليه، «قال إيليا لجميع الشعب تقدموا إلىّ» (ع ٣٠). لقد كان موقنا، من مقدار ما ربحه إيمانه وصلاته، من لدن الله، لكنه أراد أن تكون استجابة النار، مبددة لكل أثر للشك. لهذا؛ طلب اقتراب الشعب إليه، وهو يرمم مذبح الرب المتهدم، حتى يتأكدوا بأنفسهم، من أنه لم يخبئ نارا أو شرارا، فى ذلك المذبح، إذ كانت عيونهم شاخصة إليه، وهو يجمع تلك الحجارة

المتفرقة، بكل احترام ووقار، ويبنيها، حتى يكون الاثنا عشر حجرا، كأنها حجر واحد، إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه إسرائيل المثالى، من وحدة كاملة.

ألسنا نحتاج اليوم، إلى الكثيرين الذين يستطيعون، وسط عوامل التفرقة، أن يروا الوحدة الحقيقية للكنيسة، التى هى جسد المسيح؟

قد لا نرى قط، تلك الوحدة بشكل منظور، إلى أن نرى العروس، امرأة الخروف، نازلة من السماء من عند الله، مكللة بمجد الله. على أننا، رغم هذا، نستطيع أن نرى مثل الله الأعلى، من جهة وحدتها الروحية، كائنة سليمة فى فكرة، لا تؤثر فيها منازعاتنا وانشقاقاتنا. أليس الأمر واضحا، أن كنيسة المسيح، لم يقصد بها أن تكون فى هذا العالم، هيئة مدنية منظورة، بقدر ما قصد بها أن تكون حقيقة روحية، مكونة من كل جماعة؛ وهى إذ تتمسك بالرأس، تصبح بالضرورة متحدة، ببعضها البعض.

(٥) وأصدر إيليا أمرا :

لقد كان إيمانه فائق الحد، وكان قد ركز كل ثقته فى الله، حتى أنه تجاسر أن يكدس الصعوبات فى طريقه، عالما بأنه لن تقف صعوبة، أمام القوة غير المحدودة. فكلما ازدادت الصعوبات أمام استجابة الصلاة، ازداد المجد لله.

إيه أيها الإيمان المنقطع النظير، الذى تستطيع أن تهزأ بالصعوبات، وتستخف بالمستحيلات، بل أن تكدسها فوق بعضها، لكى تغتبط، إذ ترى الله يلاشيها، كما تسحق المطرقة القوية، قشرة البندقة الضئيلة تحتها.

والآن، وقد رمم المذبح، فقد رتب الحطب فوقه، وقطع الثور، ولكى يقطع إيليا، كل فرصة لاتهامه بالغش والخداع، ولكى يجعل المعجزة التالية، أكثر غرابة، قال:« املأوا أربع جرات ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب» (ع ٣٣). وهذا ما فعلوه ثلاث مرات، حتى تشبع الحطب بالماء، وامتلأت القناة ماء، وأصبح مستحيلا أن تجتاز الشرارة تلك القناة.

قليلون جدا منا، من لهم مثل هذا الإيمان، مع الأسف الشديد، فنحن؛ كادت تنعدم منا الثقة فى الله، حتى أننا لا نجرؤ على تكديس الصعوبات فى طريقه، بل نحن جميعا، نحاول تمهيد الطريق أمام الله، لنسهل عليه عملية مساعدتنا، على أن ما ناله ذاك البطل، العظيم نستطيع أن نناله نحن أيضا، بالصوم والصلاة.

(٦) ثم قدم إيليا صلاة :

ويا لها من صلاة ! كانت هادئة، بدالة قوية، وثقة كاملة فى استجابتها. كان القصد الأساسى من تلك الصلاة، أن يعلن الله ذاته فى ذلك اليوم، بأن يظهر أنه هو، الإله الحقيقى، وبأن يرد قلوب الشعب إليه.

كلما نسينا ذواتنا فى الصلاة، ونسينا مصالحنا الخاصة، وطلبنا مجد الله، سمت نفوسنا، وارتقت إلى القمة، التى ننال كل ما نطلبه منه. عندما كان ربنا على الأرض، كانت كل رغبته أن يتمجد الآب. لهذا؛ فإنه الآن، لا يمكن أن يمنع استجابة الصلاة، التى تقدم هذه الغاية، كحجة لها، «ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن» (يو ١٤:١٣).

وهل يعد أمرا عجيبا إن كانت قد «سقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة» (ع ٣٨). لم يكن ممكنا أن يحصل غير هذا، ويجب أن لا نتوهم بأنها قصة بالية، لا تمت بصلة إلا للأجيال السحقيقة، ولا يمكن أن تكرر، فالنار؛ لا زالت تنتظر الإيمان القوى، الذى يستطيع أن يحدرها من السماء.

إن وُجدت نفس الحاجة للنار، وإن وُجد نفس الإيمان، لرأينا النار تنزل ثانية من السما. ألم يلهب الروح القدس، قلوب الكثيرين فى عصرنا هذا، بنار مقدسة من السماء؟ إن إلهنا نار آكلة. وعندما تتحد قلوب شعبه مرة أخرى، عندما يطلبون حضور شخصه المبارك، فعندئذ؛ ينزل متغلبا على كل العقبات، ويحول الذبيحة المبللة بالماء، إلى طعام يأكله هو شخصيا.

(٧) وأخيرا، أصدر إيليا أمرا بالإعدام :

لقد كان عملا مروعا، ذلك الذى أتاه إيليا، ومع ذلك، فماذا كان ممكنا أن يفعله. لم يعرف قديسو تلك العصور شيئا من آرائنا الباطلة عن الحرية.

لو كان قد قيل لإيليا، إن أولئك الرجال، قد يكونون مخلصين، لتعذر عليه تصديق القول. بل، لأكد أنهم شديدو الخطر، على أحسن مصالح شعبه. ولو كان قد عفا عنهم، كان هذا معناه، ترخيصا لهم لينفثوا سمومهم، وينشروا عوامل الارتداد. إذن، كان لابد من قتلهم، لهذا، صدر الأمر من بين تلك الشفتين الشديدتى المراس «امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل».

أما الشعب، فكان فى حالة تلزمهم بالطاعة الكاملة، لأنهم قبل ذلك ببرهة وجيزة، صرخوا بأعلى أصواتهم قائلين: «الرب هو الله، الرب هو الله»، لقد أدركوا كيف كانوا مخدوعين بدرجة مزرية. لذلك، التفوا على الأثر، حول أولئك الأنبياء، الذين امتلأت قلوبهم ذعرا وخوفا، والذين رأوا أنهم عبثا يحاولون أن يفلتوا من أيديهم، وتأكدوا أن ساعتهم قد جاءت.

«فأمسكوهم» البعض أمسك واحدا، والبعض أمسك آخر. وهكذا أسرع بهم الشعب، على سفح الجبل، وهم يكاد يقتلهم الحقد والغيظ، لأنهم بدأوا يدركون أن هؤلاء الأنبياء، كانوا هم السبب فى ذلك الجفاف، فى المدة الطويلة الماضية.

«فنزل بهم إيليا إلى قيشون وذبحهم هناك» وهكذا سقطوا، الواحد تلو الآخر، تحت سيفه، والملك واقف ليرى هلاكهم المحتم، ولا يستطيع أن يحرك ساكنا، والبعل لم يفعل شيئا لنجاتهم.

وعندما مات آخر واحد، أدرك إيليا أن المطر ليس بعيدا، ولعله سمع أصوات السحاب، وهى مسرعة على البلاد، لأنه علم - ما يجب أن نتعلمه جميعا - أن الله لا يمكن أن يبارك الأرض أو القلب، طالما كان فيه ما ينازعه وينافسه.

ليت الرب يطهر قلوبنا من كل ما ينافسه، ويهبنا إيمان إيليا، لكى نتقوى نحن أيضا ونفعل المعجزات.





المطر أخيرا (١مل ١٨)

نحن لا نستطيع أن نكون فكرة كاملة عن أهوال الجفاف فى الشرق، وإذ كان إيليا، يتطلع من قمة جبل الكرمل، إلى تلك الأرض، المجدبة القاحلة، لم يكن يسيرا أن يرى جنة الرب التى قال عنها موسى «لأن الرب إلهك آت بك إلى أرض جيدة، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع فى البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيت وعسل. أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شئ» (تث ٨:٧-٩).

على أنه رغم هذا الوصف البديع، فقد أعلن لموسى وصف آخر، لبعض المصائب الأكيدة، التى تحل بإسرائيل، إذا هم انحرفوا يمينا أو شمالا، عن إحدى الكلمات التى أوصاهم بها الله. وقد أعلن لهم صراحة، أنه ضمن تلك المصائب، تصير السماء التى فوقهم نحاسا، والأرض التى تحتهم حديدا، ونفس المطر، يصير غبارا وترابا، ينزل عليهم من السماء، حتى يهلكوا (تث ٢٨:٢٣ و٢٤).

وهذا الإنذار المرعب، تم فيهم وقتئذ حرفيا، وكان السبب المباشر للضيق الذى عانته الأرض، هو ارتداد أهلها. كان كل ذلك نتيجة الخطية. لقد صارت آثام إسرائيل فاصلة بينهم وبين إلههم، وأدرك إيليا ذلك تماما، وهذا هو الذى دفعه لكى يبيد كهنة البعل، الذين أضلوا الشعب ليتمردوا على الله.

أما أخآب، فلابد أنه كان واقفا بجانب إيليا، على نهر قيشون، وكان يتمنى، لو أنه لم يشهد بعينيه هذا الانتقام المريع، ولكنه لم يجسر أن يقف أمام ثورة غضب كل الشعب، ولم يحاول أن يدافع عن أولئك الرجال الذين أقامهم هو بنفسه، والذين كان يشجعهم، وأتى بهم إلى البلاد.

وعندما انتهى إيليا من قتل آخر كاهن، التفت إلى الملك، وقال له: «اصعد كل واشرب لأنه حسّ دوى مطر» (ع ٤١). وكأنه قد قال له: اصعد إلى حيث أقيمت خيامك على تلك

المرتفعة، فإن الوليمة قد مدت في سرادقك الملكي، والخدم والأتباع في انتظارك، تلذذ بأطايبك، أسرع؛ فإن المطر لا يمكن أن يتأخر، بعد أن تخلصت الأرض من أولئك الأنبياء الكذبة، وأعيد الله مرة أخرى إلى عرشه. ألست تسمع حفيف الريح الغربية، التي ستحمل معها السحاب المحمل بالأمطار سريعا؟ أسرع، وإلا عطلت مسيرك الأمطار، وأفسدت عليك الوليمة.

ويا له من فرق شاسع بين هذين الرجلين «فصعد أخآب ليأكل ويشرب، وأما إيليا، فصعد إلى رأس الكرمل، وخر إلى الأرض، وجعل وجهه بين ركبتيه» (ع ٤٢)، وهذا ما كنا نتوقعه من ملك كهذا. فعندما كان شعبه يعانى المجاعة على أشدها، كان كل همه، البحث عن عشب لخيله. والآن، لا يفكر إلا في الوليمة التي تنتظره، ولو كان كهنته المخلصون له، قد ماتوا بالمئات.

وهل يمكن أن نصف هذا المخلوق الحقير - ولو ارتدى الثياب الملكية - إلا بأنه كان إنسانا قاسى القلب، ميت الشعور، جبانا، وضيعا، شهوانيا؟ إننى الآن أتخيل أخآب وإيليا، وهما صاعدان معا على تلك المرتفعات، فلا ألتمس أثرا لكلمة عطف وود، أو شكر وثناء، بل يتجه الملك مباشرة إلى خيامه، أما خادم الله، فيصعد إلى أعلى قمم الجبل، فيجد بها مكانا للصلاة، ومنها يستطيع أن يرى عرض البحر الأبيض المتوسط، المترامى الأطراف، الذى يرقد هادئا، في تلك الليلة القادمة، انتظارا لما عساه أن يحصل.

هذه المتناقضات، لا تزال تعلن عن نفسها إلى الآن؛ فإن الأزمات تكشف أسرار قلوب البشر، وتعلن طبيعتها. فأبناء العالم، يقضون أيامهم في الولائم، ولياليهم في الخلاعة والمجون، ولو كان العالم مندفعا إلى الخراب. إن كانوا لا يهتمون إلا بطعامهم وشرابهم، فإنهم بذلك، يثبتون أنهم لا يبالون باحتياجات البائسين، ولا يحفلون بأحكام الله، وقضائه العادل.

أمثال أولئك، كانوا يتلذذون بالولائم مع بيلشاصر، بينما العدو على أبواب بابل. أمثال أولئك، نراهم في كل زمان ومكان، يمعنون في اللذات والشهوات، في أشد الأوقات خطورة. وويل للبلاد التي يحكمها رجال كهؤلاء. وقد أجاد إشعياء النبى، في تصوير العلاقة، بين انغماس الولاة في اللذات، وبين الممالك والشعوب؛ إذ قال: «ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهيهم الخمر، وصار العود والرباب والدف والناى والخمر

ولاهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون. لذلك، سبى شعبى لعدم المعرفة» (إش ٥:١١-١٣).

ليت الرب يحفظ بلادنا العزيزة، من أن تبتلى بحكام كهؤلاء، وليت الرب يبعد شبابنا عن التلذذ بأطايب أخآب، ويسمو بهم مع إيليا، حيث يجدون الجو طاهرا، والحياة حرة، والروح يدفع بهم إلى جلائل الأعمال.

وفى صلاة إيليا، نجد مميزات خاصة، حرية بتأملاتنا، ولأنها يجب أن تكون جزءا من كل صلاة حقيقية.

(١) فإنها كانت مرتكزة على وعد الله:

عندما استدعى إيليا من صرفة، لاستئناف خدمته، كان الأمر الصادر إليه، مقترنا بالوعد بالمطر:«اذهب وتراء لأخآب فأعطى مطرا على وجه الأرض» (ع١). قد يبدو للعقل البشرى الطبيعى، أنه لا داعى للصلاة إزاء هذا الوعد، لأنه هلاّ يتمم الله وعده ويرسل المطر دون اعتبار لأى صلاة أخرى؟ لكن بصيرة إيليا الروحية النافذة، فكرت تفكيرا غير هذا، وكان تفكيرا ثاقبا. ومع أنه يسمع تلك الكلمات، التى نطق بها أحد الأنبياء الذين أتوا بعده (حزقيال النبى)؛ إلا أنه سبق فأدرك فكره، فإن حزقيال، بعد أن وصف مقدار استعداد الله نحو ما يصنعه بهذه الكلمات «أنا الرب تكلمت وسأفعل»، قال لهم: «أطلب من بيت إسرائيل لأفعل لهم» (ص ٣٦:٣٦ و٣٧).

إن مواعيد الله لم تعط لنا لكى نكف عن الصلاة، بل بالعكس، لكى تحثنا على زيادة الإلحاح فى الصلاة. إنها تبين لنا، الاتجاه الذى ينبغى أن تتجه إليه صلواتنا، وإلى أى مدى ننتظر الجواب؛ هى القالب الذى فيه نصوغ صلواتنا الحارة، بلا خوف ولا وجل. هى التحويل الموقع عليه، الذى يخول لحامله، الحق فى استلام قيمته (ادفعوا لحامله)، والذى يجب علينا، توقيعه وتقديمه للدفع. ومع أن الكتاب المقدس، مشحون بالمواعيد الذهبية، من أوله إلى آخره؛ إلا أنها لا قيمة لها، ما لم نحولها إلى صلوات.

ليس من اختصاصنا، ولا من حقنا، أن نناقش فى معقولية هذه الحقيقة؛ بل يكفى أن نقبلها ونقوم بمطاليبها. لماذا لا يكون كافيا لتسكيت كل اعتراض، أن نواجهه بالقول: إننا بهذه المواعيد، نصل إلى أسمى نواميس الحياة الروحية، التى لا تقل عن نواميس عالم

الطبيعة، فى بساطتها، ويقينيتها، وشمولها للجميع. إن المواعيد بوفرة المحصول، تبسم للزارع من الأرض ومن الجو، ولكنه يدرك أنه لن تتحقق ما لم يتمم نواميس الزراعة، وكل مطاليبها؛ وإذ يتمم ذلك، فإن نجاحه لا يتوقف على معرفة العلل والمسببات، بل يكفيه أن يقوم بالواجب البسيط، المفروض عليه، فيجد أن كل وعد، قد تم بوفرة المحصول، الذى تغدقه عليه الطبيعة.

إذن، فعندما نسأل: يجب على البشر أن يصلوا، ويعرفوا كيف تقتدر الصلاة، فلا نهتم بالإجابة أكثر من أن نقول: «إن الصلاة غريزة الحياة المتدينة، وهى أحد المبادئ الأولية فى العالم الروحى». تعلمنا كلمة الله صراحة، أن نجاهد مع القدير بالصلاة. لقد فعل أفاضل البشر وأقدسهم، وشهدوا لقوتها الأكيدة، وربنا يسوع المسيح نفسه، لم يمارسها فقط، بل أعلن قيمتها فى كلمات قوية جدا، تحقق صدقها ربوات البشر، ولا زالت صادقة إلى اليوم، وإلى الأبد «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم».

إذن، لقد اقتنعنا بضرورة الصلاة، ولو كنا نجهل فلسفة الصلاة، كما نجهل فلسفة أى ناموس من نواميس الطبيعة؛ ومتى مارسناها، وجدناها ليست أوهاما أو أحلاما، أو مجرد عواطف محبوبة، بل قوية، حية، عملية. وكلما وقفنا بجانب مذبح البخور، رأينا ملاك الرب واقفا بجانبنا قائلا: لا تخف يا حبيب الرب، لأن طلبتك قد سمعت (لو ١:١٣).

عندما كان ابنك صغيرا، كان يطلب أمورا كثيرة، لا تتفق قط مع طبيعتك، ولا مع مصلحته الشخصية؛ لكن، عندما مرت السنون، وحنكته الأيام، تعلم كيف يصوغ طلباته، فى الشكل الذى توعزه أنت إليه. وهكذا، نحن أيضا؛ فإننا كلما ازدادت معرفتنا بالله، عن طريق مواعيده، ابتعدنا عن طلب الأمور التى يقبل أن يعطينا إياها، واهتدينا لطلب الأمور التى يضعها على كفه، فى انتظار أولاده، ليأخذوها بيد الإيمان.

وهذا هو السبب، فى أن كل صلاة – كصلاة إيليا – يجب أن تكون مرتكزة على وعد الله: عندما نستطيع أن نضع أصبعنا على وعده، ونقول له «أفعل كما نطقت» (٢ صم ٧:٢٥)، عندئذ، نكون واقفين على أساس صخرى، لا يتزعزع، ونكون ممسكين بالله، بأيد لا ترتخى.

(٢) وكانت محددة :

هنا؛ نرى سبب فشل كثير من الصلوات، فإنها كالسهام التى تطلق فى الهواء، أو كالخطابات التى لا تحتاج إلى رد، لأنها لا تطلب شيئا. إنها كإطلاق الطلقات النارية فى الحرب التقليدية. ولهذا ، فإنها عديمة القوة، وعديمة التأثير، لأننا لا نصلى لكى نصل إلى أغراض محددة، ونتائج عملية. نحن نتجول فى البيداء كإسحق، الذى خرج لكى يتأمل، فى الحقل وقت المساء. ولكننا لا نصعد إلى الكرمل بعزم أكيد، وإيمان وطيد كإيليا، موطدين العزم، على أن نفوز بتحقيق أحد المواعيد المباركة، كما فعل إيليا، إذ كان يطلب نزول المطر الذى طال انتظاره.

ليتنا ندقق كثيرا فى هذه الناحية، التى تعوز الكثيرين منا، ليتنا نحصر كل طلباتنا فى قائمة، ثم نأتى بها أمام الله، لكى نطالب بها، واحدة، فواحدة، ليتنا نوجه صلاتنا نحو الله، وننتظر الجواب، كما فعل داود (مز ٥:٤-٩)، فنجد أنفسنا، أننا فى كل يوم، ننال بركات جديدة، غير عادية.

أيها العزيز.. لتكن صلاتك محددة.

(٣) وكانت بحرارة:

كان إيليا انسانا تحت الآلام مثلنا «وصلى صلاة»، أو، وصلى بحرارة أو بغيرة (يع ١٧:٥). هذه شهادة الروح القدس، على لسان الرسول يعقوب، كانت صلاته هى طلبة البار، التى تقتدر كثيرا فى فعلها (يع ١٦:٥). إن الصلوات المسطرة فى الكتاب المقدس، تتقد كلها غيرة وحرارة. أذكر كيف صارع يعقوب، وندم داود، وسكب قلبه. اذكر لجاجة الشحاذ الأعمى، وإلحاح الأم المسكينة، نحو شفاء ابنتها المجنونة جدا، وصرخات الرب القوية، ودموعه.

فى كل من هذه الحالات، رأينا الدنيا كأنها قد تجمعت معا، وقذف بها من قلب الشخص المصلى، بشدة وعنف، الصلاة تستجاب، متى كانت لمجد المسيح، ولكنها لا تستجاب، إلا إذا كانت بحرارة، حتى يكون هنالك الدليل على أن البركة التى يصلَّى عنها، مطلوبة حقا.

أية غيرة متأججة، نحتاج إليها فى ناحية من نواحى الحياة، فى هذه الأيام. فالهمم

فاترة، والعزائم خائرة، والعيون نعسانة، أية قوة - مصحوبة بالقداسة - نحتاج إليها، لاغتصاب ملكوت السموات.

وطبيعى أن تلك الغيرة، يخشى منها عندما نطلب الأمور العالمية لأنفسنا، ولكن، عندما نطلب، كإيليا، إتمام وعد من مواعيد الله - ليس لأنفسنا، بل، لأجل مجد الله - فحينئذ، لا يخشى من شدة الغيرة، أو كثرة اللجاجة فى الصلاة.

(٤) وكانت صلاة إيليا متواضعة:

«وخر إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه» (ع ٤٢). نحن نكاد لا نراه، لأنه قد نسى شخصيته، وارتمى على الأرض، فى تلك الهيئة العجيبة. لقد وقف منتصبا، كبلوطة باشان، قبل ذلك ببضع ساعات، أما الآن، فإننا نراه يحنى كالأثلة رأسه. فى ذلك الوقت، كان واقفا أمام الإنسان كسفير الله، أما الآن، فإنه يقف أمام الله، كشفيع عن الإنسان. أليس هذا هو ما نشاهده دواما، أن الأشخاص الأكثر انتصابا فى وجه الخطية، يكونون أكثر خضوعا، واتضاعا أمام الله؟ أليس صحيحا أيضا، أن أكثر الناس اقترابا من الله، هم أكثرهم اتضاعا؟ صحيح؛ أنت ابن، ولكنك أيضا، أحد رعاياه. صحيح، أنك مفدى، ولكنك، لا يمكن أن تتجاهل اسمك الأصلى - خاطئ. صحيح؛ أنه قد أعطى لك أن تأتى إلى الله، بجراءة وثقة، ولكن؛ اذكر عظمة وقدرة الله، واخلع حذاءك من رجليك، فملائكة حضرته، تطير مغطية وجوهها، لتتمم أمره، وهى تصرخ قائلة «قدوس قدوس». إن المحبة الرقيقة، الهادئة، التى تطرح الخوف، الذى له عذاب، إلى خارج (١ يو ٤:١٨)، تنشئ فى نفس الوقت، خوفا مقدسا، رقيقا، كخوف يوحنا، الذى ولو اتكأ على صدر المسيح، فقد تردد عن الدخول إلى القبر الذى رقد فيه. إن حجتنا الوحيدة أمام الله، هى استحقاق ودم المسيح ،كاهننا الأعظم.

لهذا؛ يليق بنا أن نكون متضعين.

(٥) وكانت مشبعة بروح الإيمان الذى ينتظر:

«كل ما تطلبونه حينما تصلون، فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم» (مر ١١:٢٤). الإيمان؛ هو الشرط الذى لا غنى عنه، فى كل صلاة حقيقية، هو عطية الروح القدس، وهو ينمو بالتمرين، ويتقوى، عندما يتغذى بمواعيد الله، لأن كلمة الله، هى طعامه الطبيعى. لقد كان يخفق بشدة فى قلب إيليا، فإنه كان يدرك أن الله، يحفظ كلمته، ولهذا، أرسل الغلام - ولعله

ابن الأرملة – إلى أعلى قمم الكرمل، وأمره أن يتطلع إلى البحر، لوثوقه من أن صلاته، لابد مستجابة سريعا، وأن وعد الله لابد أن يتمم.

كثيرا ما صلينا، وقصرنا فى أن نتطلع إلى البركات التى طلبناها. لقد وصلت السفن الملكية من السماء، محملة بنفس البركات التى طلبناها، ولكن السفن؛ لأننا لم ننتظرها على الميناء لاستلامها وتفريغها، فقد أقلعت ثانية، وسارت فى عرض البحر. لقد عادت الحمامة إلى وكرها برسائل تحملها تحت جناحيها، ولكننا لم نكن لنبحث عنها، ونستلمها.

قد يكون واجبا علينا، فى بعض الأحيان، أن نمارس الإيمان، بصدد الضمان البسيط، الذى تحمله كلمة الله. وفى أحيان أخرى، يهبنا الله إيمانا خاصا، فى أمور لم نتلق عنها وعدا صريحا؛ وفى كلتا الحالتين، تتوقف الصلاة على توفر الإيمان، أو عدمه. فعند توفر الإيمان، نكون واثقين من استجابة الصلاة، لدرجة أننا نحول الطلبة إلى شكر، ولكن؛ عندما ينعدم الإيمان بإصرار، وعندما تظل النفس، عديمة الرجاء فى استجابة الصلاة، رغم تكرارها المستمر، فعندئذ؛ يظهر كأن حجر الأوريم والتميم قد أظلم، وأجاب بكلمة «لا»؛ وعندئذ؛ نسمع كأن الله يقول لنا « لاتعد تكلمنى أيضا فى هذا الأمر» (تث ٣:٢٦).

هنالك إيمان، لا يمكن لله أن يرفضه، به يصبح كل شئ مستطاعا، به يهزأ المؤمن، حتى بالمستحيلات، وبه تنقل الجبال، وتغرس فى البحار؛ ليت هذا الإيمان يكون من نصيبنا، على أنه لن يكون نصيبا لنا، إلا بالتدريب الدقيق، هذا هو الإيمان، الذى كان لإيليا.

(٦) وكانت صلاة المثابرة :

لقد قال لغلامه «اصعد تطلع نحو البحر»، فصعد وتطلع، وعاد قائلا «ليس شئ». كم مرة، أرسلنا غلام رغباتنا الملحة، ليتطلع نحو الأفق، وكم مرة، عاد إلينا بهذا الجواب «ليس شئ». ليس شئ من دموع التوبة، فى تلك الأعين الوقحة. ليس شئ من الإصلاح، فى تلك الحياة المقفرة، ليس شئ من الأمل، فى الخلاص من تلك المشاكل المعقدة. «ليس شئ». ولأننا لا نجد شيئا فى بداية الصلاة، فإننا نهجر الصلاة، نترك قمة الجبل، ولا ندرى أن الجواب قادم إلينا فى الطريق.

على أن الحال، لم تكن كذلك مع إيليا، «فقال ارجع سبع مرات»، أو حسب بعض الترجمات – ولعلها أقرب إلى المعنى – «فقال سبع مرات ارجع»، لأن الصبى، لم يتلق الأمر

بأن يرجع سبع مرات، دون أن يعطل النبى فى صلاته، ولكن الأرجح، أنه عاد إليه فى المرة الأولى، بتلك الرسالة، ثم عاد إليه المرة الثانية، بنفس الرسالة، وهكذا؛ سبع مرات، وفى كل مرة، كان إيليا يرسله بعد برهة وجيزة.

عاد إليه الغلام فى المرة الأولى قائلا «ليس شئ»، ليست هنالك علامة للمطر، ليس هنالك سحاب فى السماء، ولكنها صافية. فقال له إيليا «ارجع». وهكذا؛ تكرر الأمر سبع مرات، ولم يكن هذا امتحانا هينا، لقوة احتمال إيليا، وصبره؛ على أنه لم يجرب فوق ما يستطيع، بل، مع التجربة، جاءته النعمة الكافية، وهكذا؛ استطاع أن يحتمل.

الله يستجيب صلواتنا فى أغلب الأحيان، ويعد لنا الإجابة، ولكنه قد يؤخرها، لكى يزيدنا قوة، وتعمقا فى الصلاة، فتزداد نفوسنا بركة، ولا تعرف القهقرى «أيضا كل منتظريك لا يخزوا» (مز ٢٥:٣)؛ وعندما نجوز الاختبار بنجاح، يلتفت إلينا بمحبته قائلا: «عظيم هو إيمانكم، ليكن لكم كما تريدون»، إنه ينتظر حتى يتحنن علينا برحمته.

(٧) وقد استجيبت الصلاة بغزارة :

كانت الشمس بحرارتها، تجمع الأبخرة المتصاعدة من البحيرة والنهر، من البحر والمحيط، منذ أسابيع وشهور، فى سحب من المجد حوله. الآن؛ وقد تكدست السحب، فنرى الرياح تقذف بها بسرعة، فوق أراضى إسرائيل، التى كادت تموت عطشا «ويكون أنى قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥:٢٤)، قد يكون الجواب لصلاتك، أقرب مما تظن.إنه قادم إليك على أجنحة الريح، سيستجيب لك الرب سريعا.

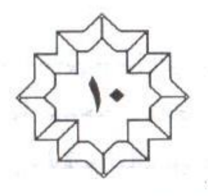
وفى الحال، أبصر الغلام – من قمة تأملاته – غيمة صغيرة، لا تزيد عن كف الإنسان، تندفع فى الجو. وكان فى هذه، كل الكفاية، لكى يدرك أى امرئ خبير بأحوال الشرق، أن المطر لابد آت عن قريب؛ كانت هذه الغيمة – ولا زالت – بشير عاصفة، محملة بالأمطار. وللحال، أرسل إيليا غلامه إلى أخآب، لكى يسرع وينزل من الكرمل، إلى مركباته التى تنتظره أسفل الجبل، لئلا يعطل سيره نهر قيشون، إذ يمتلئ من مياه المطر. وبالجهد، وصل الغلام إلى الملك، قبل أن ينتشر السحاب فى كبد السماء. وأخيرا، هطلت الأمطار بغزارة.

بدأ الملك سيره وسط العاصفة الشديدة، ولكن أقدام النبى، إذ حركتها يد الرب، كانت أسرع من أقدام خيل أخآب الأصيلة «فركب أخآب، ومضى إلى يزرعيل؛ وكانت يد الرب على

إيليا، فشد حقويه، وركض أمام أخآب، حتى تجئ إلى يزرعيل» (ع ٤٥ و٤٦). فقد لف حقويه بعباءته، وسبق المركبة، وركض أمامها كشخص عادى، حتى مدخل يزرعيل، وكانت المسافة نحو ثمانية عشر ميلا. هذا فعله النبى، ليقنع الملك أن غيرته ضد العبادة الوثنية الباطلة، لم تكن لباعث شخصى، بل كان الدافع إليها، الغيرة على مجد الله.

وهكذا، رأينا ذلك الإنسان الواحد الأعزل، يعيد المطر إلى إسرائيل، بصلاته وإيمانه. وهكذا تستطيع أن تفعل الصلاة، أكثر مما يدرك العالم. فلماذا لا نتعلم؟ ولماذا لا نختبر سر الصلاة؟ يقينا؛ إنها فى مقدورنا أجمعين. إذن، فإننا نحن أيضا، نستطيع أن نحدر من السماء، بركات روحية، تفرح برية الكنيسة، والعالم، وتزهر كالنرجس (إش ١٦:٣٥).





كيف سقط الجبار؟ (١مل ١٩)

وسط تلك العاصفة الممطرة، التى ختم بها ذلك اليوم الرهيب، وصل الملك والنبى إلى يزرعيل؛ ولعلهما كانا أول من حمل أخبار كل ما حصل فى ذلك اليوم. ذهب إيليا إلى مسكن متواضع، ليجد مأوى وطعاما، أما آخاب، فعرج إلى القصر الذى تنتظره فيه إيزابل. كانت الملكة طول النهار، تتساءل عما هو جار فوق جبل الكرمل. وكانت تعلل نفسها بالآمال الكاذبة، أن كهنتها هم الذين سيربحون المعركة، وعندما رأت أن السماء اكفهرت، وتلبدت بالغيوم، نسبت ذلك التغيير المنتظر، إلى تدخل البعل، استجابة لتوسلاتهم. ولعل حديثا كهذا، دار بين الملك والملكة، لدى التقائهما داخل السراى الملكية:

– كيف سارت الأمور اليوم؟ لا شك أن الأخبار سارة، فقد سبقت الأمطار جوابك.

– ليست لدىّ أخبار تسرك.

– لماذا؟ هل حدث شئ؟

– لقد حدثت أمور أسوأ مما تتصورين.

– ماذا تعنى؟ أين كهنتى؟

– لن تعودى ترينهم بعد.

– لن أعود أراهم بعد! ماذا تعنى؟ أخبرنى عاجلا.

– لقد قتلوا جميعا، وهو ذا أشلاؤهم تتقاذفها الأمواج الآن.

– ومن ذا الذى تجرأ أن يفعل ذلك؟ ألم يدافعوا عن أنفسهم؟ ألم تبذل أنت أى مجهود لإنقاذهم؟ كيف قتلوا؟ وأين إيليا؟ هل تمرد الشعب؟

وللحال، «أخبر آخاب إيزابل، بكل ما عمل إيليا، وكيف أنه قتل جميع الأنبياء، بالسيف» (ع١)؛ عندئذ؛ اشتعل غضب إيزابل، وبلغ منتهاه، وصارت كدب ثكلى.

كان آخاب شهوانيا، ماديا، كان يكفيه، أن يجد كفايته من الطعام والشراب، وأن يجد

طعاما للخيل والبغال. لم يفهم، لماذا يتحمس الشعب، من أجل الأمور الدينية؛ وفى حُكمه، لم يكن هنالك ما يميز الله عن البعل، ذلك لأن شعاره، كان شعار الأبيقوريين «لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت».

أما إيزابل، فلم يكن هذا طبعها، فقد كانت عنيدة، على قدر ما كان هو غير مكترث. كان من طبعها، المكر والدهاء، والخداع والدس؛ فاستطاعت أن تصوغ أخآب، حسب أهوائها، وهى بعملها هذا، إنما كانت تشير مقدما، إلى المرأة التى رآها كاتب سفر الرؤيا، متسربلة بأرجوان وقرمز، وجالسة على الوحش (رؤ ١٧: ٣ و٤).

كانت الساعة رهيبة جدا أمام إيزابل، والموقف متحرجا على أشده، وقد دفعتها سياستها، كما دفعها غضبها، لاتخاذ إجراء سريع. فلو أنها سكتت على ذلك الإصلاح العام، الذى أجراه إيليا، ليأخذ مجراه، لاكتسح أمامه، كل ما تعبت من أجله منذ سنوات. لهذا، يجب أن تضرب، وتضرب سريعا؛ ومن ذا الذى يبطش به سيفها! إلا بطل ذلك اليوم؟ لهذا؛ فإنها، فى نفس تلك الليلة، وسط العاصفة الشديدة، أرسلت رسولا إلى إيليا، تنذره قائلة «هكذا تفعل الآلهة، وهكذا تزيد، إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم فى نحو هذا الوقت غدا» (ع ٢).

لقد كانت تخادع نفسها بهذا الكلام، فإنها لم تجسر على قتله، رغم أنه كان تحت سلطانها بسهولة؛ ولذا، فقد كظمت غيظها، واكتفت بذلك التهديد. وكان كل ما تصبو إليه نفسها، هو أن تقصيه عن المملكة، حتى يخلو لها الجو، وتصلح ما أفسده، وهذا ما قد نجحت فيه، مع الأسف الشديد.

لم يكن وجود إيليا ضروريا، بقدر ما كان فى ذلك الحين، فإن عمل التخريب، كان قد بدأ، وكان الشعب قد تهيأ لإتمامه، إلى أقصى حد، والتيار انقلب، وسار فى اتجاه الله. وكان وجود إيليا ضروريا جدا، لكى يتزعم القيادة، ولكى يحفظ الشعب فى أمانتهم، لإلههم الذى اختاروه لعبادتهم، ولكى يتمم بسياسته الإنسانية، سياسته الإصلاحية.

ومما سبق أن عهدناه فيه؛ كنا نتوقع، أنه سيتسلم تلك الرسالة بفتور كامل، وعدم مبالاة، ويبسطها أمام الله، بثقة تامة، متيقنا؛ أنه سيستره بستر وجهه، من مكايد الناس، ويخفيه فى مظلته، من مخاصمة الألسن (مز ٣١: ٢٠).

كنا نتوقع أنــه، إما أن يصمت بإباء وشمم، أو يجيبها، كما أجاب ذهبى الفم – فى فرصة مماثلة – على الامبراطورة يودوكسيا «اذهب وقل لها أنى لا أرهب شيئا سوى الخطية».

ولكن، عوضا عن ذلك، يخبرنا الكتاب (ولا شك فى أن الكاتب قد تثقلت نفسه حزنا وأسفا وهو يدون هذه الكلمات) أنه «لما رأى ذلك قام ومضى لأجل نفسه» (ع ٢).

«مضى لأجل نفسه!»، استصحب غلامه، وفى جنح الليل، شق طريقه وسط العاصفة، مخترقا جبال السامرة، وميمما وجهه نحو جنوب اليهودية، حيث تنتهى مراعى فلسطين الخضراء، بصحراء العرب، المترامية الأطراف، لم يخفف سرعة مسيره، حتى غادر البلاد الخاضعة لنفوذ إيزابل، ووصل إلى بئر سبع، تتاخم بئر القسم، التى زرع حولها إبراهيم إثلا منذ بضعة أجيال، ودعا باسم الرب.

وهناك، كان فى مأمن من الخطر، ولكنه حتى فى ذلك المكان، لم يستطع أن يمكث، لأنه يظهر، أن نفسه قد وهنت عزيمتها، وخارت قواها.. والأكثر من ذلك؛ أنه لم يحتمل، حتى رفقة غلامه، فتركه فى بئر سبع، وتوغل فى الصحراء الفسيحة الأرجاء، الممتدة نحو الجنوب، إلى سيناء «وأتى إلى بئر سبع وترك غلامه هناك» (ع٣).

تثاقل سيره فى الصحراء، فى حرارة الشمس المحرقة، فتورمت قدماه من الرمال الساخنة، لم يكن هنالك غربان، ولا نهر كريث، ولا صرفة؛ ولم يجد عطفا من أى مخلوق بشرى، بل خيل إليه، أنه حرم، حتى من رفقة الله. وأخيرا؛ أخذ منه التعب كل مأخذ، وخارت كل قواه، فارتمى تحت ظل رتمة [١] حقيرة جدا، «وطلب الموت لنفسه، وقال؛ قد كفى الآن يا رب، خذ نفسى، لأننى لست خيرا من آبائى» (ع ٤)، هب لى أن أموت هنا الآن، وادفنى بيدك، كما فعلت بموسى فى وادى بيت فغور (تث ٣٤:٦).

ماذا كان ممكنا أن يحدث؟ لو كان إيليا قد ثبت فى مكانه، ساكنا فى ستر العلى، ومختبئا فى ظل القدير، لخلص بلاده، ولَمَا وجد هنالك مجال لسبى شعبه وتشتيتهم، ولخرج السبعة آلاف قديس من مكانهم، وأظهروا ذواتهم، وكونوا نواة للقلوب الأمينة التى لم تشز أن تستبدل عبادة الله بعبادة البعل؛ نعم، ولَمَا وجد هنالك، مجال لتلطيخ صفحة حياته الناصعة، بذلك العار الذى لن تمحوه السنون والدهور.

---

[١] شجرة، بل شجيرة يقال إنها من أنواع الشيح.

لم يعد تأثير إيليا فى إسرائيل لمكانته الأولى، منذ تلك الخطوة الفاشلة، فإنه قد أضاع فرصة، لم تعد قط، ولو أن الله عامله برحمته وإحسانه، كابن له، ولكنه، كخادم، لم يعد إليه ذلك المركز، الذى هرب منه، بلا روية ولا تفكير.

ويا له من درس خطير، لنا أن نتعلمه؛ فنحن؛ إن تركنا لأنفسنا لحظة واحدة، قد نخطو خطوة، تضيع نفوذنا وسلطاننا، وتضعنا إلى الأبد، فى مركز حرج جدا، يختلف كل الاختلاف، عما كنا نصل إليه، لو أننا بقينا أمناء. قد يغفر لنا الله كأبناء، ولكننا كخدام، لن تعود إلينا مراكزنا الأولى، ولن يعود الله يأتمننا، مرة أخرى.

مما يلاحظ باهتمام، أن القديسين الذين دونت سيرهم فى الكتاب المقدس، طالما سقطوا فى نفس الموقف الذى كنا نتوقع أن نراهم فيه ثابتين. فإبراهيم، كان أبا للمؤمنين، ولكن إيمانه خانه، عندما نزل إلى مصر، وكذب على فرعون فيما يختص بامرأته. وموسى، كان أشد الناس، وداعة وحلما، ولكنه حرم من كنعان، لأنه فرط بشفتيه. ويوحنا، كان رسول المحبة، ولكنه فى إحدى ساعات غضبه، طلب أن تنزل نار من السماء. وهكذا إيليا؛ كنا نتوقع أن نراه منتصرا على كل ضعف بشرى، يظهر نفسه هنا «إنسانا تحت الآلام مثلنا».

نقرأ فى التاريخ؛ أن القلعة القديمة، القائمة على جبل، يشرف على كل مدينة أدنبره، سقطت مرة واحدة فى كل تاريخ اسكتلنده، وكان سقوطها على الوجه الآتى: ظنت الحامية المدافعة عنها، إذ ذاك، أن الجبل، فى أحد جوانبها، منحدر انحدارا لا يمكّن أى إنسان، من الصعود إليها، ولذلك؛ لم يضعوا حرسا للقلعة فى تلك الناحية. وفى الصباح الباكر جدا، تسلقت فرقة قليلة العدد، الجبل من ذلك الجانب الشديد الانحدار، وفاجأت الحامية، فاضطرتها إلى التسليم.

ألا نجد هنا تحذيرا لنا أجمعين؟! ربما ينظر البعض منا، نظرة احتقار إلى إحدى الرذائل، ويقول مفاخرا، إننى لن أخضع لهذه الرذيلة، أو تلك، إننى لا أميل بطبعى، إلى أمثال تلك الخطية، إن نفسى منيعة، وقوية، فى هذه الناحية.

حذار أيها العزيز؛ فربما يكون عدو النفوس الألد، له غرض خاص، فى أن ينشئ بداخلك شعورا بهذه الطمأنينة الوهمية، الخادعة، لكى يهاجمك فى نفس الناحية، التى تظن أن نفسك فيها قوية، والتى امتنعت فيه عن السهر، بسبب أوهامك.

يا له من برهان قوى، نجده هنا، إثباتا لصحة الكتاب المقدس؛ فلو أنه كان مجرد تأليف بشرى، لأحجم الذين كتبوه، عن ذكر سقوط أبطاله العظماء. فهل يجسر الفنان، على تصوير أحد الأعمدة، وهو لا يزال مشوها، ولم يتم إخراجه فى صورته الأخيرة؟

يشكو الناس بعض الأحيان، من تصوير الكتاب المقدس، لضعفات قديسيه، ولكن؛ هذا هو مجده. فالكتاب؛ يرفع المرآة أمام الطبيعة البشرية، لكى نرى ما بداخل الإنسان، حتى لا يتطرق اليأس، لنفس أى واحد منا، ولكى ندرك؛ أنه إن كان الله قد استطاع أن يصوغ من الطينة العادية، أفضل الآنية وأفخرها، فإنه لا يعسر عليه، أن يعيد نفس الأمر، فى أصغر، بل فى أشر أولاده.

ألا نستطيع أن نجد شعاعة عزاء، فى حادثة سقوط إيليا المحزنة؟ لأنه لولا ذلك، لنظرنا إليه دواما، نظرة اليأس، واعتبرنا أن بيننا وبينه هوة سحيقة، وأنه من المتعذر أن نتخذه لنا مثالا، ولنظرنا إليه، كأننا ننظر إلى آثار جنس من الجبابرة، يختلفون عنا كل الاختلاف.

أما الآن؛ فإننا عندما نتطلع إليه، وهو منطرح تحت ظل الرتمة، طالبا لنفسه الموت، وظاهر أمامنا بمظهر الجبن، أكثر من الكثيرين منا؛ فإننا نشعر، بأنه لم يصل إلى ما وصل إليه، إلا بفضل نعمة الله، التى نالها بالإيمان، وبنفس الإيمان؛ نحن نستطيع أن نحصل على نفس النعمة، لكى نسمو بحياتنا الضعيفة.

لقد كانت هنالك عدة عوامل لهذا السقوط المريع:

(١) كانت قواه البدنية قد انهكت، وجهازه العصبى قد أضناه التعب :

تأمل قليلا فى المجهود المضنى، الذى بذله منذ ترك ملجأه الوادع، الهادئ، فى بيت أرملة صرفة. اذكر ذلك الصراع العنيف، الذى كابده على جبل الكرمل.. اذكر قتله لأنبياء البعل، وصلاته الحارة.. اذكر ركضه أمام مركبة أخآب ١٨ ميلا، وهروبه بسرعة عقب ذلك، وكيف أنه، لم يكد يستريح من ذلك الركض، لحظة واحدة، حتى ارتمى على الرمال، فى تلك البرية. هذه كلها قد فتتت فى عضده، وأنهكت كل قواه. والآن، وقد انتهت كل هذه المجهودات العنيفة، فقد عانى رد الفعل، الذى إليه يرجع السبب الأكبر، فى كآبته، وانقباض نفسه، وهمومه التى كان يرزح تحتها.

إننا قد خلقنا «بشكل عجيب ومخيف »[١]، وإن حياتنا الداخلية، تتأثر كثيرا، حسب حالتنا الخارجية. لقد صدق من قال؛ إن أتفه الأسباب - غرفة دافئة، أو يوم لم تظهر شمسه، أو عدم الرياضة البدنية، أو ما شاكل ذلك من الأسباب التافهة - قد تؤثر تأثيرا كبيرا، فى السعادة، أو الشقاء فى الإيمان، أو الشك، فى الشجاعة أو الجبن، ولعله يكون من المناسب، عند استدعاء المعلم الروحى، أن نستدعى أيضا، الطبيب.

إن كان هنالك ممن يقرأون هذه الكلمات، من يشعرون بأنهم فقدوا بهجة خلاصهم، وقوة إيمانهم، الذين كانوا ينعمون بهما فى الأيام السابقة، فعليهم، قبل التحدث عن سر حجب وجه الله عنهم، أو يرثوا لارتدادهم، أن يبحثوا، لعل السبب راجع، إلى ضعف بدنى، أو إجهاد فى الجهاز العصبى؛ وإن وجد هنالك شئ من هذا القبيل، فإن ذلك لا يستحق اللوم، بل يستحق عطف وإشفاق، ذاك الذى يعرف جبلتنا، ويذكر أننا تراب نحن (مز ١٠٣:١٤). عندما نتأمل فى عصرنا الحاضر، عصر السرعة، وما يتطلبه من مجهودات عنيفة، يدهشنا أن لا نجد عددا أكثر، يشكون من الكآبة، وانقباض النفس، وحالة الهبوط، التى رزح تحتها إيليا.

(٢) وكان مهتما أكثر من اللازم بأنه قد ترك وحده :

«فبقيت أنا وحدى» (ع ١٠و١٤). لقد ولد بعض البشر، ليعيشوا وحدهم، وهذه الوحدة، هى ثمن العظمة الحقيقية. فى وقت الوحدة، تكون النفس أميل إلى الاضطراب، والانزعاج، ما لم تسندها غاية نبيلة، ويعضدها إيمان قوى؛ لقد سقط ظل هذه الوحدة الثقيل، على نفس معلمنا الأعظم نفسه، عندما قال «هو ذا تأتى ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركوننى وحدى، وأنا لست وحدى، لأن الآب معى» (يو ١٦:٣٢). وإن كان ربنا، قد شعر بثقل تلك الحالة، فليس عجيبا، إن تملك إيليا الجبن، فى تلك الحالة المزعجة.

قد يقول قائل؛ إنه كان يرافقه غلامه، ولكن؛ لنذكر بأنه توجد رفقة، لا يكون فيها أقل معنى، للمرافقة، فنحن قد نشعر بالوحدة فى ازدحام العالم، أكثر مما نشعر بها فى

[١] «أحمدك من أجل أنى قد امتزجت عجبا» (مز ١٣٩:١٤) أما ترجمة النص الانجليزى فهى «أحمدك من أجل أنى قد خلقت بشكل عجيب ومخيف».

الصحراء. إننا نحتاج لشئ أكثر من الخلائق البشرية، نحتاج إلى قلوب بشرية، إلى العطف والمحبة.

(٣) ثم إنه كان قد حول نظره عن الله، ووجهه إلى الظروف:

إلى تلك الساعة، كان يدعم إيليا، إيمان قوى، لأنه لم يكف قط، عن التطلع إلى الله. إنه «تشدد كأنه يرى من لا يرى» (عب ١١:٢٧)، ينجح الإيمان دواما، عندما يشغل الله كل الفكر، وعندما تتجه أنظارنا، إليه وحده.

لكن، عندما وصلته تهديدات إيزابل، نقرأ صراحة أنه «لما رأى ذلك، قام ومضى لأجل نفسه» (ع ٣). بعد عدة سنوات، سار بطرس على الماء، إلى أن حول نظره من معلمه، إلى الأمواج المتلاطمة، «ولما رأى الريح شديدة، خاف وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلا: نجنى» (مت ١٤:٣٠).

هكذا نرى هنا: أنه طالما كان إيليا مثبتا نظره فى إلهه، لم يخش، ولو نزل عليه جيش. ولكن: عندما نظر إلى الخطر الذى يتهدد حياته، فكر فى نفسه، أكثر مما يفكر فى قضية الله، وخشى الإنسان الذى يموت، وخاف من ابن الإنسان، الذى يجعل كالعشب (إش ٥١:١٢)، ونسى الرب، صانعه، خالق السماء والأرض. «فلما رأى ذلك، قام ومضى لأجل نفسه».

يجب أن ننظر إلى الظروف، ولو هاجت وماجت أمامنا، كالبحر الأحمر، وعصفت حولنا، كالزوابع القاصفة. إن النفس التى اتحدت بإلهها، لا تقيم وزنا للظروف، ولا للمستحيلات الطبيعية، ولا للصعوبات: فهذه كلها، تراها كالغبار الدقيق، الذى يعلق بالسنج، والذى لا يحسب له اعتبار فى حساب الوزن.

فيا أولاد الله، اصعدوا إلى الجبل، حيث ترون أرض الموعد المجيدة، ولا تسمحوا للبشر، أو للأمور السفلية، أن تحول أنظاركم.

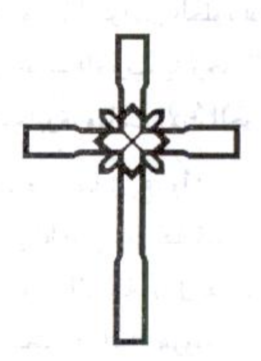
إنه خطأ فاحش، أن نملى إرادتنا على الله: فإن إيليا، لم يع ما قال، عندما أخبر الله، بأنه يكفيه ما سلخه من أيام الحياة، وطلب منه أن يموت، ولو أن الله قد أجاب طلبته، لمات غير مرضى عنه، ولما أتيح له، سماع الصوت المنخفض، الخفيف، (الذى كان يمثل الله) (ع

١٢)، ولما تهيأت له الظروف، لتأسيس مدارس الأنبياء، ولما تمكن من إعداد أليشع، وإرساله للخدمة، ولما أتيحت له الفرصة، ليصعد إلى السماء، فى المركبات النارية.

يا لها من رحمة عظمى، أن لا يستجيب الله كل صلواتنا، وما أعظم رحمته، إذ يقرأ معناها الداخلى، ويستجيبها بما يتفق مع هذا، هذا ما فعله مع عبده المتذمر، كما سنرى فيما بعد.

كم من الأشخاص، ينطقون تلك الكلمة: «كفى»؛ المتألم، فى آلامه الطويلة المضنية، والزوجة، المرتبطة بزوج سيئ الأخلاق، والخادم المسيحى، الذى يبدو له، بأن خدماته تذهب أدراج الرياح. كفى؛ ليتك تضمنى إليك، فإن الحمل، أثقل مما أحتمل، والدروس قاسية، ومدرسة الحياة، لا تحتمل، فعجل بأيام الراحة، لأننى؛ لا أرى فائدة ولا نتيجة، من أى تأخير، كفى.

أيها الأغبياء، والبطيئى القلوب، نحن لا ندرى مقدار الخسائر التى تحل بنا، لو أن الله استجاب كل طلباتنا. إن موتنا الآن، معناه، خسارة البركات العظمى، التى تنتظرنا بعد أربعين يوما؛ معناه، أننا نموت كالكلب، عوضا عن ولوج أبواب السماء المفتوحة، مكرمين، ومدللين. فخير لنا أن نترك كل الأمر، بين يدى الله الشفوق، الكلى الحكمة. صحيح، أنه يود أن نرجع إلى وطننا، ولكنه، لا يريدنا أن نرجع إليه، قبل أن نتلقى الدرس الأخير، ونتمم العمل الأخير. وسوف يأتى اليوم الذى نشكره فيه، لأنه رفض أن يحقق رغبتنا، عندما ارتمينا على الأرض، فى ساعة يأس، وطلبنا إليه قائلين: «كفى الآن يارب. خذ نفسى».





المحبة أفضل من الحياة (١ مل ١٩)

إن الرسول المبارك، الذى تعلم الدروس الأولى عن محبة الله، عندما كان يتكئ على صدر المسيح، يخبرنا فى كلمات عميقة جدا، ولكنها بسيطة.. أننا «قد عرفنا وصدقنا المحبة التى لله فينا» (١ يو ٤:١٦). عجيب جدا، أن ينطق الإنسان البشرى بهذه الكلمات، سعيدة جدا هى تلك الحياة، التى يستطيع المرء فى نهايتها، أن يردد هذه الكلمات ترديدا صادقا، لا شئ فيه من المغالاة.

ولكن، للأسف الشديد، إن الكثيرين منا، قد تعلموا أعمق الدروس عن محبة الله، وسط الفشل، والإهمال، والتقصيرات، كتلك التى شوهت حياة إيليا.

كان سقوط إيليا، محزنا جدا كما رأينا، وكفى أنه قد وصم حياته بعار لا يمحى، وشل نهضة من أقوى النهضات التى رأتها أرض إسرائيل، والتى كان يرجى منها خير أوفر، وبعث الرعب واليأس فى قلوب الألوف، الذين كانوا قد بدأوا يشحذون عزائمهم من غيرته المتقدة، ونزع آخر أمل، فى عدم التعجيل بخراب إسرائيل، وجلب الإهانة والتعيير، لاسم الله وحقه.

ولعل جوقة من الملائكة، قد اصطفت حول النبى الشارد، وهو منطرح على الرمل، وأنشدت مرثاة، كتلك التى أنشدها مرنم إسرائيل الحلو، لدى موت شاول ويوناثان، فى موقعة جلبوع، «كيف سقط الجبابرة فى وسط الحرب، يا رجل الله، قد سقطت على شوامخك، قد تضايقنا عليك جدا، كيف سقط الجبابرة، وبادت آلات الحرب» (٢ صم ١:١٩ و٢٥-٢٧).

إن كان لابد للإنسان أن يحصد ما زرع، وأن يتحمل تبعة أخطائه، فكان لابد أن يتم هذا فى حادث إيليا، على أن أفكار الله، ليست كأفكار البشر، فإنه عرف كل الزوابع، التى كانت ستعصف على نفس ذلك النبى، النبيلة، وكل عوامل الفشل، وخيبة الرجاء، فرافقه بعنايته الفائقة، فى كل خطوة من خطواته ،أثناء هروبه، مجتازا جبال السامرة.

لم تنقص محبته له إذ ذاك، عن محبته له يوم وقف موقف الأبطال الظافرين، على جبل

الكرمل، بل، لعل محبته له، قد ازدادت رقة وعذوبة، يوم تنازل، ووقف بجانبه، وهو نائم على الرمال. وكما يتتبع الراعى، خطوات الخروف الضال من الحظيرة إلى الجبال المقفرة، مشفقا عليه من الوحوش الضارية، هكذا تعطفت محبة الله، وافتقدت إيليا، إذ ارتمى فى الصحراء، ونام تحت الرتمة، لأن قواه الجسدية، قد أنهكها التعب الطويل، وقواه الروحية، ضعضعتها حرب الشهوة، القاسية.

على أن الله لم يقتصر على أن يحبه، بل فعل أكثر من ذلك، فإنه أراد بلطفه وإحسانه، أن يشفى نفس عبده، ويرد إليها صحتها الأولى، وسعادتها السالفة. فبناء على أمره، أتاه ملاك مرتين، وهيأ له مائدة على رمال الصحراء، ومسه، وأمره بأن يأكل.

وهنا، لا نسمع أثرا لكلمات التوبيخ والتعنيف، أو كلمات التهديد بالطرد، بل نقرأ عن نومه، وعن الطعام الذى قدمته له الملائكة، وعن التفكير الهادئ، فى تلك الرحلة الطويلة، إلى جبل الله، حوريب.

يذكرنا هذا المنظر، بذاك الذى فى الأيام التالية، هيأ طعاما فى الصباح الباكر، على شاطئ البحيرة، مما يشتهيه الصيادون وهم خارجون من الماء، ومبتلين ومنهوكى القوى، فقد كانت هنالك نار، وسمك موضوع عليها، وخبز؛ هذا ماقدمه المسيح، لأولئك الذين اقتدوا ببطرس، لم يشاءوا انتظار مجيئه، بل عادوا إلى سفنهم وشباكهم، التى كانوا قد تركوها منذ ثلاث سنوات.

ربما يقرأ هذه الكلمات، بعض ممن سقطوا، ربما تكون أيها القارئ، قد نذرت، بأن تقدس نفسك لله، وعشت زمنا فى الحياة السامية الفضلى، المستنيرة، أو، ربما تكون قد أعلنت، بأن تدخل الحياة المباركة، فذقت أفراحها، واختبرت حريتها ونصرتها. أو، ربما تكون قد تقدمت، لكى تعلم الآخرين، وشجعتهم على حياة الشجاعة، والإقدام، والبطولة، ولكن ذلك كله أصبح الآن أثرا بعد عين، لأنك سقطت كرئيس ملائكة «ملتون»، الذى سقط من السماء إلى الجحيم.

لا حاجة بنا الآن، للبحث عن علة سقوطك، فربما تكون قد داهمتك تجربة مفاجئة، أو أهملت فى شركتك مع الله، أو رفضت أن تعيش، حسب النور الذى أعطى لك.

على أن الحقيقة المؤلمة باقية، وهى أنك قد سقطت، وربما تكون قد سقطت، حيث كان

الجميع ينتظرون أن تثبت، كما كان الحال مع إيليا.

وقد تكون أنت الآن، فى شدة الخجل، فإنك تريد أن تخبئ نفسك، عن كل من عرفوك فى أيامك السعيدة، وربما تكون الآن، قد قطعت حبل الرجاء، وانطفأت من أمامك، كل باقة أمل على الرمال، فى الصحراء، وقد تحسب نفسك مهجورا من الله، والناس.

لكن، اذكر بأنه، إن كان الناس قد هجروك، فإن الله لن يهجرك، لأنه لا زال يحبك، ويشفق عليك، ويحن إليك، وينتظر بجانبك بلطفه، ورحمته، لكى يرد نفسك، ويعوض لك، عن السنين التى أكلها الجراد.

إذن، فإن لنا فى هذه الحادثة، أربعة إعلانات عن محبة الله، يجب أن تكون تعزية لنا أجمعين، وخصوصا، لمن سقطوا من أعالى جبل الكرمل، إلى مستوى رمال الصحراء.

(١) محبة الله فى ثباتها :

هذه حقيقة، نعترف بها أجمعين، ولكن، يندر فينا من يتحققها، فى ساعات الضيق والحزن، التى نتعرض لها كلنا.

ليس بالأمر العسير، أن نؤمن فى محبة الله لنا، عندما نذهب مع الجماعة، إلى بيت الله، بأصوات الفرح والتسبيح، ونشترك فى العبادة الروحية الحارة، ولكنه أمر عسير، أن نؤمن بأنه لا زال يحبنا، عندما تبعدنا خطايانا، إلى أرض الأردن، وجبال حرمون، وتصبح نفوسنا، منحنية فى داخلنا، وغمر ينادى غمرا، وتطمو علينا، كل تياراته ولجه (مز ٤٢:٦ و٧).

ليس بالأمر العسير، أن نؤمن أن الله يحبنا، عندما نكون على جبل الكرمل، أو فى كريث، كإيليا؛ متممين وصاياه، ومستمعين إلى صوت كلمته؛ ولكنه، ليس أمرا يسيرا، أن يكون لنا نفس الإيمان، عندما نكون كإيليا، منطرحين فى الصحراء، أو نكون كالسفينة، التى قد نزع صاريها، وانكسرت دفتها، فصارت معذبة وسط الأمواج المتلاطمة.

ليس أمرا عسيرا، أن نؤمن فى محبة الله، عندما نقف كبطرس، على جبل التجلى، وفى نوة الفرح والسرور، نطلب أن نشترك مع المسيح فى خيمته، إلى الأبد، ولكنه يكاد يكون لنا نفس الإيمان، عندما ننكر سيدنا بأقسام، كنفس الرسول، وعندما تبدو منه التفاته، فيسودنا الخجل، ويتملكنا الحزن، أكثر من التبكيت والندامة.

على أننا يجب أن نتعلم، كيف ندرك ثبات محبة الله، ونؤمن فيها؛ قد لا نشعر بها، قد نعتقد بأنها تخلت عنا، وفارقتنا إلى الأبد. وقد نتوهم، بأنه لم يبق لنا حق المطالبة بها، وقد نفكر فيها، كما يحلم تفكير رواد القطبين، وهم يموتون فى الجليد، بأيام الصيف الجميلة، التى لن يروها بعد.

على أنها رغم كل ذلك، ثابتة لم تتغير. فإنها تبقى أمينة، كمحبة الخل الوفى؛ صادقة، كمحبة الأم، بل تبقى ثابتة، كثبات الله نفسه. قد يتصاعد الضباب، من مستنقعات خطيتك وأدناسها، ويحجب نور تلك الشمس، ولكن الشمس، لا زالت مشرقة، كما كانت، وستظل مشرقة، حتى تتبدد كل الحجب، وتضئ إليك، بلمعانها الكامل.

فيا أولاد الله، يا من حطمتكم الآمال الخائبة، وارتميتم على رمال الصحراء، فى يأسكم القاتل، تشجعوا، وترجوا ثانية محبة الله، ثقوا فيها، وسلموا ذواتكم لها، فتحمدوه؛ لأنه خلاص وجهكم، وإلهكم، «لماذا أنت منحنية يا نفسى، ولماذا تئنين فىّ. ترجى الله، لأنى بعد أحمده، خلاص وجهى، وإلهى» (مز ٤٢:١١).

(٢) ظهور محبة الله بعطف خاص بسبب إثم خاص :

لم نقرأ أن ملاكا ظهر لإيليا، فى كريث، أو صرفة، أو أيقظه بلمسة مرجفة، بقدر ما كانت رقيقة. لقد قامت بخدمته من قبل: الغربان، والنهر، والأرملة؛ ولكن، لم يقم الملاك بخدمته، ولو مرة واحدة. لقد شرب من مياه نهر كريث، ولكنه، لم يشرب أبدا، من المياه التى أتت بها الملائكة، من نهر الله الممتلئ مياها، أبد الدهر. لقد أكل من الخبز، واللحم، اللذين أتت بهما إليه الغربان، ومن الطعام الذى كانت تهيئه له أرملة صرفة، بمعجزة، ولكنه لم يأكل قط من الكعك الذى هيأه الملاك بيده.

ولماذا كانت براهين المحبة الخاصة هذه؟ لا شك أنها لم تكن لأن الله سر بخطية عبده، أو أنه تجاوز عن إثمه العظيم، بل لأنه كان لابد من إعلان خاص للمحبة، لإقناع النبى، أنه لا يزال محبوبا، ولتلطيف روحه، ولإرشاده للتوبة.

عندما لا تكفى الطرق العادية، يستخدم الله الطرق غير العادية؛ هنالك مثال رائع، يوضح هذه الحقيقة، وكم كان هذا المثال، باعثا للتعزية والرجاء للجماهير الغفيرة، التى أخطأت كبطرس؛ كما كان باعثا لشكر الجميع، من أجل تدوين أعمال الله، وتصرفه مع عبده

الضـال. لقد أرسل الرب، رسالة عامـة لكل تلاميذه، ليلتقوا به فى الجليل، ولكنه شعر أن بطرس، قد لا يجرؤ بأن يعد نفسه بين الباقين، ولذا، أرسل إليه رسالة خاصة، قائلا: «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس». (مر ١٦:٧).

وهذا ما لا يزال يفعله يسوع مع تلاميذه، فإنه يمتلئ شوقا، لإقناع الساقطين بمحبته التى لن تتغير من نحوهم، حتى أنه قد يخرج عن المألوف، ليعلنها لهم، ويستحدث بعض الطرق الجيدة، أو المفاجآت الغريبة؛ قد يستخدم الملائكة بلمستهم اللطيفة، قد يقدم كعكا وسط الصحراء. إنه يرسل رسائل خاصة، موجهة باسم الشخص المرتد، يحمل الخروف الضال على منكبيه، ويرده إلى حظيرته، يذبح العجل المسمن، ويدعو ملائكة حضرته، ليفرحوا ويسروا.

قد تكون أيها القارئ العزيز، نائما نوم الجمود، وانعدام الشعور، أو نوم اليأس؛ ولكن؛ محبة الله فى كل تلك المدة الماضية، كانت تبتدع إعلانات فريدة، غريبة، لإظهار رقتها وعذوبتها. إنه يكره خطيتك.. كما يليق بقداسته اللانهائية، وهو يحن إليك.. كما يليق بمحبته اللانهائية. هو يريد أن يقنعك بما يشعر به؛ أن يحرك مشاعرك، أن يذيب قلبك، أن يردك إلى حظيرتك. وفى كل المدة التى تحزنه، وتتباعد فيها عنه، هو لا يزال يحيطك بالرضا، والبركات الغزيرة. فلماذا لا تخضع له.. وتسلم إليه نفسك؟ «خذوا معكم كلاما وارجعوا إلى الرب، فيتحنن عليكم، ويقبلكم» (هو ١٤:٢).

(٣) محبة الله فى عنايتها التى لا تكل :

الأرجح جدا، أن الوقت كان مساء، عندما أتى الملاك إلى النبى فى المرة الأولى، ولمسه، وأمره أن يأكل، لأننا نقرأ أنه «سار فى البرية مسيرة يوم، حتى أتى وجلس تحت رتمة» (ع٣). كان الليل قد بدأ يرخى سدوله على تلك الرمال المحرقة، وكانت الشمس، قد بدأت تتوارى وراء الأفق، ككرة من نار، وعندما «عاد الملاك ثانية»، كان ذلك على الأرجح، فى الصباح الباكر جدا، وهكذا؛ بقيت ملائكة الله، تلك الليلة المتوسطة، فى حراسة النبى النائم.

لا يستطيع أحد أن يدرك قوة صبر واحتمال، محبة الله؛ إنها لن تكل، ولن تمل، ولن تعيا، ولن تيأس، ولن تفشل. إنها تحتمل كل شئ، وتصدق كل شئ، وترجو كل شئ، وتصبر على كل شئ. إنها تتمسك بغرضها، بقوة إلهية، إلى أن يعقب الظلام، نور الفجر، بضيائه

الوهاج، وتأتى ببركات الأيام القديمة. إنها تسهر علينا، فى الساعات التى لا نحس فيها بوجودها، وتلمسنا بين آونة وأخرى، وتتحدث إلينا، وتدعونا إلى حياة أفضل، وأكمل، إلى حياة أكثر مناسبة، تمجيدا لاسمه.

(٤) ومحبة الله تسبق، فتدرك الحاجة المقبلة :

هذه الحادثة، هى من أعجب الصفحات، فى تاريخ النبى؛ فيها ترى الله، يقدم له حديثا طويلا، بل أكلة طيبة، ونوما هادئا، كأفضل الوسائل، التى تجدد قواه المنهكة. هذا ما كان ينتظر من ذاك الذى يعرف جبلتنا، ويذكر أننا تراب، ويترأف علينا، كما يترأف الأب على البنين، ولكنه عجيب جدا، أن يقدم الرب لعبده، المؤونة التى تكفيه للرحلة الطويلة التى تنتظره، «قم، وكل، لأن المسافة كثيرة عليك» (ع٧).

لقد قام إيليا بتلك الرحلة من تلقاء ذاته؛ فقد كان القصد منها، أن يهرب بعيدا جدا عن مركز عمله، وكان ينتظر فى ختامها، عتابا شديدا «مالك ههنا يا إيليا» (ع ٩ و١٣)؛ ومع ذلك، أمده الرب بالطعام الذى يقويه على احتمال ذلك التعب المضنى.

ولتفسير هذا، ينبغى أن يرجع ثانية إلى محبة الله الرقيقة. لقد كانت طبيعة إيليا منهكة بشكل واضح. ومما لا شك فيه، أنه كان قد صمم على القيام بتلك الرحلة الشاقة، إلى جبل الله، ولم تكن هنالك أية قوة، تزحزحه عن عزمه. وإذ أراد أن يذهب، فإن الله سبق، فعرف احتياجاته، ولو أنها كانت احتياجات ابن عاق، متمرد. وفى الغضب، ذكر الرحمة (حب ٣:٢)، وتقدمه ببركات خير (مز ٢١:٣) ومنحه بأكلة واحدة، قوة للمسير أربعين يوما، وأربعين ليلة.

وهنا؛ لنقف برهة، لنتأمل فى محبة الله العجيبة، ونقدم له السبح من أجلها، فإنه بهذه المحبة، «يعطى الجميع، حياة، ونفسا، وكل شئ» (أ ع ١٧:٢٥)، حتى، رغم علمه، أنها ستستعمل لغايات، سداها؛ محبة الذات، ولحمتها؛ الرغبات العالمية، بل، لو كانت ستستعمل ضد إرادته الواضحة الصريحة.

يقينا، إن هذه التأملات فى محبة الله، ستصد البعض عن متابعة السير فى طريق الارتداد. إن كنت قد سقطت، فلا تخف من الله، ولا تتوهم، بأنه لن يعود يشرق عليك بوجهه، وإن فكرت فيه هذا التفكير، فإنك تزيده حزنا، وتزيد خطيتك شناعة؛ فسبيلك بالحرى، أن

تطرح نفسك على محبته، كما يطرح من يريد أن يتعلم السباحة، نفسه على العوامة التى تحيط به من كل ناحية، والتى تحمله، وترفعه فوق الأمواج المتلاطمة. أخبره؛ كيف أنك حزين، من أجل أخطائك الماضية، واسأله؛ أن يردك إلى حظيرته، سلم نفسك إليه ثانية، عد إلى الخدمة التى قد تركتها، وإلى مركزك الذى قد هجرته، وثق بأن الله سيعود، فيستخدمك إناء مختارا، ويفيض عن طريقك، ببركاته الغزيرة، كما يفيض المحيط من مياهه الغزيرة، بواسطة بوغاز ضيق.

وقبل أن نختم هذا الفصل البديع؛ ألا يليق بنا، أن نتأمل فى تلك الموائد، التى تهيئها لنا السماء، كل مساء، وكل صباح، أثناء مسيرتنا فى برية هذه الحياة، ونتلقى منها دروسا رائعة؟ ففى الليل، عندما نعود إلى بيوتنا، منهوكى القوى، بسبب أعمال النهار، تأمرنا الملائكة - قبل أن نضطجع على فراشنا، ونتمتع بنوم عميق - أن نقوم، ونشترك فى خبز الحياة، والماء الحى، اللذين بهما وحدهما، تتقوى النفس. وفى كل صباح، تلمسنا الملائكة بلطفها المعهود، وتوقظنا من نومنا المتزايد، وتهمس فى آذاننا قائلة «قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك». وما فشلُ الكثيرين من المسيحيين فى حياتهم الروحية، إلا بسبب عدم إطاعة تلك الأصوات السماوية، فإنهم لا ينالون من المسيح الغذاء الكافى، بل يغطون فى نومهم العميق، بلا اكتراث، ولا شعور، حتى ترتفع الشمس فى كبد السماء، وتنصرف الملائكة بما تحمله من موائد شهية.

ليتنا نكون ضمن تلك الجماعة السعيدة، التى لا تحتاج إلى توجيه النداء إليها مرتين، بل تستيقظ كل صباح، حالما تقع على أذنها، أول كلمة من كلمات الملائكة، لكى تأكل من الجسد، الذى هو مأكل حق، وتشرب من الدم الذى هو مشرب حق، عندئذ، نستطيع أن نصد كل الهجمات، ونتحمل كل تعب، ونبقى أبدا فى حضرة الله. «وأما منتظرو الرب فيجددون قوة، ويرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون» (إش ٤٠:٣١).





الصوت المنخفض الخفيف (١مل ١٩)

وإذ انتعش إيليا بالنوم والطعام، استأنف مسيره وسط الصحراء، إلى جبل الله حوريب، ولعله لا توجد بقعة على الأرض، اشتهرت بظهور الله علانية فيها، مثل هذا الجبل المقدس. هناك، شتعلت العليقة بالنار، هناك، أعطى الناموس، هناك، قضى موسى أربعين يوما وأربعين ليلة وحده مع الله. فإن كان إيليا قد قصد هذا الجبل، إنما فعل ذلك بدافع الغريزة الطبيعية، ولم يكن العالم بأسره، يستطيع أن يقدم له مدرسة أكثر مناسبة، فكانت المناظر الطبيعية، والتذكارات المقدسة، كافية للتأثير على نفسه، والسمو بها.

أربعين مرة، أرى الشمس تشرق وتغرب على رمال الصحراء؛ لا أعرف أحدا إلى الآن، استطاع أن يفسر تفسيرا كاملا، معانى ذلك العدد الرمزى، الذى طالما ظهر على صفحات الكتاب المقدس، والذى طالما اقترن بمظاهر الفشل، أو التجربة. وهنا، لا يسعنى إلا أن أشير فقط، إلى تكرار هذا العدد مرارا.

وأخيرا؛ وصل النبى إلى جبل حوريب. ولنتأمل الآن؛ كيف تصرف الله مع عبده الشارد، الكسير النفس:

(١) لقد تكلم معه الله :

فى إحدى مغارات ذلك الجبل المظلمة؛ استقر إيليا، «ودخل هناك المغارة وبات فيها» (ع ٩)، وإذ بدأ يغرق فى بحار من التأملات الهادئة، اشتعلت النار فى نفسه، ولكنه لم يلبث طويلا، حتى كان كلام الرب إليه» (ع ٩) (أتاه أو وافاه كلام الرب).

لقد طالما أتاه كلام الرب من قبل، وافاه فى تشبة، وفى السامرة، بعد أن قدم رسالته الأولى إلى أخآب، أتاه عندما جف نهر كريث، ثم أتاه لكى يدعوه من عزلته فى صرفة، إلى حياة الجد، والعمل، والكفاح؛ وها هى كلمة الرب الآن، تبحث عنه وتجده وتأتيه. لن توجد

بقعة على الأرض، مهما كانت موحشة، ولن توجد مغارة، مهما كانت عميقة، ومظلمة، لا تستطيع أن تجدنا فيها كلمة الرب، وتوافينا.

ومع أن الله تكلم معه مرارا، من قبل، فإنه لم يتكلم معه قط، بمثل هذه النغمة «مالك ههنا يا إيليا» (ع ٩). كانت النغمة مشبعة بروح الأسف، والتوبيخ: أنت عبدى، وقد أقمتك لإتمام إرادتى، وإن كان هنالك وقت تحتاج إليك فيه البلاد .. فهو الآن. لقد بدأ التيار الشرير يتحرك؛ لقد تهيأ الجو لإصلاح عظيم، فلماذا تركت مركزك؟ كيف تجرؤ على المجئ هنا، بدون أمرى، أو بدون إذنى؟

وهنا، نرى إيليا يحجم عن أن يعطى ردا صريحا. فلو كان قد أجاب بالصدق، والصراحة، لكان قد اعترف بأنه أخطأ على طول الخط، دون أن ينطق بكلمة واحدة، تلطف من خطيته؛ أو ينتحل فيها الأعذار لنفسه. لقد أخطأ فى ترك مركزه، وكانت هذه الخطوة الأولى، الخاطئة، سببا فى انزلاق قدمه، إلى خطوات أشد خطأ.

لو كان النبى قد أجاب عن ذلك السؤال الفاحص، بخجل وحزن، لو اعترف بأنه سقط، وطلب المغفرة، ولو ارتمى تحت قدمى محبة صديقه القدير، وعطفه، وإشفاقه، لما كان هنالك أقل شك فى الصفح، ورده عن ضلاله. ولكن الرب، قد طرح كل أخطاء الماضى، فى بحر النسيان، وخلصه من نتائج ذلك الهرب المشين؛ لكن الله نفسه، قد وقف فى الثغرة، حتى يعود عبده بسرعة، إلى مركزه، ويستأنف ذلك العمل المجيد، الذى كان قد بدأه، بكيفية نبيلة.

ولكنه عوضا عن هذا، زاغ عن ذلك السؤال، وتفاداه. لم يحاول أن يفسر، كيف أتى هناك، أو ماذا كان يفعل؛ بل فضل، بالأحرى، أن يتحدث عن أمانته لحق الله، ويؤكدها، بمقارنتها بارتداد شعبه، وخيانتهم، «غرت غيرة للرب إله الجنود، لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدى، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها» (ع ١٠ و١٤). كان كل هذا معروفا لله. ولست أظن النبى، كان يفكر فى الإشارة إليه، لو لم يكن فى شدة الارتباك والحيرة، وفى شدة العجز، عن أن يجد عذرا، يلطف به جبنه، وإهماله لواجبه.

إنه فى الواقع، كان قد سقط فى بالوعة الشك، والخوف. وكانت سماء نفسه، قد تبلدت بغيوم قاتمة، حتى لم يبق مجال لنجمة واحدة، تومض إليه ببريق من الأمل، والتعزية. كان

يحاول أن يبرئ نفسه، ويلقى اللوم على الآخرين؛ الأمر الذى ما كان يليق به على الإطلاق.

لم يدرك تماما، أنه هو المخطئ، وأن اللوم واقع على قدم المساواة، مع الآخرين، بسبب الطعنة التى طعن بها حق الله. كانت طبيعته نبيلة، ولكن، سحبا قاتمة ظللتها وقتيا، كانت كقصر فى أطلال، وكسفينة فاخرة، بلا دفة، معذبة، وسط الأمواج المتلاطمة.

لم يكن هنالك أقل شك، فى صحة الكلام الذى نطق به؛ فقد كان ممتلئا غيرة ومحبة لحق الله؛ وكم من مرة، اتقد واشتد حزنه، بسبب ارتداد شعبه، وتمردهم، ونجاساتهم؛ ثم إنه كان يحس تماما، بوحدته، ووحشته؛ ولكن؛ هذه لم تكن البواعث الحقيقية، لاختبائه فى المغارة وقتئذ، كما أنها لم تكن الإجابة الصادقة، لذلك السؤال الفاحص: «ما لك ههنا يا إيليا»!!

لا يزال هذا السؤال، يوجه مرارا إلى الكثيرين اليوم؛ فعندما يهجر الخادم المسيحى، عمله، ومركزه - بينما يكون الحال فى أشد الاحتياج لخدمته - بسبب بعض صعوبات، لم تكن متوقعة، أو لإتمام شهوة خاصة، أو لتوفير شئ من الراحة النفسية، ويذهب لذلك المكان، حيث يتكئ على وسادة الكسل، أو لغيره، حيث يستنشق النسيم العليل، عندئذ، يأتيه السؤال قائلا: «ما لك ههنا».

وعندما يذهب أولاد الله لدور التمثيل، أو صالات الرقص، أو أماكن اللهو؛ عندما يجلسون فى مجالس المستهزئين، أو يقفون فى طرق الخطاة، أو يسلكون فى مشورة الأشرار؛ عندئذ، يجب أن يأتيهم السؤال أيضا، كالرعد القاصف، من وسط السماء الصحو: «ما لك ههنا».

وعندما يخلع على المرء مواهب، ممتازة، ويحفر حفرة فى الأرض، ويدفن فيها تلك الوزنات، التى ائتمنه عليها الله، ويقف بليدا طوال النهار، وسط جماعة المتلكئين فى الأسواق؛ عندئذ، يجب أيضا أن يدوى الصوت فى آذانه، قائلا: «ما لك ههنا».

إن الحياة، هى وقت العمل، والعالم؛ إن هو إلا مصنع عظيم، لا مكان فيه للكسالى، والله بنفسه يعمل، كبناء عظيم؛ وكل الخلائق تؤدى وظائفها؛ من الملاك الذى يسبح، إلى الحشرة الدنيئة، والمكان متسع جدا للعمل. فكم من الشرور والعثرات، مطلوب إزالتها، وكم من خير؛ مطلوب منا أن نتممه، كم من متشككين؛ يحتاجون إلى الإرشاد، كم من ضالين؛

يتلمسون من يردهم، وخطاة يتلهفون؛ على من يفتش عنهم...«ما لك ههنا».

قوموا أيها المسيحيون.. غادروا مغارتكم، واعملوا؛ لا تعملوا لكى تخلصوا، بل؛ إذ قد تخلصتم.. اعملوا.

(٢) وعلمه الله بمثل طبيعى جميل :

أمره الله أن يقف فى مدخل المغارة، ولكنه، تردد فى تلبية النداء، حتى مر بعض الوقت؛ هل نشأ هذا التردد من ضمير أثيم، ذكره بأن الصلة بينه وبين الله، ليست كما ينبغى؟

وفى الحال، صار صوت «ريح عظيمةأو شديدة»، وفى لحظة أخرى، هبت عاصفة قاصفة، اكتسحت أمامها كل شئ؛ فقد «شقت الجبال، وكسرت الصخور أمام الرب» واستضاءت الأودية من الشرر المتطاير، ولكن؛ «لم يكن الرب فى الريح».

وعندما خفت صوت الريح، وعبرت العاصفة، حدثت زلزلة؛ فاهتز الجبل اهتزازا عنيفا، أحدث به الشقوق، والفجوات، وماجت الأرض، واضطربت؛ إن يد القدير قد أمسكت بها وحركتها، ولكن؛ «لم يكن الرب فى الزلزلة».

وعندما هدأت الزلزلة، وسكنت الأرض، حدثت نار، وصارت السماء كلها شعلة واحدة من نار، فتوهجت قمم الجبال العالية، وكل برج عال؛ أما الأودية التى من أسفل، فكانت تبدو كأنها أتون نار متقدة، ولكن؛ «لم يكن الرب فى النار».

يا للعجب! حقا، لقد كانت هذه هى العلامات المناسبة الطبيعية، لحضور الله. فلو طلب أن نصف حضور الله، لذكرنا هذه العلامات؛أولا، ولكن؛ اصغ، فهو ذا صوت خافت فى الجو، خافت جدا، وهادئ؛ كصدى صوت مزمار، يزمر وسط الجبال. وللحال، مس هذا الصوت، قلب النبى الذى كان فى أشد حالات الانتباه. إن كانت قوى الطبيعة الهائجة، قد عبرت عن ثورة طبيعة إيليا، فإن هذا الصوت الخفيف، قد أعلن عن نفسه الطاهرة، النبيلة، وهدأ روعه الذى كاد يخنق أنفاسه.

كان هذا الصوت، علامة محبة الله الفائقة، التى أتت تفتش عنه، كانت نغمات هذا

الصوت السحرية، كافية لإخراجه من مغارته، التى دفعته إليها مظاهر الطبيعة الثائرة. «وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا، لف وجهه بردائه، وخرج، ووقف فى باب المغارة».

ماهو معنى كل هذا؟ ليس هذا بالأمر العسير فهمه. لقد كان إيليا، فى أشد اللهفة أن يعود شعبه إلى أمانتهم لله، وكان يظن، بأنه لم يكن ممكنا أن يتم ذلك، إلا بعمل عجيب، خارق للطبيعة. ولعله كثيرا ما كان يناجى نفسه قائلا: إن تلك الأصنام، لن تُكتسح من بلادنا، ما لم يرسل لها الرب نهضة قوية جدا، كالريح، التى تكتسح السحاب أمامها، وأن الأرض، لن يمكن إيقاظها، إلا بزلزلة أدبية، وأنه لابد أن تكون هنالك معمودية النار.

ولما وقف على الكرمل، وأبصر الكهنة، وقد سادهم الرعب والفزع، والشعب؛ وقد امتلأت قلوبهم غيرة وحماسة، ظن أن الوقت المعين قد حان، ولكن، تلك الآمال ذهبت أدراج الرياح، فإن هذه، لم تكن الطريقة التى اختارها الله، لخلاص إسرائيل. ولأن الله لم يسلك هذا السبيل، فقد تخيل إيليا أنه (أى الله)، لن يعمل شيئا على الإطلاق، ولهذا؛ قذف بنفسه فى بالوعة اليأس.

ولكن، هذا الميل الطبيعى، يبدو كأن الله تحدث إليه قائلا: يا ابنى، لقد كنت تنتظر منى، أن أجيب صلواتك، بآيات وعجائب، هذه لم تعط بكيفية ظاهرة، ودائمة، فقد ظننت أننى لم أهتم، ولم أبال، ولكن؛ اعلم أننى، لا أوجد دائما في هذه العلامات المنظورة، العنيفة، فإننى أفضل أن أعمل فى هدوء، وسكون، فى رقة وخفاء، هذه كانت خطتى فى الماضى، وهذه لا زالت إلى الآن، طريقتى. ونتيجة لعملى الهادئ الرقيق، هذا؛ يوجد فى إسرائيل «سبعة آلاف كل الركب التى لم تجث للبعل، وكل فم لم يقبله». نعم، ألم تكن خدمة أليشع الهادئة، التى أعقبت خدمة إيليا الثورية المهتاجة، مثل ذلك الصوت المنخفض، الخفيف، بعد الريح، والزلزلة، والنار؟ أوليس من المحتمل، أن تكون حياته الوادعة، الساكنة، أكثر تأثيرا وإنتاجا، من حياة إيليا، التى تميزت بالأعمال العجيبة، والعظيمة؟

ونحن كثيرا ما ارتكبنا أخطاء مماثلة. فعندما نفكر فى عمل نهضة روحية، نسعى للحصول على جمهور غفير، ووعاظ أقوياء، ومؤثرات شديدة، وما إلى ذلك، من العوامل التى تمثل الريح، والزلزلة، والنار. وعندما تتوفر هذه، نحسب أننا قد ضمنا حضور الله، وقوته؛ ولكن، يقينا، إن الطبيعة نفسها توبخنا. فمن ذا الذى يسمع دوران الكواكب السيارة، ومن ذا

الذى يلحظ تساقط الندى، أو من ذا الذى قد تأذت عيناه، من موجات الضوء الهادئة، التى تشرق على الأرض فى الصباح المبكر؟. « لا قول ولا كلام، لا يُسمع صوتهم» (مز ١٩:٣). إن أعظم قوات الطبيعة، فى هذه اللحظة الحالية، الآن، جادة فى عملها حولنا، فى هدوء وخفاء.

وهكذا، كان الأمر فى خدمة الرب، يسوع المسيح، فإنه كان «لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته» (مت ١٢:١٩). وبينما كان الشعب ينتظره على الباب الخارجى، بصوت البوق والهتاف، دخل إلى بيته المعين، متنكرا، فى شكل طفل قروى بسيط «خروجه يقين كالفجر» (هو ٦:٣)، «ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض» (مز ٧٢:٦) روحه ينزل مثل الحمامة التى لا يسمع لأجنحتها حفيف فى الهواء.

إذن، فلتتشجع قلوبنا، لأنه؛ إن كان الله لا يعمل كما ننتظر، فإنه لا شك يعمل؛ إن كان لا يعمل فى الريح؛ فإنه يعمل فى النسيم، وإن كان لا يعمل فى الزلزلة؛ فإنه يعمل فى نخس القلوب، وإن كان لا يعمل فى النار؛ فقد يعمل فى حرارة الصيف، وإن كان لا يعمل فى الرعد القاصف؛ فإنه يعمل فى الصوت المنخفض، الخفيف. وإن كان لا يعمل فى الجماهير، فإنه يعمل فى قلوب الأفراد.. فى الدموع التى تنهمر، فى سكون وهدوء.. فى تنهدات وأنات الخطاة، التائبين.. وفى الجموع المنزوية، المجهولة، كالسبعة آلاف، التى كانت فى إسرائيل.

ولكن إيليا أبى أن يتعزى، ويبدو أنه لم يستطع التخلص من الحالة النفسية، التى وقع فى حبائلها؛ لأنه، عندما سأله الله للمرة الثانية « ما لك ههنا يا إيليا»، أجاب بنفس الكلمات التى أراد بها أن يبرر نفسه من قبل «فقال غرت غيرة.. إلخ».

جميل جدا أن نتأمل فى أولئك السبعة آلاف تلميذ، الذين لم يكن يعلم عنهم أحد شيئا، إلا الله. كثيرا ما نحزن، عندما نقارن بين العدد الضئيل، من المسيحيين الحقيقيين، الظاهرين، وبين الجماهير الغفيرة من الأشرار. ولكن، لنتشجع، فإن هنالك مسيحيين غير هؤلاء. إن الوالى الذى يبدو قاسيا، هو يوسف متنكرا. وذلك الغنى العظيم ، الذى يمتلك البستان فى «الرامة»، هو من أتباع المسيح المتواضعين.وذلك العضو فى السنهدريم، هو تلميذ، ولكن فى الخفاء، خوفا من اليهود.

بجانب كل شخص مقيد فى سجلات الكنيسة، يوجد مئات، وربما ألوف، سيعترف بهم الله، يوم يجمع لآلئه.

ولكن، إن كنت أيها القارى العزيز؛ واحدا من هؤلاء، فإنى أتوسل إليك، أن لا تظل كذلك؛ لأنك بذلك، تضع نفسك فى وضع مزيف، وأنت بذلك، تحرم عمل الله من معونتك، وتقويتك؛ وهذا إنما يعد خيانة للمسيح نفسه،فاحذر، لأنك إن كنت تستحى منه اليوم، فقد يأتى اليوم الذى فيه يستحي هو منك.

صحيح، إن الاعتراف بالمسيح، معناه الاستشهاد بهذه الصورة، أو تلك. وفى بعض الأحيان، تجفل قلوبنا، ويتولاها الرعب، والخوف، عندما نتأمل فى النتائج التى تترتب على رفضنا عبادة البعل. ولكن، فى مثل هذه الأحوال، لنشجع أنفسنا، بالتأمل فى تلك الساعة الرهيبة، التى فيها ينادى الرب أسماءنا أمام كل العوالم المجتمعة، ويعترف بنا، بأننا من خاصته، ولنسأله أيضا، أن يتحدث فينا، وأن يعترف فينا، الاعتراف الحسن، وأن يفعل بنا، وفينا، ما نعجز عجزا مطلقا، أن نتممه نحن من أنفسنا.

كلنا نفعل الخير، أكثر مما ندرك. فقد كان إيليا، يتوهم أنه لا يفعل شيئا، سوى عندما يناضل ضد الشر، وضد العبادة الوثنية، ولم يخطر بباله قط، مقدار المساعدات العظيمة، التى كان يقدمها بصفة مستمرة، غير مباشرة، بقدوته لأولئك السبعة الآلاف.

ونحن، قد نتمم بمجهودنا، أقل مما نقدمه بحياتنا الصامتة، وأخلاقنا الفاضلة، وبما يشع من حياتنا من نور، كل يوم. فعمال المنارات، لا يدركون قط، كم من أعين قلقة، مضطربة، تتطلع بلهفة فى الظلام، نحو النور المنبعث من منائرهم، فى صمت وسكون، فى الليلة الظلماء. إن واجبنا هو أن نضئ، دون أن نتساءل عن أى شئ، أو نهتم بالنتائج العظيمة، بل لنكتفِ بإتمام إرادة الله، بمثابرة، وتواضع، وهدوء.. واثقين أن الله ليس بظالم





اذهب راجعا (١مل ١٩)

إنها لحقيقة خطيرة: إن خطية واحدة، قد تكون سببا فى تعطيل خدمتنا، وإيقاف نفعنا، فى كل أيام هذه الحياة. على أنه ليس من الضرورى، أن تنطبق هذه الحقيقة على جميع الحالات. ففى بعض الأحيان - كما فى حالة بطرس - يتحنن الرب، بأن يرد عبده إلى خدمته، ويعيده إلى مركزه، بعد أن كان يظن، أنه لم يعد بعد لائقا لأشغاله إلى الأبد؛ ويقول له «ارع غنمى، ارع خرافى». على أنه بجانب هذه الحالة الواحدة، نستطيع أن نذكر ثلاث حالات، نرى فى كل منها، الملاك الحارس، الذى وقف ليمنع أبوينا الأولين، من الرجوع إلى الجنة، يبدو كأنه قد أعطيت له أوامر مشددة، ليمنع كل واحد، من العودة إلى مركزه السابق، وخدمته النبيلة.

أما الحالة الأولى: فهى حالة موسى؛ لم ينل أحد قط من الكرامة، ما ناله موسى، الذى كلم الرب، وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه» (خر٣٣:١١)، والذى كان أكثر البشر حلما، وكان خادما أمينا للرب، والذى عال الأمة اليهودية، ونجاها من الهلاك مرارا، بشفاعته لدى الله. ولكن؛ لأنه فرط بشفتيه، وضرب الصخرة مرتين بشك وحدّة، اضطر أن يتحمل ذلك الحكم المخيف «من أجل أنكما لم تؤمنا بى، حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها» (عد ٢٠:١٢). وقد صلى بحرارة لإلغاء هذا الحكم المروع، ولكن الرب، أسكته بذلك الجواب الحاسم، الذى لم يقبل نقضا، ولا إبراما «كفاك، لا تعد تكلمنى أيضا فى هذا الأمر» (تث ٣:٢٦).

أما الحالة الثانية: فهى حالة شاول؛ أول ملك على إسرائيل، الذى بدأ حكمه بتوفيق عظيم، ونجاح كبير، ولكن؛ سرعان ما وضع نفسه تحت طائلة الغضب، والحكم بالعزل من الملك؛ وما ذلك إلا بسبب غلطة واحدة. فإنه إذ انزعج جدا، بسبب إبطاء صموئيل، وبسبب تفرق الشعب، وتشتيته، تطفل، وتمم خدمة، كان قد أمر صراحة، بأنها لا تدخل ضمن نطاق وظيفته، إذ قدم

الذبيحة التى تعود الإسرائيليون أن يستعدوا بها للحرب «وكان لما انتهى من إصعاد المحرقة، إذا صموئيل مقبل... فقال صموئيل ماذا فعلت.. قد انحمقت لم تحفظ وصية الرب إلهك التى أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد. وأما الآن، فمملكتك لا تقوم، لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب» (١ صم ١٣: ١٠-١٤). وهكذا رُفض شاول من المُلك فى أوائل حكمه – وقبل معصيته الثانية فى حادثة العمالقة – من أجل هذه الخطية الواحدة، التى أعلنت ضعفه الأخلاقى.

أما الحالة الثالثة: فهى حالة إيليا؛ فإنه لم يعد مطلقا، إلى نفس المركز الذى كان يشغله قبل هربه المريع؛ صحيح إنه أُمِر بأن يرجع، وعُين له عمل لإتمامه، ولكن ذلك العمل، كان مسح ثلاثة رجال، يوزعون بينهم تلك الخدمة، التى كان ممكنا له أن يؤديها هو، لو أنه بقى مخلصا لعمله، وأمينا لإلهه. إن عمل الله، لابد أن يستمر، إن لم يكن بواسطتنا، فبغيرنا، إذ يقيمهم الله، ليحلوا محلنا بعد سقوطنا.

«اذهب راجعا فى طريقك إلى برية دمشق، وادخل وامسح حَزائيل ملكا على آرام، وامسح ياهو بن نِمشى، ملكا على إسرائيل، وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك» (ع ١٥ و١٦). وقعت هذه الكلمات موقع الصاعقة من نفسه، لأنها قضت على كل آماله وأحلامه. أعلنت له بوضوح أنه لم يعط له بعد، أن يخلص شعبه من عبودية البعل، ولكن أشخاصا آخرين، سيتممون عمله، وشخصا آخر سيكون نبيا عوضا عنه.

ولقد أكد لنا السيد، ما لهذه الأمثلة من أهمية خطيرة، بكلمات مرعبة، وسط رقة مَثَل الكرمة، وعذوبته، حيث قال: «كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه». من المستحيل أن يكون المقصود بهذه الكلمات، الحرمان التام من الخلاص، لأن نفس السيد، صرح قبل ذلك بقليل، قائلا: أن خرافه لن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يده (يو ١٠:٢٨).

فكيف يتفق إذن؛ أن الكرام الأعظم، ينزع الغصن الذى لا يأتى بثمر؟ إن الرد على ذلك بسيط جدا، متى عرفنا أن الناحية التى ينصب عليها التعليم فى هذا المقام، ليست هى خلاصنا التام، بل ثمار خدمتنا المسيحية. ليست المسألة منصبة على كوننا، سنخلص أم نهلك، بل، على كوننا نستخدم الفرص التى تعطى لنا. وبهذا؛ نعمل على استمرارها، أو نخسرها، بإهمالنا ، وتراخينا، وفتورنا. فنحن إذا رفضنا أن تظهر الكرمة قوتها بواسطتنا،

نزعنا من المركز الذى كان ممكنا أن نكون مثمرين فيه، والذى اؤتمنا عليه، وتضيع منا فرصة الخدمة.

هذه التأملات، وأمثالها، يجب أن تملأنا رغبة، فى أن نظهر أنفسنا، مزكين أمامه، عاملين، لايخزون.

وعلى كل الذين يشغلون مراكز ممتازة بيننا؛ كمعلمين، أو قادة، أن يتخذوا من هذه الأمثلة الخطيرة، القائمة وسط سهول الأجيال، إنذارا لهم؛ كما كانت امرأة لوط، قائمة وسط سهول سدوم. قد لا نجرب كلنا كإيليا بتجربة الشك واليأس، على أن هنالك فخاخا أخرى، قد هيأها لنا عدونا الألد، ونثرها لنا بأشكال محبوبة، خلابة، مغرية، كما ينثر الصياد، التراب والعشب، على فوهة الحفرة التى يحفرها بمكره، وخداعه، فى طريق فريسته، بين النهر وعرينها.

هنالك التملق، الذى يقدم للرجل الناجح، والذى به ينسب النجاح إلى المجهودات البشرية عند تقديم الشكر إليه، من أجل ما أسدى من معونة وتعزيات.

هنالك الرغبة، فى أن نكون فى المقدمة على الدوام، فى مقدمة كل مكان، وفى مقدمة كل مشروع، إلى حد أننا نهمل الصلاة إهمالا تاما.

هنالك تجربة الغيرة والحسد القاتلة، ومحاولة الحط من قدر الآخرين، وتفضيلنا أنفسنا عليهم.

هنالك علاوة على ذلك، أشكال منوعة للسقوط، أشد وأخطر، وأكثر وضوحا، ونحن كلنا معرضون للوقوع فيها، بل إنها قد سادت على الكثيرين منا مع الأسف الشديد. إن تجربة واحدة من هذه، قد تضطر الله أن ينزعنا من خدمته المجيدة، أو يقيمنا فى خدمة أقل شأنا، أو يستخدمنا لإعداد من يخلفنا.

إننا كأبناء، لا يمكن أن ينزعنا، ولكن كخدامه؛ قد يسمح بأن ينزعنا. فلنحذر كل الحذر، لأنه قد تكون خطوة واحدة خاطئة، أو قد يكون تعجلنا فى ترك مركزنا، ولو مرة واحدة، أو قد يكون عدم الطاعة مرة واحدة، أو قد يكون احتدادنا مرة واحدة – قد تكون واحدة من هذه، كافية بأن يقذف بنا أبونا السماوى، كما قذف شمشون لحى الحمار، التى قتل بها الجماهير الغفيرة. إننا لن نخسر السماء، فهذه ؛ قد ضمناها بدم المسيح الثمين، بل

قد ندخلها بمجد عظيم؛ ولكننا لن نعود إلى مراكزنا الممتازة الأولى التى كنا فيها نقود الكثيرين، ويأتى غيرنا لإتمام ما نقص من مهمتنا.

على أنه مع وجود هذا الخطر؛ فهناك ما يكفى من الضمانات، فاسمح لله بأن ينقيك بسلاحه الذهبى، الذى لكلمته المقدسة.. تطلع إلى مرآة الحق المعلن، لترى؛ إن كان هناك أثر للشر، متملكا على نفسك.. سلم نفسك باستمرار، لروح الله القدوس، لكى يعلن خفايا قلبك، وما فيه من شهوات باطلة.. احذر جدا من كل ما ينازع الله فى قلبك «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة».. التجئ باستمرار إلى ينبوع التطهير الدائم، إلى دم المسيح، الذى قد أهرق لمغفرة الخطايا.. ثقوا فى ذاك «القادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج» (يه ٢٤).

وإذ نتأمل فى تلك الكلمات، التى بها صرف الله عبده من حوريب، لنلاحظ ثلاث ملاحظات جوهرية:

(١) تنوع الوسائل التى يستخدمها الله :

حزائيل، ملك آرام، ياهو، القائد المتمرد، القاسى القلب، وأليشع، الفلاح الصغير؛ كل منهم يختلف كل الاختلاف عن غيره، ومع ذلك، فكل منهم كان مطلوبا لمأمورية خاصة، تتعلق بذلك الشعب، الغارق فى العبادة الوثنية.

فحزائيل؛ كان معينا ليكون قضيب الغضب الإلهى، للانتقام من إسرائيل انتقاما كاملا، إذ به ابتدأ الرب أن يسحقهم كالغبار. وحقا، لقد كانت معاملته لهم قاسية جدا (٢ مل ٨:١٢، ١٠:٣٢، ١٢، ٣:١٣ و١٧). و ياهو، كان لابد أن يكون آلة التعذيب، لبيت أخآب، واستئصاله نهائيا. وأما خدمة أليشع، فكان لابد أن تكون لطيفة، رقيقة، كمطر الصيف، وندى الليل، كخدمة الرب يسوع نفسه، الذى كان يرمز إليه، والذى كان حتى مجرد اسمه [١] يشير إليه.

مما تجب ملاحظته هنا، هو: كيف أن الله يتمم مقاصده، بواسطة أشخاص، لا يفكرون إلا فى إتمام طرقهم البشرية، الوحشية؟ ولا نتوهمن بأن خطيتهم تغفر، أو يتجاوز عنها، أو يقلل من شأنها، لأنهم يتممون مقاصد السماء؛ فإنها باقية كما هى، بشرها

---

[١] معنى كلمة أليشع «الله خلاصى » أو «خلاص الله».

وقبحها. ومع أن الأمر واضح، أنهم مسئولون عن شرهم؛ إلا أنه واضح أيضا، أنهم إنما يتممون ما سبق أن عينته مشورة الله، ورسمته من قبل.

وطالما أشير إلى هذه الحقيقة فى الكتاب المقدس؛ فيوسف، بعد موت أبيه، عزّى إخوته بقوله لهم؛ إنهم إن كانوا قد قصدوا به شرا، إلا أن الله قصد به خيرا، ليحيى شعبا كثيرا (تك ٥٠:٢٠). وداود؛ منع رجاله من قتل شِمْعى، لأنه؛ إن كان سب الملك أمرا شائنا جدا، إلا أنه لعل «الرب قال له سب داود» (٢ صم ١٦:١٠). وربنا المبارك، عندما اقترب وقت تسليمه لأيدى الأشرار، قال: إن الآب هو الذى سيضع الكأس فى يده أنظر أيضا (أع ٢:٢٣).

قد يفعل بنا البشر، شرورا كثيرة، وعن هذه الشرور، يدانون. ومع ذلك، فإنها إذ تأتى إلينا، بسماح من حكمة الله، ومحبته، فإنها تكون رسائل خاصة منه، إلينا؛ وهى قبل أن تصل إلينا، لابد أن تجوز أمام حضرته، ومتى اجتازت، صارت هى إرادة الله لنا. ولهذا، علينا أن نقبل بكل اتضاع، تأديب أبينا قائلين «لتكن لا إراداتى بل إرادتك».

(٢) لا يستطيع أحد أن ينجو نجاة كاملة من تصرفات الله الشخصية :

إن شباك الله، لا تنصب كلها بنفس المقياس. وقد يستطيع البشر، أن يفلتوا من بعضها، ولكنهم، لا يستطيعون النجاة منها كلها؛ فإن أفلتوا من خدمة الكرازة العلنية، التقى بهم عامل غيور، قادر على أن يعمل فيهم شخصيا. وإن نجحوا فى أن يعرضوا عن كل اتصال بالصوت الحى، أمكن الاتصال، عن طريق الكلمة المكتوبة؛ وإن تجنبوا كل ما يمت للدين بأية صلة، عرضوا لإيحاءات الروح القدس الداخلية. «الذى ينجو من سيف حزائيل ياهو، والذى ينجو من سيف ياهو، يقتله أليشع» (ع١٧).

لم نقرأ أبدا أن أليشع أشهر السيف، على أن خدمة المحبة، الرقيقة، الهادئة، تفعل بعض الأحيان فى قتل النفوس، أشد مما تفعله خدمة حزائيل، أو ياهو، القوية، الجبارة؛ ومن مثل هذا القتل، تخرج الحياة.

يجب أن لا نقارن الإنسان بالإنسان، ويجب أن لا نحتقر أية هيئة، أو لون، أو طائفة، أو جماعة من الخدام المسيحيين. فإن ما لا يفلح مع الواحد، قد يكون هو صوت الله، للآخر، ونحن لا نستطيع مطلقا، إدراك قيمة نفع البشر.

كذلك، يجب أن لا نحسد بعضنا بعضا، لأن لكل واحد موهبته الخاصة، التى تؤهله لخدمة السيد، وتمكنه من الاتصال بالأشخاص، الذين لا يمكن الاتصال بهم بدونه. «فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد. لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك، أو الرأس أيضا للرجلين لا حاجة لى إليكما» (١ كو ١٢: ٢٠ و٢١).

وعندما نتطلع حولنا، إلى كل دائرة الخدمة التى تملأ العالم، نتأكد أن كل واحد، له على الأقل، فرصة واحدة، وأن الله يرتب لكل فرد من البشر، فرصة واحدة على الأقل، ليقدم إليه الحجج التى تتناسب مع أخلاقه، وطباعه، إن هو فقط؛ سمع وأطاع.

(٣) لن يتغافل الله عن أى واحد من خاصته :

ظن إيليا أنه وحده محبا لله وعابدا إياه. وكان هذا خطأ فادحا. فقد كان لله أشخاص كثيرون غير ظاهرين. «أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله» (ع١٨). إننا لا نعرف شيئا عن أسمائهم، أو تاريخهم؛ ربما كانوا غير معروفين فى المحلة، أو فى البلاط الملكى. كانوا مجهولين، بسطاء القلوب، ومتواضعين، وكل الشهادة التى شهد لهم بها، أنهم ظلوا ثابتين على رفض إغراءات عبادة الأوثان، ونجاستها.

كانوا يئنون، ويبكون فى الخفاء، ويتحدثون كثيرا، بعضهم إلى بعض، والرب أصغى وسمع، لكنهم؛ كانوا كلهم معروفين لدى الله، ومحسوبين ضمن لآلئه، ومعدودين ضمن خاصته، كما يعرف الراعى خرافه.

لقد أحاطهم بعناية خاصة، غير محدودة؛ ومن أجلهم، أقام أليشع، الصالح، الطيب القلب، ليستمر فى رعاية نفوسهم.

كان موضوع تعجبى واندهاشى مرارا: كيف يظل هؤلاء السبعة الآلاف متوارين، فيصبحون مجهولين، حتى عن قائدهم العظيم. فعطر الورد، لا يمكن إلا أن يعلن عن ذاته، مهما أخفيته، والملح، إن لم يفسد، لا يمكن أن يخفى. وعمل الله فى القلوب البشرية، لابد أن يعلن عن ذاته، إن آجلا أو عاجلا. لهذا، فإنه يخشى أن تكون تقوى أولئك السبعة آلاف المتوارين، غامضة، وغير صريحة، يتخللها الضعف والخور، فلا تراها إلا عين القدير. ولكن، رغما عن كل ذلك، فقد رآها الله، وقدرها حق قدرها. ولم يطفئ تلك الفتيلة المدخنة، بل زادها

اشتعالا، ولم يحتقر حبة الخردل، بل لاحظ نموها، برعاية كاملة، ومحبة فائقة.

قد تكون ضعيفا جدا، غير ظاهر، وغير محسوب، في عداد أبطال الله، لا تستحق مركزا بين خدامه الرسميين؛ ومع ذلك، فمتى كانت لك مجرد شرارة من الإيمان والمحبة، وجاهدت لكى تحفظ نفسك، من دنس العالم، فلابد أن يعترف بك ، ذاك الذى يمد صولجانه لأضعف إنسان ،يلتمس وجهه.

ولكن، اذكر أنه إن كانت حياتك الداخلية خالصة نقية، فإنها لا يمكن أن تظل مختفية إلى الأبد، بل، لابد أن تهب كالنار التى طال اختفاؤها، ولابد أن تقتحم طريقها نحو النور، كحبة الحنطة المدفونة، التى تحمل جرثومة الحياة.

لعل الله – بهذه الكلمات والتأملات – يتحدث إلى بعض المرتدين قائلا: اذهب راجعا، ارجع إلىّ يا من ضللت عنى، ارجع إلى عملى الذى هجرته، ارجع إلى الإيمان الذى فقدته، ارجع إلى سعادة الأيام الأولى، وقداستها، وبساطتها. «ارجعوا أيها البنون العصاة، فأشفى عصيانكم» (إر ٣:٢٢).

ليت الإجابة تكون: «ها قد أتينا إليك، لأنك أنت الرب إلهنا». (إر ٣:٢٢).





كرم نابوت (١ مل ٢١)

في إحدى غرف القصر، اضطجع أخآب، ملك إسرائيل على سريره، وحول وجهه نحو الحائط، ورفض أن يأكل خبزا. ما الذى حدث؟ هل حلت مصيبة بجيوشه الملكية؟ هل ذبح أنبياء البعل من جديد؟ هل ماتت زوجته الملكة؟ كلا: فالجنود، لا زالوا مغتبطين، بانتصارهم الأخير على آرام، وعبادة البعل، قد استردت مكانتها بعد حادثة جبل الكرمل، المروعة، وإيزابل العنيدة، الماكرة، قاسية القلب، واقفة بجمالها بجانبه، مهتمة لمعرفة سبب هذا الحزن، الذى ربما يكون قد تظاهر به، ليستدر عطفها، وليتمكن بواسطتها، من الوصول إلى غايته، التى لم يتجاسر هو على طلبها لنفسه.

وللحال، قص أخآب روايته، كانت يزرعيل، مقر كرسى الملك، وكان لأخآب فيها، قصر بديع، تحلو له فيه الإقامة. وفى إحدى المرات، بينما كان أخآب، يمتع ناظريه بما يحيط بقصره، من جنات وفراديس، مترامية الأطراف، إذا به يبصر كرما متاخما، ملكا لنابوت اليزرعيلى، فخيل إليه، أنه إذا أضيف إلى ممتلكاته، زادها حسنا وجمالا، حتى أنه صمم على الحصول عليه، مهما كانت النتائج. لذلك، أرسل إلى نابوت، وعرض عليه، إما أن يستبدله بكرم آخر، أفضل منه، أو ينقده ثمنه، ولكنه ذهل، واحتدم غضبه، لأن نابوت رفض كلا العرضين. وقال نابوت لأخآب «حاشا لى من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائى» (ع ٣).

قد يبدو هذا الرفض لأول وهلة، خارجا عن حدود الأدب، واللياقة، ولكن؛ قليلا من التأمل، يبين ما يبرر رفض نابوت، ويزيد جريمة الملك والملكة، شناعة. كانت كنعان، معتبرة حسب ناموس موسى، أرض الله، بصفة خاصة، وكان الإسرائيليون معتبرين فلاحيها، وكان ضمن شروط حق امتيازهم على الأرض، أن لا يغير أحد نصيبه منها، ولا يتصرف فيه، إلا فى حالة الفاقة الشديدة، وفى هذه الحالة، كانت ترد إليه أرضه فى سنة اليوبيل. لهذا، كان انتقال ملكية الأرض، مقترنا دائما بهذا الشرط: أن تقتدى فى أى وقت، قبل سنة اليوبيل، بدفع الثمن

الذى يتفق عليه.

لو أن هذين الشرطين قد ضمنا، لهان الأمر على نابوت قليلا، باعتبار أن انتقال ملكية آبائه، إنما هو لأجل محدود. ولكن، يظهرأنه كان قد حرم من كلا الشرطين، وأنه أدرك، بأنه لو انتقلت من يده ملكية هذا الميراث، لضم إلى ممتلكات الملك، دون أمل فى إرجاعه. لهذا، لم يتردد لحظة فى رفض هذا العرض، بانيا رفضه على أساس دينى، وحق له أن يقول: «حاشا لى من قبل الرب». إذن؛ فقد كان رفضه عملا دينيا، من بعض الوجوه.

على أنه بلا شك، كان فى الأمر عامل آخر؛ فإن ذكره «لميراث آبائه» يضع أمامنا سببا آخر للرفض، وهو سبب طبيعى معقول؛ فإنه، تحت تلك الكروم والأشجار، جلس آباؤه منذ أجيال عدة، وهنالك، قضى زهرة أيامه فى صباه. إذن؛ فقد كان ذلك المكان، محفوفا بذكريات مقدسة، عديدة، وكان واثقا من أن عصير كل الكروم التى حوله، لن يعوضه عن عصارة تلك الذكريات المباركة.

كان رفض نابوت سببا، أن يستقل أخآب مركبته، ويعود إلى السامرة. وكطفل ملأ قلبه الغيظ، أدار وجهه إلى الحائط «مكتئبا مغموما». فى نهاية الإصحاح السالف، نقرأ عنه أنه كان «مكتئبا مغموما» من الله، والآن، نراه بنفس تلك العاطفة المرة «مكتئبا مغموما» من الإنسان.

وفى بضعة أيام، تمت تلك المؤامرة الدنيئة، وقتل نابوت، وأولاده، وكل وارثيه، وترك ذلك الميراث، بلا وريث، لكى يقع فى نصيب الملك، بطبيعة الحال. وهنا، نستطيع أن نجد عدة دروس، لو أننا كنا ندرس كل الرواية، ولكن؛ لنتجاوز الآن، عن كل هذه الدروس، ولنوجه أنظارنا بنوع خاص، إلى ذلك الدور الذى لعبه إيليا، وسط هذه المناظر المفجعة.

(١) لقد دعي للعودة إلي الخدمة:

لا ندرى على وجه التحقيق، كم من السنوات مرت، منذ جاءت كلمة الرب إلى إيليا، للمرة الأخيرة؛ قد تكون خمس سنوات، أو ست سنوات. ولابد أنه كان فى تلك المدة، على أحر من الجمر، متشوقا أن يسمع نبرات ذلك الصوت الحلو، مرة أخري. وإذ كانت تلك الأيام تمر متباطئة، وتطول مدة رجائه المماطل، فيزداد أسفا وندما، لابد أنه كان يقضيها غائصا فى تأملات مستمرة، وفى تساؤل، ومناجاة نفسه، وفى فحص قلبه، فيقوده ذلك، إلى أسف

عميق من جهة الماضى، وتكريس جديد، مع عزيمة جديدة، نحو أية خدمة توكل إليه من جديد. ومن ثم؛ ابتدأ يتزايد قوة، أو بعبارة أخرى «ابتدأ شعر رأسه ينبت» كما قيل عن شمشون، الذى اشتهر لقوته البدنية، كما اشتهر إيليا بقوته الروحية.

لعل هذه الكلمات، تقع تحت أبصار بعض ممن كانوا يوما ما، بارزين جدا فى الخدمة المسيحية، ولكنهم انزووا أخيرا، ونقلوا من الميدان الذى كانوا يجاهدون فيه، ورأوا جماهير الشعب قد انفضوا من حولهم، وأن فرص الخدمة، قد أفلتت من أيديهم، ثم رأوا من هم أحدث منهم، قد تقدموا ليملأوا المراكز التى سقطوا منها.

ربما يعزى هذا إلى سلطان الله المطلق، الذى له كامل الحق فى التصرف بأولاده، كيفما شاء، والذى يرفع الواحد، ويضع الآخر. ولكن؛ قبل أن نعلل أنفسنا بهذا التعليل؛ حرىّ بنا أن نفتش باهتمام، لئلا يكون السبب راجعا لأنفسنا. فقد يكون هنالك ضعف أو خطية، تتطلب الاعتراف بها، بين يدى كاهننا الأعظم، الأمين الرحيم، لكى ننال المغفرة، قبل أن تأتى إلينا كلمة الرب، مرة أخرى.

ومن الجائز أيضا، أن يكون إقصاؤنا عن الخدمة، هو لزيادة تعمقنا فى معرفة طرق الله؛ فإن ساعات، بل سنوات الفراغ، مملوءة فرصا ذهبية لخدام الله، وفى مثل هذه الحالة، لا تبكتنا ضمائرنا، ولا تقدم لنا الدليل الكافى، على أن العلة راجعة إلى ذواتنا. فواجبنا إذن، بكل بساطة، هو أن نستمر طاهرين، وممتلئين، ومستعدين، وأن نرتضى بأن نبقى بلا عمل، متأهبين لخدمته، عالمين أننا لا نخدم إلا إذا تأهبنا وانتظرنا، وواثقين أنه يرتضى باستعدادنا للخدمة، ويكافئنا عليه، كما لو كنا قد قمنا بالخدمة فعلا «قد أحسنت بكونه فى قلبك» (١ مل ٨:١٩).

(٢) ولم يعص إيليا أمر الرب:

سبق أن رأيناه يهرب، عندما كان وجوده ضروريا جدا. أما الآن، فلا نرى أثرا للتردد أو الجبن، إذ عاد إليه إيمانه القوى الأول، واستعادت روحه مكانتها السابقة فى حضرة الرب، ورجعت طبيعته إلى مركزها، نحو إرادة الله. لهذا، قام، ونزل إلى كرم نابوت، ودخله، وتمشى فى طرقاته، أو انتظر على بابه، حتى يلتقى بالمجرم الملكى، ولم يبال بأنه قد ركب وراء مركبة أخآب، قائدان جباران، هما؛ ياهو ويدقر (٢ مل ٩:٢٥).

ولم يفكر لحظة، فى أن تلك المرأة، التى هددت حياته من قبل، قد تبطش به اليوم، إذ كانت قد وصلت إلى حالة الجنون فى سفك الدماء. وهكذا، لا نرى أثرا للخوف على الإطلاق، فى نفس إيليا. ومن ذا الذى لا يغتبط، إذ يرى إيليا، قد أعطيت له الفرصة، ليمسح ذلك العار الذى لصق به منذ اللحظة التى ضعف فيها إيمانه، وهجر مركزه، وترك خدمته. يقينا؛ إن وقت انتظاره لم يضع عليه عبثا.

(٣) وفى عمله كان نائبا من الضمير:

قتل نابوت، ولعل أخآب كان يهدئ ضميره - كما يفعل كل شخص ضعيف إلى الآن - بأنه لم يكن هو القاتل. وكيف يمكن أن يكون هو القاتل، وهو لم يتحرك مطلقا؟ إنه لم يفعل شيئا، أكثر من أنه ثبت وجهه نحو الحائط. لقد تذكر أن إيزابل، طلبت منه الختم الملكى، لكى تختم به بعض رسائل كتبتها باسمه، ولكن؛ كيف يمكن أن يعرف ما كتبته. وبالطبع، أنها إن كانت قد أعطت التعليمات لقتل نابوت، فذلك ما يؤسف له، ولكنه لا يستطيع أن يغير الأمر الواقع، ولم يبق بعد، سوى امتلاك الميراث.

بهذه المسكنات وأمثالها، استطاع أن يهدئ ثورة ما بقى فيه من ضمير، ولكنه على الفور، فوجئ بذلك الصوت، الذى لم يسمعه منذ سنوات «هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضا» (ع ١٩). وهل كان هو الذى قتل؟ كلا! إنما إيزابل هى التى قتلت. آه؛ هذه كلها مماحكات كاذبة، وادعاءات باطلة، وعبثا تفلح فى رفع مسئولية القتل عن كاهله.

«هل قتلت؟» هكذا نطق النبى، بإرشاد روح الله، واضعا المسئولية على الشخص الحقيقى المسئول.

عندما لا يجرؤ المرء على ارتكاب إحدى الكبائر بنفسه، كثيرا ما يحاول أن يتخذ لنفسه شريكا، ولسان حاله يقول «هذا الأمر يجب إتمامه، فحبذا لو وجدت سبيلا لإتمامه. هو ذا كل معداتى تحت أمرك، وكل ما أرجوه، أن لا تسبب لى أى تعب آخر من جهته فيما بعد. ويحسن طبعا، أن لا ترتكب أى خطأ».

ذلك الإنسان، يعتبر فى نظر الله، مسئولا عن أى شر يرتكب، بمعرفة أى شخص يستخدمه لإتمام غرضه، والمسئولية واقعة على أكتاف المحرك الأصلى، وستكون دينونة الواسطة، أخف ثقلا فى يوم الدينونة، من دينونة العنصر الأصلى.

والأكثر من ذلك – ولكن بالقياس إلى نفس المبدأ – إذا أساء صاحب العمل، معاملة عماله، وظلمهم، إذ دفع لهم أجورا بخسة، فاضطرهم إلى الخيانة، أو استعمال طرق غير شريفة، لسد النقص الحاصل من أجورهم المبخوسة، فإن ذلك المرء مسئول – فى نظر السماء – عن ذلك الشر الذى كان ممكنا له تلافيه، لو لم يصر على إجرامه، وعدم اكتراثه بظلم عماله.

وكثيرا ما كان من واجب خادم الله، أن يوبخ بجرأة، أولئك الخطاة الذين يتوهمون أن مراكزهم الرفيعة، تجيز لهم ارتكاب الشرور، وتؤمنهم من أى توبيخ. وليذكر أمثال أولئك، بأن أعمال الخطايا المتعمدة، قد تقترن فى أول الأمر بالتوفيق، والنجاح ظاهريا. فإن نابوت، يموت بسكون تام، والأرض، تمتص دماءه، والكرم، ينتقل إلى أيدى ذلك المجرم العاتى. ولكن؛ هنالك من ينظر، ولابد من أن ينتقم لعبيده «ألم أر أمسا دم نابوت ودماء بنيه، يقول الرب، فأجازيك فى هذه الحقلة» (٢ مل ٩:٢٦).

قد يتأخر ذلك الانتقام، لأن طواحين الله تطحن ببطء، ولكنه لابد آت، طالما كان الله هو الله. وفى نفس الوقت، إن فى كرم نابوت يقف إيليا النبى، وفى قلب المجرم، يقف الضمير بتوبيخاته، ووخزاته، المدببة القاسية.

هذا الدرس، كثيرا ما أكده مرارا وتكرارا، معلمنا الأعظم، الذى يعلم من يهملون قراءة كتابهم المقدس. إن الخطية، ليست ربحا فى النهاية، وأنها، مهما بدت موفقة فى بداية الأمر، فلا بد فى النهاية من أن تواجه إيليا، الذى يقوم بعمل الضمير، وهو لن يخطئ فى كشف المجرم، ولابد من أن تواجه الله، الذى يقوم بعمل المنتقم، وهو لن يخطئ فى إصابة الهدف.

(٤) وكان مكروها من أجل الحق:

«فقال أخآب لإيليا هل وجدتنى يا عدوى» (ع٢٠). كان إيليا أصدق صديق له، وكانت إيزابل ألد الأعداء، ولو لم يدرك هو هذا، ولكن الخطية، تقلب أوضاع كل شئ؛ فإنها مثل غبش الظلام، الذى لا يستطيع المرء أن يميز فيه أوضح الأشياء، حتى لقد يخطئ فى إدراك الأصدقاء، فيحسبهم أعداء، أو يحسب الأعداء أصدقاء.

وكم من مرة، كرر البشر الغلطة التى ارتكبها التلاميذ، إذ أخطأوا فى إدراك المسيح،

وحسبوه خيالا (أو روحا شريرا) وصرخوا منزعجين. (مت ١٤: ٢٦).

عندما يقف المسيحيون فى وجه أصدقائهم، ويوبخونهم على خطاياهم، وينذرونهم بهلاكهم، فإنهم يحتقرونهم، ويبغضونهم، ويحسبونهم ألد الأعداء لهم. والكتاب المقدس، أصبح مكروها من الكثيرين، لأنه يفضح الخطية، بمنتهى الصراحة، ويعلن نتائجها، بكل وضوح، والله نفسه، صار يُنظر إليه من الكثيرين، نظرة البغض والكراهية.

وهل ينتظر سوى هذا من العالم الذى وضع كله فى الشرير؟ فالمصريون؛ أبغضوا عمود السحاب المبارك. والفلسطينيون؛ ردوا تابوت العهد. والجروح؛ تشمئز من الملح المطهر. والعظام المجبورة؛ تذعر من لمسة الطبيب الخفيفة. واللصوص؛ يبغضون مصباح البوليس.

إذن، فلا نتعجب إن كان الناس يبغضوننا، بل لنشكر الله، ولنفرح، ونتهلل إن كانوا يبغضوننا، لا من أجل ذواتنا، بل من أجل الحق الذى نتكلم به. إذا نظر إلينا الأشرار بهذه النظرة، كان ذلك علامة على أن حياتنا، تخالف حياتهم المعوجة، تمام المخالفة. قال أحد الفلاسفة: «أى شر صنعت حتى يتحدث عنى كل هؤلاء الأشرار حسنا». وقال المسيح: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (مت ٥: ١١ و١٢).

إذن، فلا تهرب من سلاح الجراح، أو ضوء الفنار، أو النور الأحمر المنذر بالخطر، - كأن هذه كلها أعداء لك؛ فإن الخطأ ليس فيها، بل فيك أنت «ارجعوا ارجعوا فلماذا تموتون» (حز ٣٣: ١١).

(٥) وكان نبيا صادقا أمينا:

لقد تمت كل التهديدات التى نطق بها إيليا. صحيح، أن أخآب أجل إتمامها بتوبة جزئية، دامت ثلاث سنوات، ولكنه فى نهاية تلك المدة، عاد إلى طرقه الشريرة، فتمت كل التهديدات بحذافيرها؛ إذ أنه جرح بقوس غير متعمد فى راموت جلعاد «وجرى دم الجرح إلى حضن المركبة» ولما غسلت المركبة فى بركة سلوام لحست الكلاب دمه (ع ٣٤ و٣٥ و٣٨).

وبعد عشرين عاما، عندما أرسل ياهو ليفتقد جثة إيزابل، لدفنها، «لم يجدوا منها إلا الجمجمة والرجلين وكفى اليدين» أما الباقى، فقد التهمته الكلاب المفترسة، إذ كانت الجثة منطرحة فى نفس المكان الذى قتل فيه نابوت (٢ مل ٩: ٣٥).

أما جثة يهورام، ابنهما؛ فقد تركت فى نفس المكان، دون أن تدفن، كأمر ياهو، الذى لم ينس قط تلك الكلمات الرهيبة.

وهنالك أيضا - فى الأيام التالية - هزمت جيوش إسرائيل، شر هزيمة، مرارا، وتشبعت الأرض بدمائهم. يقينا أن الله صادق، ليس فقط فى مواعيده، بل أيضا فى وعيده.

لقد تمت حرفيا، كل كلمة نطق بها إيليا، لأن الله صادق على كل كلمات عبده، وقد أيدت الأيام المتعاقبة صدقه، مرارا.

ونحن إذ نختم تأملاتنا فى هذه الصفحة الأليمة فى تاريخ حياته، نغتبط؛ إذ نعلم أنه أعيد إلى الخدمة مرة أخرى، وأن العناية الإلهية، قد طبعته مرة أخرى بطابع الجدارة، والاستحقاق.





عودة إلى الشجاعة القديمة (٢ مل ١)

لكي نستطيع أن ندرك كل ما تنطوى عليه هذه الحادثة الخطيرة – موضوع تأملنا فى هذا الفصل – من أسرار ومعان؛ يجب أن ننسى أننا نعيش فى العهد الجديد، الذى أهم ما يميزه، الرحمة الرقيقة، ونتخيل أنفسنا أننا نعيش فى العصر الذى انتهى بالجلجثة. من أهم الأمور، أن نكوّن فكرة صحيحة عن كل عصر من العصور، فلا نحكم على العصور السحيقة، بما نتمتع به فى عصرنا من المثل العليا، فى التسامح والمحبة، التى تعلمناها من حياة وموت يسوع المسيح، الذى كان آخر وأسمى إعلان عن الله. كما أننا يجب أن لا ننقل إلى عصرنا، طرق التفكير، أو العمل، التى كانت يوما ما، جائزة، أو ضرورية، لأنها كانت تناسب روح تلك العصور.

هذا الدرس، لقنه المسيح لتلاميذه بعناية خاصة، فإنه بعد التجلى مباشرة، كان فى طريقه إلى الصليب، ولسبب ما، لم يسلك الطريق العادى، على الشاطئ الشرقى لنهر الأردن، بل اتخذ الطريق الأقرب، مجتازا السامرة، وفى طريقه هذا، لعله وصل هو وتلاميذه إلى تلك البقعة، التى سنتحدث عنها حالا، والتى قد تأثرت بالنيران المحرقة، التى التهمت جنود أخزيا.

تطلع المسيح وتلاميذه إلى أسفل، فوجدوا قرية قابعة فى منحدر الجبل، فأرسلوا إليها رسالة، لكى تضيفهم فى تلك الليلة، التى أوشكت أن تباغتهم فى الطريق، ولكن، عاطفة التعصب الدينى، تغلبت على العواطف الطبيعية، ورفض الطلب رفضا باتا.

آه؛ لو أن أهل تلك القرية عرفوا أن ذلك الذى رفضوه، سيضع فداء للعالم، بعد زمن وجيز، ويؤسس ديانة، ليس فيها يهودى، أو سامرى، بل يصبح فيها الجميع إخوة، إذن، لرحبوا به ترحيبا حارا، بل؛ أرغموه على قبول دعوتهم، وغمروه بكرمهم، حتى ولو علموا بأن تلك الحادثة العظمى، سوف تتم فى تخوم تلك المدينة العظمى، أورشليم البغيضة، بسبب منافستها لمدينتهم.

«فلما رأى ذلك تلميداه، يعقوب ويوحنا، قالا: يا رب، أتريد أن نقول، أن تنزل نار من السماء، فتفنيهم، كما فعل إيليا أيضا. فالتفت، وانتهرهما، وقال: ألستما تعلمان من أى روح أنتما» (لو ٩: ٥٤ و٥٥). وكأن السيد قد قال لهما: اذكرا بأنكما، وقد تبعتمانى، انتقلتما إلى عصر جديد، وأن الأمور فى ملكوت السموات، ستسير على مبادئ جديدة، تختلف كل الاختلاف، عن تلك المبادئ التى عهدتماها. إننى سوف لا أنقض الناموس، ولا الأنبياء، ولكننى؛ سأدخل عليهما قانونا يكملهما، بنظام إلهى جديد. لقد بدأ عهد الرحمة منذ الآن.

ولنتأمل الآن فى أوجه الفرق بين العهدين؛ هذا العهد الحاضر، يتفق مع روح الابن الجالس فى حضن الآب، وأما ذلك العهد، فكان يتفق مع روح العبد، يلتهب غيرة من نحو مجد الله.

هذا؛ يضئ متلألئا، بنار الروح القدس، الهادئة اللطيفة.. وذاك؛ بنار الهلاك، الملتهمة.

المحور الذى يدور عليه هذا؛ هو الخلاص.. والذى يدور حوله ذاك؛ هو الأخذ بالثأر.

العهد القديم، مشحون بالتعاليم الكثيرة، عن قداسةالله، وبره. والله أبونا؛ كان رحيما، وطويل الأناة، فى العهد القديم، كما هو الآن. كان يسمح بأن تشرق على العالم، أشعة من محبته، وكانت هذه الأشعة، تزداد وضوحا، كلما اقتربت أيام تجسد محبته.

ولكن البشر، لم يكن فى مقدورهم، أن تعطى لهم كل الأفكار، مرة واحدة؛ وكان لزاما أن يعطى لهم «أمر على أمر وفرض على فرض»؛ ولهذا، كان على كل عصر من العصور الأولى، أن يذيع حقيقة معينة، وكانت هذه الحقيقة، تزداد وضوحا وتأكيدا، بواسطة أدلة خاصة، وحوادث معينة، فعصر الناموس الموسوى، الذى نشر رايته، حتى على زمن إيليا النبى، كان يتميز بإبراز صفات الله، الرهيبة والفائقة العظمة: قداسة الله، عدله، بره، صرامته على الخطية. هذه كانت ظاهرة بشكل بارز، كما يرى المرء، من عاصمة سويسرا القديمة، سلسلة جبال الألب البيرينية، الشامخة، متسامية عن السهل المنبسط، بمنتهى العظمة والجلال، تسطع عليها أشعة الصباح والمساء.

لم يكن ممكنا للبشر، أن يقدروا محبة الله التى فى المسيح، يسوع ربنا، إلا بعد أن يتعلموا تلك الدروس، كاملة.

إن جماعة النقاد، الذين قد تلقنوا - بطريقة غير محسوسة - كل أفكارهم، عن المحبة

اللانهائية، من الإنجيل الذى يحتقرونه، يخطئون العهد القديم، من أجل قسوة تعاليمه، وصرامة شرائعه، ويقدمون كدليل على ذلك، كثيرا من التعاليم، التى لا تتفق مع روح عصرنا، الرقيقة.

ولكن، لا تتعجب أيها القارئ العزيز، من تلك الصرامة، فإنه لم يكن ممكنا، أن تحصل طريقة أخرى، بها تعلن طبيعة الله، وصفاته، تدريجيا. فالقديسون الذين عاشوا فى تلك الأيام، لم يسمعوا قط ذلك الصوت الرقيق، الذى تكلم به ابن الإنسان، فى موعظة الجبل، وكانت أفكارهم عن بر الله، وقداسته، وغضبه السريع على الخطية، محدودة جدا.

هذا هو الذى أوحى بالكثير، من مزامير قديسى العهد القديم. هذا هو الذى دفعهم، لكى يأتوا أعمالا، تنفر منها طبيعتنا، الأكثر رقة؛ ولولا ذلك، لما قتل لاوى إخوته، ولما قتل يشوع الكنعانيين، ولما قطع صموئيل أجاج أمام الرب، ولما أصر إيليا على قتل أنبياء البعل، ولما طلب أن تنزل نار من السماء، لتنفى رؤساء تلك الفرق، وجنودهم.

ونحن إذ نقرأ عن هذه الأعمال، نغوص فى لجة من الأسئلة الهادئة. فى تصرفاتنا مع مقاومى الحق، وأعداء الله، لا حاجة بنا للتطرف، الذى ارتكبه كرمويل وجنوده، والتحدث بنفس الأحاديث الحادة، أو التصرف بنفس التصرفات الشاذة، التى كانت ترتكب فى تلك الأيام الغابرة. ولكن - على فرض أننا نتنازل كلية عن المظاهر الخارجية، التى تعلن الاستياء من الشر - يجدر بنا أن نتساءل، عما إذا كانت لنا نفس الكراهية، نحو الخطية، ونفس الغيرة، نحو مجد الله، ونفس الغيرة المتقدة، نحو البر، كما كان الحال فى تلك الأيام، أيام القوة والجبروت، والبطش، والحزم، والعدل، الذى لا يلين.

لعل هذه التأملات، تعيننا على تفهم الآيات التى تنتظرنا، وتكفى لتبرئة إيليا، من تهمة الحقد، وحب الانتقام، لكى نستطيع أن نتأمل، دون محاولة توبيخه، أو انتقاده. كيف عاد إلى صدره، قليل من طبيعته القديمة، طبيعة الشجاعة المقدامة، والبطولة التى لا تحتمل الضيم.

أما الرواية؛ فتتلخص فيما يلى: بعد موت أخآب، خلفه ابنه أخزيا، فى العرش، كما خلفه فى الشر. وفى جبن واستكانة، خشى من مشتقات المحلة، ومن أخطار الحقل، فترك موآب، يتمرد عليه دون أن يحاول إعادة إخضاعه، واستباح أن يحيا، حياة المجون والفساد، فى قصره.

على أن الموت، يستطيع أن يمد إلينا منجله، ونحن آمنين فى وكرنا، كما لو كانت المخاطر، تحدق بنا من كل ناحية. كان أخزيا، مستندا إلى درابزين فى قصره، وفجأة، سقط الدرابزين، فلم يستطع أن يحفظ توازنه، وهوى إلى الأرض، فى لمح البصر.

كثيرة هى الدرابزينات، التى نستند إليها وقت الخطر، ولكنها تخوننا، فتسبب لنا الأضرار الجسيمة.

وعندما أفاق الملك، من صدمة السقوط، تملكته رغبة أن يعرف مدى خطورة مرضه؛ وفى تهوس غريب، أرسل رسلا إلى أحد هياكل كنعان القديمة؛ كان مخصصا لبعل زبوب، إله الذباب، وعظيم الطب، الذى كان له قرابة مع البعل، إله آبائه.

كان هذا التصرف، رفضا صريحا للرب، وجرأة وقحة، على اختيار تلك الطرق، التى جلبت الغضب على بيت أبيه. ولم يكن ممكنا، التغافل عن هذا الشر المستطير؛ لهذا، أرسل إيليا، ليلتقى برسله وهم مسرعون فى سهل أسدرايلون، وفى فمه رسالة، يعلن فيها موت أخزيا «هكذا قال الرب إن السرير الذى صعدت عليه، لا تنزل عنه، بل موتا تموت» (ع ٤).

لم يعرف الرسل ذلك الشخص الغريب، فلعلهم كانوا من الصوريين، الذين لم يختلطوا بشعب البلاد، ومن أجل ذلك، كانوا يجهلون نبى الله العظيم، ولعله أيضا، قد مضت بضع سنوات، منذ ظهور إيليا الأخير، بشكل علنى.

وعلى أى حال؛ فإن أولئك الرسل، وقفوا منذهلين أمام تلك الشخصية الجبارة، التى كانت تتكلم كمن لها سلطان. وإذ ارتعبوا من كلام إيليا، عزموا على العودة إلى الملك فى الحال، ووجدوه مضطجعا على السرير الذى حمل إليه، ثم ذكروا له سبب رجوعهم بسرعة. ولابد أن أخزيا، عرف شخصية ذلك الرجل، الذى تجاسر أن يعترضهم فى طريقهم، ويرسل إليه رسالة كهذه. ولكنه، لزيادة التأكيد، طلب منهم أن يذكروا له أوصاف تلك الشخصية، الغريبة، فأجابوه قائلين «إنه رجل أشعر»، فقد تدلت خصل الشعر على كتفيه، وغطت لحيته صدره، واحتكت بالجلود التى كان يرتديها كلباسه الوحيد، فأدركه الملك فى الحال، وقال كفى «هو إيليا التشبى».

وللحال، تنازعه عاملان: الأول؛ الرغبة – وهو فى ثورة غضبه – فى القبض على إيليا، لكى يصب عليه جامات غضبه. والثانى؛ الأمل فى تغير هذا الحكم القاسى، لو أنه أتيح له،

استمالة هاتين الشفتين اللتين نطقتا بموته.

لهذا، عزم على القبض عليه؛ ومن أجل هذه الغاية، أرسل أحد قواد جيشه، مع خمسين جنديا، وعندما أفناهم إيليا أرسل غيرهم.

لقد تعدى هؤلاء الرجال واجبهم، لأنهم، عوضا عن أن يكونوا مجرد آلات، تنفذ إرادة الملك، تكلموا بوقاحة مع إيليا «يا رجل الله. الملك يقول انزل» فهم؛ إما أنهم لم يعترفوا به نبيا، أو أنهم افتخروا بأن يقدموا سلطان سيدهم، على سلطان الله. وعلى أى حال، فإن الإهانة التى لحقت إيليا، كانت أخف مما لحقت إله إيليا.

لا يوجد هنالك فى ذلك الجواب الرهيب، الذى نطق به إيليا، أثر لحب الانتقام لشخصه. وإننى؛ لا يخطر ببالى مطلقا، أنه اعتبر بأن الإهانة لحقته شخصيا، بل على العكس، اعتقد أنه اتقد غيرة نحو مجد الله، الذى ديس تحت الأقدام بجرأة، والذى يجب أن يرفعه أمام أعين إسرائيل «ان كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك». وفى لحظة، اندلعت النيران، والتهمت هذه الجماعة الوقحة، المجدفة.

أما خلو إيليا من روح الحقد والضغينة، فظاهر من ارتضائه الذهاب مع الرئيس الثالث، الذى تحدث معه باتضاع واحتشام «فقال ملاك الرب لإيليا إنزل معه، لا تخف منه، فقام ونزل معه إلى الملك».

(١) وهنا تجول فى خاطرنا فكرة عن لطف المسيح ووداعته :

فكم هو عجيب، أن نتأمل فى أن ذاك الذى كان فى استطاعته، بكلمة واحدة، أن ينزل نارا من السماء، لتبيد أولئك الجند الذين أتوا إليه فى جثسيمانى، لإلقاء القبض عليه، لم ينطق بتلك الكلمة. صحيح أنه ألقاهم على الأرض، لحظة، ليبين لهم؛ كيف أن له كل السلطان عليهم، ولكنه تحاشى أن يمس شعرة واحدة من رؤوسهم. وكم كان منظرا مدهشا، إذ وقفت جنود الملائكة منتصبة فى كبد السماء، تنتظر كلمة واحدة منه لإنقاذه، ولكنها بقيت منذهلة، إذ لم تتلق حتى إشارة واحدة. وتفسير ذلك يوجد فى تلك الحقيقة: وهى أنه كان يعمل بناموس أسمى – ناموس إرادة أبيه، ناموس المحبة المضحية، ناموس العهد المختوم، قبل تأسيس العالم.

أما النار الوحيدة التى طلبها، فكانت نار الروح القدس «جئت لألقى نارا على الأرض،

فـمـاذا أريد لو اضطرمت» (لو ١٢: ٤٩). وقد جـاهد لا لكى ينتـقم لنفسـه، أو يعلن عظمـة طبيعته، ولكنه «احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه» (عب ١٢: ٣)، «ظلم، أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صـامتة أمـام جازيها، فلم يفتح فـاه» (إش ٥٣: ٧). «وإذ شتم، لم يكن يشتم عوضـا، وإذ تـألم، لم يكن يهدد، بل كـان يسلم لمن يقضـى بعدل» (١ بط ٢: ٢٣).

فيا لها من وداعة منقطعة النظير، ويا لها من مقدرة عجيبة، للاحتمـال وضبط النفس، ويا له من مثال مجيد، لروح تعليمه. ليهبنا الرب نعمة، نحن الذين لا نستحق أن ندعى أتباعه، لكى نقـتـفى آثاره، ونسلك فـى خطواته، ونقـتـدى بروحـه، فـلا نطلب أن تحل نـار الانتقـام، بل نطلب الخلاص، لمن يريد الإساءة إلينا، ولا نطلب نار السمـاء، بل نجمع جمر نـار، على رؤوس أعدائنا، لكى تذيبهم، فتملأهـم لطفا، ووداعة، ومحبة.

(٢) وهنا أيضا نتعلم أن الله لن يتجاوز عن خطية التجديف :

لقـد وصلنا إلى أيام رخوة منحطة، إذ كـون الناس آراء خـاطئـة عن المحبـة والحـرية، فـانـحرفت أفكارهم عن شـر الخطيـة، وعن غضب الله المعلن من السـمـاء، على جـمـيع فـجـور الناس، وإثمهم.

حـقـا، إن الرب »يشـفـق جدا على الخطاة، لدرجـة لا حـد لهـا، «وهـو لا يشـاء أن يـهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣: ٩). وكمـا أنه لا يوجد عصـفور واحد متألم فى أعماق الغابات؛ لايرثى الرب له، يشمله بعنايته، ويخفف آلامه، كذلك، لا يوجد بائس واحد فى البشرية، بعيد عن دائرة عناية الله الفائقة، ومـحبته اللانهائية، وعطفه الذى لا يُحد. وعند كل سـقوط فى الخطيـة، عند ضـلال أى رجل، أو امـرأة، فى كل نزا ع يـحصـل بين الأحـبـاء، على عتبة كل بيت، من بيوت الدعارة، والمجون، نرى تلك المحبة، تنبض، وتربض بدموعـها المنهمرة، وأشواقها الملتهبة، وتوسلاتها الحـارة «هكذا أحب الله العالم».

ولكن، بجـانب مـحـبـة الله للخـاطئ هذه؛ نرى بـغض الله لخطيتـه، فـإن طـول أناة الله، تبـقى، طالما كـان هنالك أقل رجـاء، فـى رجـوع لخـاطئ عن طرقـه الشـريرة «إن لم يرجع (الخـاطئ) يحدد (الله) سيفه» (مز ٧: ١٢). لأن غضب الله على الخطاة، الذين اختـاروا حيـاة الشـر والخطيـة، بصـفـة نهـائيـة، إن كـان يتـأخـر، فـإنمـا هو ينعس فـقط، ولكنه لا يموت. وهو

يرفرف فوقهم، وقد أوقفه الله لرغبته، فى أن يعطى كل واحد فرصة للخلاص.

إذن، فليشكروا الله، لأن نصيبهم صار فى عهد الرحمة هذا، ولكن «لأن القضاء على العمل الردئ لا يجرى سريعا، فلذلك، قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر» (جا ٨: ١١).

على أن وقت الصبر والاحتمال، لابد أن ينتهى أخيرا، كما حصل فى أيام نوح؛ وعندئذ، تنزل نار من السماء، وهذه، كانت ترمز إليها رمزا بسيطا وجزئيا، تلك النار المادية، التى أهلكت أولئك الجنود الأشرار؛ وعندئذ، ندرك كم هو مريع جدا، أن نواجه غضب الخروف «عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، فى نار لهيب، معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا، يسوع المسيح» (٢ تس ١: ٧ و٨).

نحن فى حاجة إلى زيادة، تفهم الإنجيل من هذه الناحية، لأن هنالك نقصا فاضحا، بين الكثيرين منا فى إدراك معنى الخطية، والغالبية العظمى من البشر، يجهلون رسالة الرحمة، لأن قلوبهم، لم تحركها رسالة غضب الله المقدس، ضد الخطية. نحن نحتاج أن يأتينا ثانية، إنسان فى قوة إيليا، ليؤدى عمل يوحنا المعمدان، ويعد البشرية، بتوبيخاته القاسية، لرسالة المسيح، الهادئة، اللطيفة.

إن الحاجة الملحة، التى يتطلبها عصرنا، هى زيادة الاقتناع بالخطية، ولا يمكن أن يتم هذا، إلا إذا اهتدى مرشدونا الروحيون، لدراسة الناموس، كدراسة الإنجيل، وتحققوا لأنفسهم، بإرشاد الروح القدس، كيف أن الخطية خاطئة جدا. وعندما تتأجج نيران إيليا فى القلوب، لإقناعها بالخطية، يكون قد أعد المجال لأليشع، ليجبر القلوب الكسيرة، برسالة الرحمة.

(٣) وهنا أيضا نتأكد من أن إيليا قد عادت إليه قوة الإيمان الكامل المجيد :

رأينا فيما مضى، أن تهديد إيزابل، كان كافيا لأن يجعله يهرب، أما الآن، فإننا نراه ثابت الجنان، ولو اصطفت حوله الجنود المسلحة للقبض عليه، وكأنه قد ردد تلك الكلمات الخالدة، دون أية مبالغة «إن نزل علىّ جيش لا يخاف قلبى، إن قامت علىّ حرب ففى ذلك أنا مطمئن» (مز ٢٧: ٣).

وعندما أمر للذهاب مع الفرقة الثالثة، إلى الملك، لم يتردد، مع علمه بأنه سيجتاز شوارع المدينة المكتظة، وسيقصد نفس القصر، الذى يربض فيه أعداؤه.

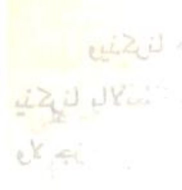
ويذكرنا هذا المنظر، باحتجاج القديس امبروسيوس، أمام أقوى إمبراطور فى عصر، يذكرنا بالأبطال، ورجال الله القديسين، الذين دخلوا عرين الأسد،وواجهوا أعداءهم بلا رهبة، ولا جزع.

أتريد أن تدرك السر؟ ولماذا استطاع أن يقف بهدوء، بجوار الملك، وهو على فراش الموت، ليلقى إليه رسالته، ويعود سالما؟ إن الجواب ليس بعيد المنال.. لقد عاد، فسكن فى ستر العلى، ووقف فى حضرة رب الجنود. لقد كان إيمانه عاملا حيا، منتصرا. لقد كان متسلحا بسلاح الله الكامل، الذى يقيه كل هجمات البشر، والشياطين. ولعله ناجى نفسه بهذه الكلمات، إذ اجتاز وسط أخطار تلك الأزمة الخطيرة، «لأنى بك اقتحمت جيشا، وبإلهى تسورت أسوارا. الله طريقه كامل، قول الربِّ نقى، ترس هو لجميع المحتمين به» (مز ١٨: ٢٩ و٣٠).

أليس جميلا أن نلاحظ هنا ، كيف ظهر بكيفية مجيدة، إيمان كريث، وصرفة، والكرمل؟ فإننا هنا؛ نرى ذلك الشيخ المتهدم، فى نفس القوة، التى ظهر بها فى تحديه الأول لأخآب. لقد كان مثمرا، حتى فى شيخوخته، كإحدى أشجار الله، الدائمة الخضرة، الممتلئة من عصارة الحياة.

فشكرا لله، الذى يعيد القوة، والحياة، إلى قديسيه، إذا وهنت عزائمهم، ويقيمهم من القبر، ويعيدهم ثانية، كالكواكب المضيئة فى يمينه، ويتنازل، بأن يرسلهم مرة أخرى، لخدمته المباركة، المجيدة.







١٦

تسبحة المساء (٢ مل ٢)

عاش الدكتور تشلمرز (Dr. Chalmers) مجاهدا جهاد الأبطال، حتى وصل إلى الستين من عمره. وعندئذ، تمنى لو أن الله سمح بأن يمنحه العقد السابع، ليستريح فيه، بعد الكفاح المضنى فى حياته الطويلة الماضية. وكانت هذه رغبة طبيعية حقا، لرجل يعد من أبرز رجال عصرنا، وسواء أكانت هذه هى رغبة إيليا أم لا، فقد سمح الله بنعمته،أن يكون هذا هو نصيبه، فإنه بعد حياة الكفاح والجهاد التى عاشها، مرت عليه فترة راحة، وسلم وهدوء، ونور، فى أواخر أيامه، كأن روح العالم الذى كان على وشك الوصول إليه، قد عكس أنواره على حياته.

كل الذين صرفوا أيام حياتهم الأولى، فى أعمال نبيلة، وخطوات موفقة، يشعرون دائما بشئ جميل فى أيامهم الأخيرة. فالأحداث؛ يتجمعون حول معلمهم، الذى يدينون له بكل ما وصلوا إليه من سمو فى الحياة، ويدعونه «أبا»، ويتوجون هامته، وشعره الأشيب، بأكاليل المحبة والولاء؛ والبذور التى زرعت منذ سنوات، وكاد يغفل عنها، أو ظن بأنها قد تلاشت، لابد أن تقدم ثمارها الشهية فى حينها. والذاكرة، تستطيع أن تستعيد من مجاهل الماضى، أحسن الذكريات وأعذبها، بينما يقف الرجاء أمام الحجاب، ويخبر عن أمور، لم تُر بعد رؤية كاملة، ولكن النفس الناضجة، تتطلع إليها كما فى مرآة: وتلك القوة القديمة، لا زالت تشع بنورها فى العينين، ولكن أشعتها قد ضعفت، بسبب ضعف الشيخوخة؛ وتلك الغلظة، قد تبدلت إلى رقة، والخشونة إلى نعومة، والمرارة إلى لطف ووداعة، والشفاه العطشى، لا تعود تتأذى بمرارة مياه مارّة، بل تشرب مياها من إيليم، فتنسى تعبها [١]، ومن تلك الشفاه المباركة، تخرج ينابيع مياه الحكمة، والمشورة الصالحة، للنشء الذى يلتف حولهم.

هكذا كانت حياة إيليا فى أيامه الأخيرة، كما يخيل إلينا؛ إنه لم يتقدم جدا فى الأيام،

---

[١] انظر خر ١٥ : ٢٢-٢٧.

والأرجح جدا، أنه لم تبد عليه علامات الضعف، والانحلال الجسمانى؛ فعينه لم تكل، وبدنه لم يضعف. ولعل ما أتاه من أعمال جبارة، قد فت فى عضده، أكثر من تقدم الأيام، ولا سبيل إلى الشك فى أنه إذ قضى زهرة عمره، حياة مثالية، قد تأهب بذلك للرحلة النهائية، التى تنتهى بها الحياة. ولابد أن أيام الراحة، التى أعطيت له فى نهاية جهاده المضنى، قد زادته بهجة وحبورا، كما زادت بلاده بركة، وحق الله تأكيدا؛ لأن تلك الأيام الأخيرة، أيام الراحة، كانت على أعظم جانب من الخطورة، والأهمية؛ سواء فى نتائجها المباشرة، على حياة مئات الشبان والأحداث، الذين التفوا حوله إذ ذاك، أو فى نتائجها المباركة التالية، على الأجيال المتعاقبة.

(١) العمل الذى أتمه إيليا فى سنواته الأخيرة :

كان إيليا وحيدا فى جهاده وكفاحه، ولا شك أن فى حياته الكثير مما يؤيد هذه الحقيقة. كان هذا الرجل الواحد «مركبة إسرائيل وفرسانها» كما أعلن أليشع (ع ١٢)، وكان هو الذى خلق جيله، وهو، إذ سمت حياته فوق مستوى كل البشر فى عصره، شق طريقه وسط جماهير، من ذوى النفوس الضعيفة، وقاوم كل هجمات الشر، كالصخرة الثابتة، التى تلاطم الأمواج، فتحولها إلى رذاذ، وإلى فقاقيع. لقد جاهد وحيدا فريدا، بأعماله الجبارة التى تسمو فوق الطبيعة، ضد تيار العبادة الوثنية، وضد تيار الخطية، اللذين كانا يكتسحان البلاد اكتساحا. وهو فى موقفه هذا، يذكرنا بأبطال المسيحية وعظمائها، الذين دافعوا عن الحق، ثابتين بفضل إيمانهم، الذى استمد قوته من قوة الله، كمانعة الصواعق، التى تستطيع أن تسلب القوة الكهربائية من السحب المرعدة، وتصلها إلى الأرض.

ومع نجاحه نجاحا واسع المدى، فى حفظ الديانة الحقيقية من الفناء؛ فإنه لابد أن يكون قد أحس مرارا، بضرورة تسيير العمل بنظام أوفر، وتزويد البلاد بنخبة من أفاضل الرجال الأتقياء، يكونون نواة طيبة، وخميرة صالحة تخمر العجين كله، وهكذا؛ بإرشاد إلهى، نظم - إن لم يكن قد أنشأ - معهدا كان أثرا من آثار الأيام الغابرة، وهو الذى يعرف باسم مدرسة الأنبياء.

عندما نستعمل كلمة «نبى»، يخطر ببالنا فى الحال، أن معناها؛ يشير إلى الرجل الذي ينبئ بالمستقبل، وبذلك، يحصل لنا شئ من الاضطراب والحيرة، فى قراءة الكتاب

المقدس. صحيح أنها تحمل هذا المعنى، كأحد المعانى الكثيرة، التى تحملها. إن معنى الكلمة الأصلية «يغلى» أو «يضطرم». وهكذا، كان النبى، هو الشخص الذى يضطرم قلبه بالخير، وبالإعلانات الروحية التى احتدمت فى داخله، تريد من يعبر عنها. كان النبى نافورة روحية، كان فما لله. «والله كلم الآباء بالأنبياء قديما» (عب ١:١)، «لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون، مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١:٢١)، هكذا كانت مدارس الأنبياء هذه، كليات يجتمع إليها بعض شبان، فُتحت قلوبهم لقبول رسالة الله، وتهيأت ألسنتهم للنطق بها.

لا يغفل السائح المسيحى، الذى يزور جزر اسكتلندة الغربية، عن زيارة مكان منزل صغير، قحل، قائم وسط أمواج المحيط الأطلسى.. ذلك المكان الذى أعنيه، هو شاطئ جزيرة يونا Iona. لا يتميز هذا الشاطئ بأى جمال طبيعى، يبهر النظر، أو يسترعى الاهتمام، ولا يوجد هنالك سوى قرية واحدة، فقيرة، بها قاربان، ويقطنها بعض السكان، من أقذر القوم. ولكن؛ من ذا الذى يزور الشاطئ الواطئ، ويقف وسط تلك الخرب البالية، دون أن تسرى فى جسمه هزة عنيفة، إذ يرى هنالك، أول كنيسة مسيحية بناها كولومبا (Columba)، لترسل أشعتها الهادئة، إلى تلك الأصقاع الحالكة الظلام، ولتحمى أولئك المرسلين الأحداث، الذين حملوا بشارة الإنجيل لممالك بريطانيا الشمالية، التى كانت غارقة فى العبادة الوثنية.

بنفس هذا الاحساس، يجب أن نقف على أطلال بيت إيل، والجلجال، وأريحا، حيث جمع إيليا حوله، فى آخر سنى حياته، خلاصة السبعة آلاف، وعلمهم كيف يقبلون شيئا من قوته الروحية، وحياته النارية، لكى يودعوها غيرهم أيضا.

كانت هذه هى الكليات اللاهوتية التبشيرية، فى ذلك العصر. كانت هذه هى المعاهد الأمينة، للحق المقدس، وللعلم. ولعله بتأثيره، كان هو الذى بذر البذرة الأولى فى حياة إشعيا، وهوشع، وحزقيال، وغيرهم ، الذين أناروا العالم، ولا زالوا.

كان هؤلاء الشبان يتجمعون فى مدن مختلفة، فى كل مدينة خمسون. وكانوا يلقبون «بنبن»، «بنى الأنبياء»، أما رئيسهم - وهو أشبه برئيس الدير - فكان يلقب «أبا»، كانوا يرتدون الملابس البسيطة، يشتركون كلهم فى طعام واحد، ويسكنون فى أكواخ من أغصان الأشجار، وكانوا يدرسون الكتب المقدسة، دراسة وافية، ولعلهم كانوا ينسخونها للتوزيع،

ولقراءتها فى مسامع الشعب. وطالما كانوا يرسلون فى الإرساليات التى يرشد إليها روح الله، كمسح ملك، أو انتهار خاطئ، عنيد، أو إنصاف المظلومين.

لهذا، فلم يكن عملا هينا، أن ينظم إيليا هذه المدارس، بكيفية تضمن بقاء نفوذه فيها، بعد رحيله، واستمرار اللهب التى أوقدها مشتعلة.

(٢) حالته النفسية ووجهة نظره الروحية لدى التطلع مقدما إلى انتقاله ورحيله من هذه الحياة:

لقد تعلقت نفس ذلك الشيخ الوقور، بنفوس أولئك الشبان الأحداث، وأحس أن أيامه الأخيرة، لن يسعدها أكثر من رؤيتهم مرة أخرى، وأخيرة؛ ولو أنه كان مصمما على عدم ذكر شئ، عن انتقاله الذى كان قد أوشك أن يتم، أو عن المجد الفائق، الذى كان قد أوشك أن يخلع عليه، وهنا؛ تتضح وداعة، واتضاع العظمة الحقيقية.

لقد أتيح له أن يرى مقدما، بأنه سوف يتمتع بانطلاق، لم يسمع بمثله فى تاريخ الجنس البشرى، إلا مرة واحدة، ومع ذلك، تكتم الأمر كل التكتم، لدرجة أنه لو نفذ رأيه، لما أتيح لأحد أن يشهد ذلك الانتقال.

لو أن شخصا آخر أقل منه عظمة، ومجدا، وكرامة، كان فى مكانه لكشف السر، أو حاول أن يجعل مرتفعات الأردن، مزدحمة بالمتفرجين. أما هو؛ فإنه بدلا من هذا، حفظ السر فى صدره تماما، وحاول أن يصرف أليشع عن متابعته، خطوة خطوة. «امكث هنا». ولعل ذلك القلب الأمين، كان يخشى أن يتعلق به تلميذه - إما فى ذلك الوقت أو بعد انطلاقه - لدرجة أنه يؤدى له ذلك الاحترام الواجب، لله وحده.

ويا له من توبيخ صارم، نجده هنا لأنفسنا. فإن رغبة النبى الملحة فى أن يموت وحيدا، تخجلنا نحن، عندما نتذكر كيف نتلهف بأن نخبر الآخرين - بكل الطرق الممكنة - عما نقوم به من الخدمات لله. نحن نميل إلى التحدث، عن كل المواهب التى منحنا إياها، لكى ننال شيئا من التقدير والتبجيل، فى أعين الآخرين. وإننا نسارع إلى الافتخار، وأقل خطوة من خطوات التوفيق والنجاح، تنفخنا وتدفعنا إلى الافتخار.

فلا غرابة إذن، إن كان أبونا السماوى، لا يزيدنا تقدما ظاهرا فى خطوات النجاح، ولا يزيدنا من المواهب الروحية الممتازة، لئلا تشتد علينا التجربة، وتؤدى إلى الهلاك.

إيه! متى نتحرر من أنفسنا؟ ليتنا نستطيع أن نكون دائمى التطلع إلى الشمس، لكى لا نرى ظل النفس المظلم. «كنت لا أبصـر من أجل بهـاء ذلك النور» (أع ٢٢:٨). إن الروح القدس وحده، هو الذى يستطيع أن يحررنا من ناموس الخطية، والموت؛ فلنلح عليه لكى يسرع، ويتمم رسالته المجيدة، ويهبنا وداعة ذلك البطل العظيم، واتضاعه؛ ذاك الذى كان يتمنى أن يختفى هو، لكى لا يفكر البشر إلا فى سيده وربه.

وما يسترعى التفاتنا أيضا، حياة النبى الهادئة، فى تلك الأيام الأخيرة. لقد كان يعلم أنه بعد أيام قلائل، سينتقل إلى الأبدية، ويحيى أقرانه الذين سبقوه إلى المجد، ويدرك الأسرار التى قد غابت عنه فى الحياة، والتى طالما حيرت نفسه الطامحة، ويعاين وجه الله. وكنا نتوقع أن نسمع عنه أنه قضى الساعات الأخيرة، فى تأملات روحية عميقة، وصلوات حارة؛ ولكنه بدلا من هذا، قضى تلك الأيام كسابقتها، فى زيارة مدارس الأنبياء، والتحدث بتؤدة ورزانة مع صديقه، حتى فصلته عنه المركبة النارية.

ولدى التأمل فى هذا المشهد، نتعلم أن الرجل الصالح، يجب أن يعيش هكذا، فلا يحتاج الأمر إلى زيادة الاستعداد، عندما يفاجئه الموت، وأن خير وسيلة للاستعداد، هى الاستمرار فى تأدية واجباتنا اليومية.

سئل مرة أحد خدام الله الأمناء «ماذا تفعل لو أنك علمت أنك ستموت بعد ثلاثة أيام»؟ فأجاب – وخيرا ما أجاب –«انى أتمم العمل الذى سبق أن رسمته لنفسى، أخدم فى مكان، وأقابل تلاميذى فى مكان آخر، وأقيم فى مكان ثالث، حتى تأتى اللحظة التى يطلب منى فيها أن أسلم روحى لمن وهبنى إياها».

عندما ينادى صوت الموت، يجب أن نكون لا فى المكان الذى توحيه إلينا عواطفنا، أو أوهامنا الكاذبة؛ بل فى المكان المعين لنا لتأدية خدمتنا، فى المكان الذى يقتضى واجبنا وجودنا فيه، فى تلك الساعة. إن كلا من المصنع والمتجر، قريب من السماء قرب المقدس نفسه، والعمل المعطى لنا من الله لنتممه، مرتفع لأجل الصعود، ارتفاع جبل الزيتون وجبل الفسجة [١].

---

[١] جبل الزيتون الذى منه صعد المسيح، وجبل الفسجة الذى صعد إليه موسى، ومن هناك أخذه الرب.

(٣) المحبة الملتهبة التى قوبل بها إيليا:

لقد تجلت فى أليشع، وقف ذلك الفتى اليافع، بجانب معلمه الشيخ، الوقور، الذى كان يرقب للمرة الأخيرة، من أعالى جبال الجلجال الغربية منظر خدمته السابقة، ثم نزل معه إلى بيت إيل، ثم إلى أريحا، رغم محاولته إقناعه، بالعدول عن الذهاب معه. ثم تبعه؛ حتى ولو كان يجب عليهما عبور الأردن، الذى كان يعنى، الموت والدينونة. وكأنى بالكاتب، يريد أن يبين قوة محبتهما وهو يقول: «ونزلا (كلاهما) إلى بيت إيل» (ع ٢)، «وأتيا (كلاهما) إلى أريحا» (ع ٤) «وانطلقا كلاهما» (ع٦) «ووقف كلاهما» (ع ٧) «فعبرا كلاهما فى اليَبَس» (ع ٨).

ثم تبرز لنا قوة تلك المحبة، التى لم تستطع مياه الموت الباردة أن تطفئها، فى ذلك التأكيد الذى يكرر ثلاث مرات، «حى هو الرب، وحية هى نفسك، أنى لا أتركك».

أليس جميلا أن نرى فى طبيعة إيليا الخشنة، الجافة، تلك الصفات الجميلة، الرقيقة، التى تبعث مثل تلك المحبة القوية، العميقة؟ وهنا؛ نرى صورة أبهج مما كنا نرى من قبل. وهذه الناحية، ما كنا نرى فيها قبلا شيئا من الجمال.

وعندما رآه بنو الأنبياء للمرة الأخيرة، تحركت عواطفهم هم أيضا، وسرت فى قلوبهم، هزة عنيفة، بسبب ماكانت تكنه له من الحب العميق، الممتزج بالاحترام العظيم، وفى تكتم رقيق، لم يريدوا أن يتحدثوا معه عن أمر، لم يذكر هو عنه شيئا. على أنهم انتحوا به جانبا، وسألوه، عما إذا كانت قد حانت ساعة الفراق، فأجابهم مؤكدا «نعم، ولكن إياكم والتحدث عن هذا الأمر. لا تحاولوا أن تروا منظر الوداع، لتكن كلمات الوداع فى صمت تام» (ع ٣و٥)، وهكذا، انتزع إيليا نفسه من وسطهم.

على أنهم فى كل حديثهم، كانوا جميعا يرون الرب، وكانوا يرونه قريبا منهم. فإيليا، كان يرى بأن الرب هو الذى يرسله من مكان إلى مكان «الرب قد أرسلنى» (ع ٢ و٤ و٦).

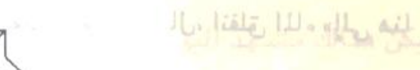
أما أليشع، فكان يراه بأنه هو الرب الحى، الذى إليه يلجأ دواما «حى هو الرب». حى فى العالم العتيد، الذى كان مزمعا أن يجتازه ذاهبا إليه (إلى الله الحى).

وأما بنو الأنبياء، فكانوا يرون بأنه هو الذى سيأخذ قائدهم ورئيسهم إليه «واليوم يأخذ الرب سيدك» (ع ٣و٥).

يقينا؛ إن الذين يستطيعون أن يتحدثوا هكذا، لابد أن يكونوا قد وصلوا إلى المركز الذى فيه يقابلون بجنان ثابت. وهل الموت إلا انتقال، كما سنرى فى الفصل التالى؟

أيها القارئ العزيز.. كيف ترى الرب؟ هل تراه صديقا عزيزا، أليفا، تستطيع أن تتحدث عنه بكل ثقة؟ إذن، فلا تخش من أن تطأ عتبة الأردن، وإلا، فخليق بك أن تأتى إلى دمه الثمين، وتغسل ثيابك، فيكون لك الحق فى شجرة الحياة، وتستطيع أن تدخل المدينة.







١٧

الانتقال (٢ مل ٢)

وأخيرا؛وصلنا إلى منظر من أبهج مناظر العهد القديم؛وكنا نود لو أتيحت لنا الفرصة للوقوف على كل دقائقه وتفاصيله؛ ولكن المؤرخ، يكتفى بأبسط الألفاظ، فى سرد الرواية فى قصر وإيجاز.. فهو لا يعطينا إلا فكرة أو اثنتين قويتين. ولعل بعد المسافة أو ارتفاع الجبال، لم يمكّن جمهور المتفرجين بجوار أريحا، من رؤية بنى الأنبياء فى تراجعهم. ولعل جنود الملائكة التى كانت تحيط بإيليا، قد بهرت بمجدها أنظار أليشع، وهو الوحيد الذى شهد هذا المنظر، عن أن يراه واضحا وجليا.

فلا عجب إذن، إن رأينا الكاتب، يكتفى فى وصف هذا المنظر، بهذه الكلمات القصيرة فى آية واحدة «وفيما هما يسيران ويتكلمان، إذا مركبة من نار وخيل من نار، ففصلت بينهما، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء» (ع١١).

على أنه كانت هنالك علامة واحدة، على الأقل، تنبئ بتلك الحادثة العجيبة المنتظرة. وقد رأى تلك العلامة بوضوح، أشخاص آخرون. وقف الصديقان برهة، أمام نهر الأردن، الذى كان يعوقهم عن متابعة المسير، فامتلأ قلب إيليا بذلك الإيمان الجبار، القديم، الذى طالما مكنه من التغلب على ناموس الطبيعة، وذلك باستخدام ناموس العالم الأعلى، الذى لا يستجيب إلا لدعاء الإيمان القوى.

صحيح، أنه أخذ رداءه، ولفه، وضرب الماء، ولكن ذلك، لم يكن إلا مجرد علامة خارجية ظاهرة. فقد كان فى نفس تلك اللحظة، ممسكا بقوة رب الجنود، وآتيا بها، ليشق طريقا وسط المياه الجارية. لقد كان يعرف بأن الرب أرسله إلى هناك، وأن طريقه يمتد إلى الشاطئ الآخر من النهر.

وهو لم ير وسيلة، لمتابعة طريقه الذى رسمه له الله. وكان متيقنا، بأنه طالما كان طريقه يلزمه اجتياز المياه، فلا بد أن يكون الله مستعدا أن يمكنه من أن يطأها. لهذا، تجاسر،

وضرب المياه، مؤمنا بأن القوة الإلهية، تعمل فى كل ضربة. وفى الحال، انفلق الماء «إلى هنا وهناك»، وهيأ له طريقا واضحا اجتازه كلاهما.

أيها القارئ العزيز.. قد يضطرك طريقك أحيانا، إلى اجتياز مياه الأردن فى فيضانه، ولا يكون هنالك بديل من اجتيازه؛ فالسباحة، تسير إلى الأمام، والظروف، تشير بأنك يجب أن تتقدم إلى الأمام، والإيحاءات الداخلية، تشير بأنك يجب أن تتقدم إلى الأمام.

ولكن؛ كيف يمكن التقدم والأردن فى الطريق؟ الآن وقت الإيمان، حيث يشير الرب بأصابعه، هناك، تتدخل يد الرب، لتهيئ الطريق. آمن بأنه لابد أن يتم ذلك، تقدم بإيمان ثابت، لا يتزعزع، دس بقدمك على الشاطئ، فتجد أن مياه الصعوبات قد انفلقت أمامك، وتجد لنفسك طريقا، لم تكن تراه بالعين البشرية. وهكذا؛ تستطيع أن تجتاز الأردن، لتأخذ الجعالة.

(١) لياقة هذا الانتقال :

(١) كانت هناك لياقة فى المكان:

لم يختر الله سهل اسدراليون المبهج بكرومه، ومزارعه، وقراه المبعثرة، التى تتحدث عن عناء، وأعمال البشر، ومساكنهم ولم يختر صحراء سيناء التى تعيد إلى ذاكرته[١] سقوطه المخزى، ولم يختر مدارس الجلجال، أو بيت ايل، أو أريحا. فلم يكن مكان من هذه مناسبا، لكى يهيئ له موقفا لائقا، يودع منه خدمته الأرضية. لم يشأ الله أن يختار مكانا من كل هذه. بل وسط المناظر التى تعود أن يشهدها فى فجر حياته، وفى البلاد التى حفلت فى كل العصور الماضية، بأعظم الحوادث فى تاريخ شعبه، بين بعض الجبال الشامخة - هناك اختار الله أن يرسل مركبته، لكى تأخذه إلى وطنه السماوى.

(٢) وكانت هنالك لياقة فى الطريقة:

كان هو نفسه، كالعاصفة، التى إن هبت على العالم فجأة، اكتسحت كل ما يصادفها، وخلفت وراءها الخراب والدمار. فكان لائقا برجل يشبه «العاصفة»، أن ينتقل إلى السماء، بهيئة تناسب حياته «فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء» (ع ١١). كان منظر الصحراء بأعاصيرها القاصفة، ونيرانها المحرقة، خير ما يصور لنا أخلاقه، وصفاته، ولم

---

[١] ذاكرة إيليا (مكتبة المحبة).

يكن هنالك مشهد أليق لتصوير نشاطه، وقوة حياته، من عصف الزوابع، ولم تكن هنالك صورة، أليق لتصوير حرارة روحه، من النار التى ظهرت فيها السيرافيم، المطهمة، «مركبة من نار وخيل من نار»، ويا له من فرق شاسع بين صعود إيليا، وصعود المسيح، الهادئ، اللطيف، إلى السماء.

(٣) وكانت هنالك لياقة فى الألفاظ التى صرخ بها أليشع مودعا إياه، فإنه صرخ قائلا: «يا أبى، مركبة إسرائيل وفرسانها» (ع ١٣).

لا شك فى أنه وسط هذا المنظر الفجائى، الذى أعلن له فيه وميض من المجد، لم يع ما قاله. ومع ذلك؛ فإنه قد أصاب كبد الحقيقة. فذلك الرجل، الذى أحبه كأب، كان حقا مركبة مسلحة، للدفاع عن إسرائيل، لأنه؛ بإيمانه، وصلواته، وأعماله المجيدة، كثيرا ما درأ عن شعبه الكثير من الشرور، والأخطار، بمهارة واقتدار ونجاح، أكثر من جيش مسلح.

مما يؤسف له كل الأسف، أنه يندر وجود أشخاص كهذا؛ على أننا قد عرفنا البعض منهم فى عصرنا، وعندما انتقلوا بغتة من جوارنا، أحسسنا بأن الكنيسة، قد حرمت من ينبوع رئيسى للحماية، والمعونة.

(٢) أسباب هذا الانتقال :

(١) لا شك فى أن أحد الأسباب الرئيسية هو أن يكون شهادة لجيله:

فقد كان البشر فى عصره، غارقين فى شهواتهم، منغمسين فى ملذاتهم، لا يفكرون فيما وراء هذه الحياة. أما اليهود؛ فإن أقصى ما استطاعوا الوصول إليه، هو تكوين فكرة غامضة عن الحياة الأخرى؛ لعل هذه الفكرة، زادها غموضا وظلاما، انحرافهم فى تيار العبادة الوثنية، وانغماسهم فى الخطية.

أما انتقال إيليا، فقد أعطاهم برهانا مقنعا، على وجود عالم روحى، دخله الأبرار، وعلى أن الروح، لا تموت بموت الجسد؛ بل تنتقل إلى حالة، تجد فيها أنبل غرائزها، وجوها الذى يناسبها، ووطنها اللائق بها، إذ تنتقل الروح إلى الروح، وإنسان الله إلى الله.

كانت حادثة انتقال أخنوخ *إلى السماء*، قبل الطوفان، شهادة مشابهة لرجال عصره. وثمة شهادة أخرى، فى حادثة صعود ربنا، من أعلى جبل الزيتون. إلى أين انتهت هذه الرحلات العجيبة، ما لم يكن هنالك هدف كان غايتهم اللائقة؟ وإذ كانت تذاع أنباء هذه الحوادث، وتملأ قلوب سامعيها رهبة عجيبة، وإذ كانوا لا يسمعون بوجود أية علامة تدل على

العثور على هؤلاء الأشخاص المنتقلين، رغم البحث المضنى، والتفتيش الدقيق؛ ألم يكن يخطر ببالهم، أنهم يتوقون هم أيضا، لاتخاذ الرحلة العجيبة إلى العالم غير المنظور، محلقين فوق كل العوالم؟

(٢) كان هنالك سبب آخر، هو رغبة الله فى تدعيم أقوال عبده وخادمه الأمين بطريقة عجيبة:

كان يسيرا على رجال ذلك العصر، أن يحدوا من قوة خدمة إيليا، باتهامه أنه مجرد إنسان متحمس، مهيج، مثير للقلاقل والفتن. ولعله كان من الهين أن يظنوا، أن تهديداته، وإنذاراته، بدأت وانتهت بنفسه، إذ كانت منبعثة عن عقل مضطرب، ولو كانت حياته انتهت بمرض الشيخوخة، لازدادوا تقسيا فى طرقهم المعوجة، وتوغلا فى شرورهم. فكيف كان ممكنا أن يعرفوا، أنه إنما نطق بحق الله؟

ولكن شفاه المجدفين، والمتقولين، قد أبكمت عندما ختم الرب على خدمة عبده، بهذا الختم العجيب. وكأن الرب قد انتقل من العالم غير المنظور، لكى يشهد لعبده، ويؤيد رسالته، ويؤكد أنه إنما كان رسوله الأمين المختار، وأن الكلمة التى نطقت بها شفتاه، كانت صدقا وحقا. كان انتقال إيليا، بالنسبة لأعماله فى حياته، كقيامة المسيح بالنسبةلأعماله التى عملها فى حياته. كان كل منهما شهادة الله للعالم التى لا يمكن أن تنقض.

سبق أن سقط إيليا - كخادم - فى لحظة مظلمة، سقطة مشينة، خسر بسببها فرصة ذهبية؛ ولكن؛ رغما من كل ذلك، كانت خدمته بصفة مقبولة أمام الله، حتى أنه أعلن للناس رضاءه عنها.

قد يحدث فى بعض الأحيان، أن أبانا السماوى، يكرم خدامه أيما إكرام فى أعين البشر، بينما يشدد جدا فى معاملاته الخاصة معهم، إزاء بعض التقصيرات فى تأدية خدمتهم؛ الأمر الذى لا يعلمه إلا الله، وضمائرهم.

(٣) الدروس التى نتعلمها نحن من هذا الانتقال :

(١) لنحذر من أن نملى إرادتنا على الله:

هذا هو الرجل الذى سبق أن ارتمى على الأرض، وطلب الموت لنفسه. فلو أنه قد أجيب إلى طلبته، لكانت رمال الصحراء مثواه، ورياح البيداء، وداعه الأخير. فكم كان جودا وصلاحا من الله أن يرفض طلبته التى سبق أن اشتهاها من كل قلبه. ألم يكن خيرا له أن

ينتقل - بين مظاهر حب تلاميذه له - فى تلك المركبة التى أرسلها الله إليه، والتى لا تذكر بجانبها على الإطلاق، مركبة أخآب، التى ركض أمامها يوما ما؟

لا شك فى أن هذا، هو أحد أسباب عدم استجابة صلواتنا؛ فنحن لا نعلم ما نصلى لأجله، وكثيرا ما طلبنا أمورا، كنا نحلم أو نفكر فى طلبها ورفضها الله لصالحنا، لو أننا أدركنا نصيبنا العظيم، الذى قد عينه لنا أبونا السماوى. سيأتى اليوم الذى فيه نباركه، ونشكره، من أجل الصلوات التى رفضها، أكثر مما نشكره من أجل الصلوات التى استجابها. وعندما تُرفض صلاتك، فاذكر بأن ذلك، قد يكون لأن الله يعد لك شيئا، أعظم وأفضل، مما طلبت، بمقدار ما كان انتقال إيليا، أفضل من طلبته التى طلبها لنفسه.

(٢) لنتعلم ماهية الموت:

هو مجرد انتقال، ليس هو حالة؛ بل هو عمل، ليس ظرفا، بل هو عبور.. هو أن نجوز أحد الأبواب، ونعبر قنطرة الابتسام، وننتقل من الظلام إلى النور. لا توجد فترة ذهول، أو عدم شعور، أو فترة انتظار الحياة؛ ولكننا إذ نتغرب عن الجسد، نستوطن عند الرب، فى الحال (٢ كو ٥).

إذن؛ فلا تفكرن أيها العزيز فى الموت، كأنه سجان، يجمع القديسين فى السجن، انتظارا للعصر الأخير، الذى يمنحون فيه الحرية كاملة. ليس هو شيئا من هذا القبيل؛ إنما هو عبوسة متصنعة من أحد ملائكة حضرة الله، مرسل ليجمع النفوس الأمينة، إلى حجال الملك. وكما أننا بحادثة الولادة، قد دخلنا إلى هذه الحياة الدنيا، كذلك نحن بهذه الحادثة، التى يسميها البشر، موتا؛ ولكن الملائكة يسمونها ولادة - لأن المسيح هو بكر [١] الراقدين - ننتقل إلى الحياة الحقيقية.

إن حادثة إيليا، على جبل التجلى، متحدثا مع موسى والمسيح، حديثا مقدسا، تبرهن على أن القديسين الذين رقدوا، هم الأحياء الحقيقيون، ذوو الإدراك والإحساس، النشطون، الغيورون؛ وعلى أنهم قد دخلوا تلك الحياة فى لحظة واحدة، هى لحظة الموت.

ألا يكون أكثر صدقا، أن نتحدث عنهم لا كأموات؛ بل كأشخاص قد ماتوا، وهم الآن أحياء إلى الأبد؟ ولنذكر على كل حال، بأنه كان خيرا جدا للنفس المنتقلة، أن تكون مع

---

[١] أى المولود أولا.

المسيح، ومستوطنة عند الرب؛ إلا أن السعادة لا يمكن أن تكمل، قبل قيامة الجسد، الذى سيلبس حينئذ، عدم الفساد، وعدم الموت.

(٣) ثم لننظر لهذه الحادثة كرمز إلى تغير أجساد القديسين:

نحن لا ندرك، ما هو التغيير الذى طرأ على جسد النبى الفانى، وقت صعوده؛ ولكن، هذا هو كل مانعلمه، أنه قد «ابتلع المائت من الحيوة» (٢ كو ٥:٤).

لقد تغير تغييرا، يشبه ذلك التغيير الذى تم فى قبر يوسف، حيث تحول جسد يسوع المصلوب، إلى جسده المقام من الأموات، الذى لم يكن خاضعا قطعا لناموس الطبيعة، ولكنه كان مشابها للجسد الذى لبسه ثلاثة وثلاثين عاما، حتى أنه أيضا، سيُلبس جسدنا الفاسد، عدم فساد، ويلبس المائت، عدم الموت، ويتغير الجسد المتواضع، إلى الجسد الممجد.

قد يكون مثل هذا التغيير، من نصيب بعض الذين يقرأون هذه الكلمات، حيث «نختلف لملاقاة الرب فى الهواء»، إن كانوا يعيشون وقت مجئ المسيح ثانية.

يليق بنا إذن، أن نسلك كإيليا، ساهرين، ومستعدين، فى كل حين، وأن لا نتحدث إلا فى الأمور التى لا نخزى منها، لو أننا انتقلنا فجأة إلى حضرة الله. وهكذا، إن جاءتنا مركبة الله فى أى وقت، وإلى أى مكان حملتنا - سواء فى العاصفة، وسط البحر، أو حادثة تصادم فى قطار السكة الحديد، فى أية كارثة، أو فى الموت الطبيعى - نكون مستعدين أن ندخل مغتسلين بدم الحمل.

كان هذا الحادث الجلل، ماثلا فى ذهن خادم أمين لله، عند وفاته، فرفع يده إلى الجالسين حوله، ونظر إلى فوق، بابتسامة رقيقة، وفاه بهذه الكلمات «تقدمى. إن مركبات الله عشرون ألفا».

ألا يحق لنا أن نفترض، بأن كل نفس راحلة، تنتظرها مركبة لتحملها إلى حضرة الملك، الذى له المجد، إلى أبد الدهور؟





نصيب اثنين من روح إيليا (٢ مل ٢)

يقترن انتقال إيليا، بحادث يعتبر من مميزات ذلك النبى العظيم نفسه، ولو كان يتعلق بصديقه وخليفته. لهذا،لا يليق بنا أن نتجاوزه، دون إبداء بعض الملاحظات، نظرا لعظم أهميته. يخبرنا الكتاب، أنهما بعد عبور نهر الأردن، كانا «يسيران ويتكلمان» (ع١١)، ولابد أنهما، وقد وقفا على أبواب السماء، وعلى حافة الأبدية، كان حديثهما منحصرا فى أخطر الموضوعات، وأجلّها. ولعله لم يخرج عن هذه المواضيع: ارتداد إسرائيل، وخرابهم القادم سريعا، الخدمة التى كانت على وشك الانتهاء، وما تخللها من تهديدات، وإنذارات خطيرة، الخدمة التى كانت تنتظر أليشع، وما إلى ذلك من المواضيع المشابهة.

وفى أثناء هذا الحديث، «قال إيليا لأليشع اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أؤخذ منك» (ع٩)، وكان هذا بابا متسعا، فتحه إيليا على مصراعيه، فى وجه صديقه الأصغر. قد ندهش فى أول الأمر، عندما نرى كيف استطاع إيليا أن يعرض على أليشع، استعداده لإعطائه كل ما يطلب. أليس هذا هو ما يتميز به الله وحده؟ يقينا، أن الله وحده هو الذى يستطيع أن يمنحنا كل ما نشتهيه، عندما نصلى، ومع ذلك؛ فإن استجابته للصلاة ليست مطلقة، بل تتوقف على إتمام بعض الشروط من جانبنا.

لكن، لنتذكر بأن إيليا كان خبيرا بنفسية صديقه، ومطلعا على كل خبايا روحه. ولهذا، فإنه عندما نجح أليشع فى الامتحان، بإظهار ذلك العزم الثابت، الذى لم يتزعزع، استطاع إيليا أن يعطيه هذا الوعد غير المحدود. إنه كان واثقا من أن ذلك الخادم الأمين، لا يمكن أن يطلب أمرا لا يقوى عليه إيمانه العظيم، أو لا يمكن لله أن يمنحه، ولا يريد منحه. صحيح أنه كان «إنسانا تحت الآلام مثلنا»، لا يزيد ولا ينقص شيئا عن حدود الطبيعة البشرية، ولكنه باتصاله اتصالا وثيقا بإلهه، وصل إلى درجة عظيمة من الجسارة المقدسة، حتى أنه كان يخيل إليه،أن مفاتيح البركات الروحية، أصبحت فى قبضة يديه، فيوزع من هبات الله الثمينة للنفوس الأمينة. فلماذا لا نجاهد نحن، لكى نعطى «إيمانا ثمينا مساويا» (٢ بط ١:١).

(١) طلبة أليشع الواسعة المدى :

لم توضع ثقة إيليا فى غير محلها؛ فقد كانت إجابة أليشع بنفس الروح التى توقعها. إنه لم يطلب ثروة، ولا مركزا، ولا قوة عالمية، ولا سلطانا زمنيا، ولم يطلب أن يكون له نصيب فى تلك الامتيازات، التى تركها وراء ظهره نهائيا؛ إذ ودع بيته وأصدقاءه، «فقال أليشع ليكن نصيب اثنين من روحك على».

وماذا كان يعنيه أليشع بهذه الطلبة؟ إننى لا أفسرها بأنه كان يريد أن يكون له نصيب اثنين من إيمان وقوة إيليا الروحية، اللذين تميز بهما، إنما كل ما كان يعنيه، أن يحسب بكر إيليا ، ووارث روحه، وخليفته فى عمله. هنالك فقرة فى ناموس موسى، تبين صراحة أن «نصيب اثنين» هو حق الابن البكر والوارث (تث ٢١:١٧). هذا ما طلبه النبى، وهذا ما ناله بلا جدال.

لقد كان طلبا نبيلا، فإنه كان قد دعى دعوة واضحة، ليخلف إيليا فى خدمته. على أنه أحس، أنه لا يستطيع أن يقوم بمسئولياتها، أو يواجه أخطارها المحتمة، ما لم يزود بقوة روحية خاصة. يندر أن نجد أمثال إيليا بين أصدقائنا؛ وعندما نستطيع أن نعثر على مثله، فيجدر أن نستعين بصلواته الشفاعية من أجلنا، لكى يمنحنا الرب روحا مشابها.

على أنه يوجد على الأقل، من نستطيع أن نلجأ إليه أجمعين، بهذا الطلب العظيم، واثقين من أنه أكثر استعدادا لمنحنا روحه القدوس، من استعداد الآباء الأرضيين، أن يسدوا حاجة أبنائهم بالطعام البائد.

آه؛ إنى أود من كل قلبى، أن تمتلئ نفوس الجميع تعطشا لأفضل البركات، يتعطش أبناء العالم إلى الصيت، والمراكز الرفيعة، والثروة، فينالون ما يطلبونه، لأن العالم لا يرد لهم طلبا. فطوبى لنا إن كنا نتعطش لروح الله، بمقدار تعطش أولاد العالم، للأمور الزائلة، وطوبى لنا إن كنا، عوضا عن أن نترك الكثير من فرص الخدمة، لشعورنا بعدم كفايتنا، نطلب ونجاهد، لكى ننال قوة جديدة، وامتلاء جديدا من الروح القدس.

من ذا الذى يحجم عن محاولة القيام بأعمال إيليا، إن كان قد نال روح إيليا أولا؟ فعوضا عن التنحى عن أى عمل، تشعر فى نفسك، أن كفاءتك الطبيعية لا تؤهلك للقيام به، يجب أن تنتظر قليلا فى حرارة الصلاة، وانتظار الإيمان، حتى تلبس قوة من الأعالى. إن الله لا يمكن أن يدعوك لأى عمل، ما لم يؤهلك له، ولا تنس أبدا، أن إيليا قد تمم الأعمال العظيمة، والخدمات الجليلة التى أداها، ليس بقوة أو صفات أو مؤهلات موروثة، بل لأنه

بالإيمان، قد نال مواهب روح الله.

وهذه نستطيع أن نتممها نحن أيضا، مهما كانت قوتنا ضعيفة، ومواهبنا الطبيعية محدودة، إن كنا مستعدين أن ننتظر، ونسهر، ونصلى، إلى أن تنفجر فى قلوبنا قوة يوم الخمسين، بهبوب ريح عاصفة، وألسنة من نار، أو بدون هذه الريح العاصفة، والألسنة النارية.

(٢) ولنتأمل بإمعان فى الشرطين اللذين وضعا أمام أليشع :

(١) متانة القصد:

لقد امتحن إيليا قصده بعنف، فى كل خطوة فى تلك الرحلة الوداعية. فمرارا، قال له «امكث هنا»، ولكن، كان أيسر له أن ينتزع إحدى أشجار أرز لبنان، أو يزعزع جبل الكرمل من مكانه، من أن ينتزع ثبات أليشع فى قصده، فلم تكن الجلجال، بمناظرها الخلابة، ولا بيت إيل، بذكرياتها الجميلة، خصوصا.. ذكرى الملائكة التى ظهرت ليعقوب فى حلمه، ولا أريحا، الواقعة على حدود البلاد - لم تكن هذه كافية، بأن تثنيه عن عزمه، متابعة السير مع معلمه. ورغما عن أنهما، كان يجب عليهما اجتياز نهر الأردن، الذى كان دائما يشير إلى الموت، فلم يكن هذا أيضا كافيا، بأن يعطل تلك النفس النشيطة، الأمينة. لقد كان أليشع يعرف ما طلبه، وكان يعرف معنى الامتحان، الذى كان لابد أن يجوزه، وكان عزمه يزداد قوة ومتانة، كلما توغل فى الامتحان، كما تعارك مياه النهر الجارى، أى حاجز يعترضها، إلى أن تعلو فوقه، وتتخطاه، وتسير فى مجراها.

بنفس هذه العزيمة، تغلبت المرأة الفينيقية، على كل العقبات التى أقامها المسيح فى طريقها، وبنفس هذه العزيمة، انتظر الرسل موعد الآب، ولم يزعزهم تأخير عشرة أيام.

يقينا، إن أبانا قبل أن يعطينا ملء الروح القدس، يمتحننا، لكى يعرف إن كنا جادين فى الطلب. عندما نظهر عزما ثابتا أكيدا، لا يتزعزع، ولا ينكص على أعقابه، بل يمسك بالملاك بكل ما فيه من قوة، قائلا له «لا أتركك إن لم تباركنى»، فحينئذ، وحينئذ فقط؛ يلتفت إلينا الله، الذى لم يكن مترددا قط، بل كان فقط، يختبرنا، ويقول لنا مبتمسا «يا ابنى، عظيم إيمانك، وعظيمة هى لجاجتك، ليكن لك كما تريد» «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (مت ١١:١٢).

كم من مرة، حاولنا أن نقنع أنفسنا، بأننا نستطيع أن ننال أعظم البركات الروحية، دون أن ندفع الثمن. هكذا توهم يعقوب، ويوحنا، بأن ينالا كرسيين على عرش الله، بمجرد

الطلب؛ ولم يدركا أن الصليب، يجب أن يسبق الإكليل، وأن كأس جثسيمانى المر، يتوسط بين المؤمن، ونشيد الإكليل. يجب أن نعبر الأردن، يجب أن نحمل الصليب «كل يوم» ونتبع المسيح، يجب أن نتشبه بشبه موته، وشركة آلامه، يجب أن نصلب الطبيعة القديمة، يجب الخضوع بكل محبة، وقبول، وسرور، لمشيئة الله، ولو كلفتنا قطرات الدماء، ومرارة الحزن، وهكذا؛ بعد أن نظهر ثبات عزمنا، نبرهن على استحقاقنا لنوال هبة الله العظمى.

(٢) البصيرة الروحية:

«إن رأيتنى أؤخذ منك، يكون لك كذلك، وإلا فلا يكون». لم يكن هنالك تحكم، أو تعسف، فى هذا الطلب؛ فإنه لم يكن ممكنا، التفكير فى إيجاد مقياس، أضبط من هذا الاختبار، للحياة الروحية لذلك الإنسان الطموح، لأن رؤية حركات العالم الروحى، تتطلب طهارة غير عادية، وإيمانا غير عادى. فالعين البشرية المجردة، لم يكن ممكنا لها رؤية ذلك المشهد النارى، والحواس التى بلدتها الشهوة، وطمست بصيرتها المادة. إن رأيت مشهدا كمشهد تلك السيرافيم النارية، تجده خاليا من أى امتياز، أو أهمية خاصة، ومجردا من أى مغزى، كسائر المناظر المحيطة، ولعله لم يكن هنالك فى كل إسرائيل، فرد آخر، له قلب طاهر، وحياة روحية، يؤهلانه لرؤية هذا المشهد المجيد.

ولو أننا كنا هنالك، لما استرعى أنظارنا أى شئ، خلا اختفاء النبى المفاجئ، طالما قد رأى كل شئ. فمن ذلك، يتضح جليا، أنه كان ضابطا لعواطفه، وشهواته، نقى القلب، قويا فى حياته الروحية، وأنه فى مجموع حياته، كان فى حالة، تمكنه من التغلغل فى أعماق العالم الروحى، دون أن يتعرض لأقل خطر.

هكذا، ينبغى أن نكون نحن، بنعمة الله، قبل أن نشتهى الحصول على مثل تلك القوات، لأنه؛ لا شك فى أن قبولنا للامتلاء من الروح القدس، يكون بنسبة إخضاع الجسد، وقوة حياتنا الداخلية.

(٣) الجواب:

«ورفع رداء إيليا الذى سقط عنه». ويا لها من معان عميقة فى هذا الرداء الساقط. يقال إن منح الرداء، كان يعتبر دواما فى الشرق، علامة لا غنى عنها، للتكريس لوظيفة مقدسة؛ إذن، فعندما سقط رداء إيليا عند قدمى أليشع، أدرك فى الحال، أن السماء قد أجابت طلبته، أدرك أنه قد أخذ مركز إيليا، آمن أنه قد وهب قوة إيليا. لا أشك لحظة، فى أنه لم تحصل أية علامة حسية، أو حركة ظاهرية، للدلالة على التغير الذى حصل فى حياته، فقد

ظلت روحه هادئة، ونبضات قلبه طبيعية، ولم تحصل هزة فى جسمه، للدلالة على القوة الجديدة التى لبسها، لكن؛ تيار تلك القوة الروحية دخل إلى نفسه بكل هدوء، كدخول النور إلى العالم، وكدخول قوات الربيع إلى الغابات.

فإن كنا بالصبر والإيمان، نطلب من أبينا، الامتلاء من الروح القدس، وجب أن لا نسائل أنفسنا مطلقا، إن كنا نحس بالامتلاء، بل لنؤمن؛ أن الله قد حفظ كلمته معنا، وأننا امتلأنا، ولو لم تكن هنالك علامات علوية، اصطحبت دخول تلك القوة، التى تعمل بشدة واقتدار فى المؤمنين.

على أن الآخرين، سيرون فينا، ما لم يكن موجودا من قبل، عندما يقفون بجوار نهر الأردن الزاخر، ويرون المياه المضطربة، تنفصل هنا وهناك، لدى ضربة واحدة منا. «ولما رآه بنو الأنبياء الذين فى أريحا قبالته، قالوا قد استقرت روح إيليا على أليشع» (ع١٥).

حالما حل الروح القدس على يسوع، اقتيد إلى البرية ليجرب، فإن الشيطان، لم يكد يسمع اللقب الذى نودى به المسيح، وهو فى مياه المعمودية «ابن الله» حتى هاجمه من هذه الناحية، بكل ما فيه من قوة «إن كنت ابن الله».

وهذا هو ما يحصل إلى الأبد، على أن نتيجة الصعوبات، والشدائد، والتجارب، هى أن نؤكد لأنفسنا وللآخرين، يقينية وسمو البركات التى نلناها، وانفلاق مياه الأردن، يبرهن على حلول الروح.

«أين هو الرب إله إيليا؟». كثيرا ما رفع هذا الصوت، فى أوقات تواجه فيها الكنيسة أزمات شديدة، وتكون فيها قد حرمت من أبطالها، وفى بعض الأحيان، كان الدافع لهذا الصوت، روح اليأس، أكثر من روح الرجاء. على أنه؛ إن ارتحل إيليا، فإن إله إيليا باق، وهو؛ إن نقل إليه عبيده الذين قد أضناهم التعب، فإنه يعنى بأن يملأ فراغهم، ويمسح غيرهم، لإكمال عملهم، فالعمل عمله هو، وليس عملنا نحن، وعليه هو تقع المسئولية، كما أن إليه يرجع المجد.

وإن سألت أين هو، سمعت الصوت فى الحال يهمس قائلا: «أنا هنا» فأمسك رداء من انتقلوا، واسلك على منوالهم، واطلب روحهم، واضرب أمواج الصعوبات المرة، بإيمان لا يتزعزع، تجد أن الرب إله إيليا، يعمل معك، بقدر ما عمل مع القديسين، الذين انتقلوا لينالوا الأكاليل، والذين أصبحوا الآن، ضمن زمرة سحابة الشهود الذين يرتقبون جهادك، وانتصارك، وفرحك.



التجلى (لوقا ٩)

لم يكن وردزورث [١] وكل أتباعه، سوى تلاميذ فى مدرسة الرب، يسوع المسيح، الذى كان محبا للطبيعة بدرجة لم يفقه فيه أحد. فإنه لم تنم زهرة عند قدميه (المسيح)، ولم يطر طائر فوق رأسه، دون أن يجذب أنظاره فى الحال. كان حديثه اليومى عن الخروف الضال، والحقول التى ابيضت، عن آبار المياه الحية، وأمطار الصيف، عن تغير لون السماء، فى الصباح وفى المساء. لهذا، لا نعجب أن رأيناه طالما تحين الفرص الخاطفة، للتأمل فى جمال الطبيعة، أو صعد على الجبال الدهرية – وهى منابر العالم الطبيعية – لا بقصد الإقامة فيها، بل للتأملات الروحية، والصلاة.

كانت هذه الفرصة – موضوع تأملنا الآن – إحدى هذه الفرص؛ فإنه إذ كان قد أضناه التعب، وإذ أراد أن يفضى لتلاميذه بحديث خاص، لكى يعدهم للمأساة القادمة، التى ما كانوا يعلمون عنها شيئا، بكل أسف. نراه يرتحل إلى الشمال مع تلاميذه، متجنبا المدن الكبيرة، حتى يصلوا إلى إحدى القرى الصغيرة، القائمة على منحدر جبل حرمون [٢] الذى يناطح السحاب، والذى يقف حاجزا منيعا، على الحدود الشمالية لأراضى فلسطين، ويظهر أنهم لبثوا هناك نحو أسبوع.

تأمل الآن قليلا، كيف قضوا هذه الأيام، مراقبين الثلوج، التى اكتست بها القمم العليا، تسطع عليها أشعة بضيائها الزاهى، فى الصباح المبكر، وتتساقط عليها فى الغروب، فتتوهج؛ كأنها قطعة من نار، مبتهجين بخصوبة تربة الجبل، التى شبهت منذ بضعة أجيال، بالدهن الطيب على الرأس، النازل على اللحية، لحية هارون (مز ١٢٣)، منتهزين الفرصة، لزيارة غابة الأرز القديمة، التى قطع منها عبيد حيرام، الأخشاب، لهيكل سليمان، أو ينابيع الجبل، التى تمد نهر الأردن بمياهه. لا شك أن أسبوعا واحدا يمر سريعا وسط مناظر كهذه، خصوصا، وقد كانوا منشغلين فى التحدث عن أسمى المواضيع.

[١] أحد مشاهير الانكليز (١١٧٠–١٨٥٠) وكان محبا جدا للطبيعة لدرجة تكاد تصل إلى حد العبادة.
[٢] هنالك رواية أخرى تتضمن بأن مشهد التجلى تم على جبل تابور.

وبعد ثمانية أيام، أخذ يسوع معه أبطاله الثلاثة، بطرس ويعقوب ويوحنا. وعندما أرخى الليل سدوله، ارتفع بهم إلى إحدى القمم المجاورة، بعيدا عن أنظار البشر، وأسماعهم؛ وكان القصد من الذهاب هناك، أن يستعد بالصلاة، قبل الصراع المزمع أن يحل، ولعل أصدقاءه المحبوبين، قد اشتركوا معه فى الصلاة، فى الهزيع الأول من الليل.

على أنهم سرعان ما خارت قواهم.. وللحال، غطوا فى نوم ثقيل، كما فعلوا فيما بعد، فى جشيماني، مع رؤيتهم معلمهم، وهو يسكب نفسه بدموع وتضرعات.

لا نعرف كم ساعة انقضت قبل أن يوقظوا بغتة من نومهم، لا بتأثير نور الصباح الهادئ، بل بتأثير المجد العظيم جدا، الذى شع من شخص معلمهم. لقد «صارت هيئة وجهه متغيرة» فتلك النظرات الحزينة، الغارقة فى التفكير، لم يبق لها أثر. وبالإجمال، كان وجهه يلمع كالشمس، لا كوجه موسى، الذى كان يلمع بانعكاس نور خارجى عليه، بل كا يلمع من الداخل، كأن مجد «الشكناه [١]»الذى طال اختباؤه، كان يتفجر من حجاب الجسد الضعيف، وكان يشع منه بضيائه البهيج.

أما «لباسه» وكان عاديا مما يصنع محليا فى البلاد، فصار «مبيضا لامعا» أبهى وأزهى من الثلوج التى اكتست بها قمم الجبل فوق رؤوسهم، كأن الملائكة قد نسجته من نور.

ولكن؛ لعل أكثر ما يدهش فى الأمر، هو حضور هاتين الشخصيتين الرهيبتين، وهما موسى وإيليا، اللذان ظهرا بمجد، وتكلما عن خروجه، (خروجه من الموت إلى حياة القيامة المجيدة)، الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم.

(١) تأمل فى الأسباب التى يرجح أنها دعت إلى اختيار هاتين الشخصيتين - وخصوصا إيليا - فى هذه المناسبة الجليلة :

(١) لعل أول سبب هو لكى يشهدا بمجد الرب يسوع:

كانت أحلك ساعة فى حياته، قد اقتربت، حيث تغيب شمسه فى محيط من الخزى والعار، وكأن السماء قد تحركت، وأوفدت من قبلها هاتين الشخصيتين، ليؤكدا لأصدقائه، وليقنعا العالم، بقدر المسيح السامى الجليل. أكان ممكنا أن توفد السرافيم فى هذه المهمة؟ كلا! لأن البشر - وهم يجهلون رتبتهم - طالما بهرت أنظارهم لمجرد رؤيتهم. إذن، فالأفضل جدا، أن يرسل البعض من الأسرة البشرية، الذين قد انتقلوا إلى العالم غير المنظور، ولكن لا

---

[١] كلمة عبرانية كانت تعبر عن حضرة الله التى تجلت كسحاب أو نور منظور على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة.

تزال أعمالهم المجيدة، حية فى أذهان البشر، لكى يكون لشهادتهم قوتها وقيمتها. ولكن من ذا الذى يُختار لهذه الغاية؟

قد يبدو، بأنه ربما كان مناسبا، أن يرسل آدم الأول، ليشهد بمجد وعظمة آدم الثانى، أو إبراهيم أبو المؤمنين. ولكن هذا الامتياز، أعطى لهاتين الشخصيتين، اللتين قد تكون لشهادتهما لأهل ذلك العصر، قيمة أعظم من شهادة آدم وإبراهيم، لأنهما (موسى وإيليا) كانا يمثلان الناحيتين الجوهريتين فى العهد القديم، وهما الكتاب المقدس، ودائرة التفكير اليهودى، فموسى هو واضع الناموس، وإيليا أعظم الأنبياء.

قد يكون مستحيلا، أن نصور مقام إيليا، السامى الجليل، فى نظر اليهود وقتذاك. فعند ختان أى طفل، يحجز كرسى خاص له، وعند ممارسة الفصح سنويا فى كل بيت، كان يحجز له كأس، ليشرب خمرا، وفى بيوت الأغنياء، كان يصنع هذا الكأس من الذهب الخالص، مرصعا بالجواهر الكريمة. وكان الرأى السائد بين الجميع، أنه لابد أن يأتى ثانية، لإعلان مجى المسيا.

لهذا، فإنه إذ ظهر واقفا جانب يسوع الناصرى، مقدما إليه ما يليق، بمقامه السامى الجليل، من الوقار والاحترام، كان لظهوره هذا، أثره الفعال فى نفوس هؤلاء التلاميذ، وفى نفوس الأجيال القادمة. ولقد كانت ذكريات ذلك الولاء، الذى أظهره إيليا للسيد، هى بعض البواعث، التى دفعت بطرس أن يقول بعد ذلك بسنوات طويلة، إنه كان معاينا عظمته (٢ بط ١:١٦).

يخبرنا الفلكيون، أن شمسنا، بما يتبعها من عوالم، إن هى إلا كوكب صغير، يتبع كوكبا أعظم حجما، وأن هذه الأجرام العجيبة، تدور حول مركز متناه فى البعد، يسمى ألسيون Alcyone. إن كان الأمر كذلك، وإن كانت شمسنا العظيمة، إن هى إلا جرم صغير. فكم يكون مجد ذلك الجرم، الذى يتوسط كل تلك الأجرام السماوية؟وإن كان إيليا قد سما، وعبر بذلك المقدار، فكم تكون أمجاد ذلك البارئ الأعظم، الذى لم يكن إيليا سوى أحد خدمه الكثيرين.

(٢) ولعلنا نجد السبب الثاني في الظروف الممتازة التي فارق فيها كل منهما العالم:

فموسى لم يمت من تأثير المرض، أو فعل الشيخوخة، بل انتقل إلى السماء، وسط مظاهر ترحيب الله، وروحه قد انطلقت إلى المجد، بشكل عجيب، ودون أن يعانى آلام الموت،

بينما دفن جسده بيد الله. وإيليا لم يمت، ولم يجسر المرض أو الشيخوخة، أن ينشب أظفاره فى جسده، لم يرقد، بل تغير فى لحظة، فى طرفة عين.

نحن لا نستطيع أن نرى أسرار تلك الأرض العجيبة، التى انتقل إليها هذان البطلان، والتى عادا منها فى خدمة المخلص، ولكننا نشعر، أنه كان فى طريقة ارتحالهما، ما جعل هذا الارتحال من عالمنا، هينا ويسيرا.

(٣) على أن هنالك سببا آخر، وهو إعلانهما بأن خدمتهما قد تمت بمجئ المسيح:

كانت رسالتهما الأصلية، هى إعداد الطريق للمسيح. قال فيلبس «وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء». وقال يسوع «موسى كتب عنى». «وشهادة يسوع هى روح النبوة» (رؤ ١٩:١٠). ولكن اليهود كانوا فى خطر نسيان ذلك، فى خطر وضع أهمية فى المرسلين، أكثر مما ينبغى. لقد تعلقوا بالنجوم، حتى بعد أن بدأت الشمس تنتصف فى كبد السماء. لقد كانت علة موت استفانوس، أنهم ظنوه احتقر العهد القديم، عندما أشار بأن العهد الجديد، لابد أن يفوقه. وبطرس نفسه، فكر فى أن يساوى موسى وإيليا بمعلمه، عندما طلب أن تصنع ثلاث مظال؛ واحدة لكل منهم. لم يكن ممكنا أن يتم هذا، ولذا ارتفع موسى وإيليا فى سحابة، ثم «وجد يسوع وإذا صوت الله يرن فى آذان بطرس ورفيقه معلنا إياهم أن لا يسمعوا إلا يسوع وحده».

وكأنى بالله قد قال لهم، منتزعا من عقولهم، اعتقاداتهم العتيقة، كما سمعتم للناموس والأنبياء، هكذا الآن، استمعوا لابنى. لا تضعوا أنفسكم تحت الناموس بعد، ولا تكتفوا بالأنبياء، مهما سمت مبادئهم، ومهما كانت كلماتهم، نارية ملتهبة، بل قدموا إليه كل الإكرام والإصغاء، اللذين كنتم إلى الآن تحتفظون بهما إليهم. انتقلوا من الخيال إلى الحقيقة، ومن الرمز إلى ملء الكمال. لقد ارتحلوا، ولم تبق إلا القوة، التى صيرتهم نافعين ومثمرين.

ونحن أيضا ينبغى أن نصعد أحيانا إلى جبال التجلى، ونرى أحباءنا يتوارون عن أبصارنا، ثم نعود إلى العالم، الذى وضع كله فى الشرير، ولكن، لنتذكر بأنه إن كانت قلوبنا قد حرمت من أحبائنا، فما ذلك إلا لكى نلتفت إلى يسوع، فنجد فيه كل كفايتنا وفوق الكفاية. ففيه الكفاية لكل قلب، مهما كان موحشا ويائسا وحزينا. فيه كل الكفاية للسماء، ولا شك أن فيه الكفاية للأرض أيضا. وكل ما نراه من الخير فى أى بشرى، إنما هو مستمد منه. ومهما

انتقل الواحد بعد الآخر، فلا تزال لنا كنوز لا تنضب، ولا زلنا نستطيع أن نحارب كل الشياطين التى تنتظرنا أسفل الجبل، ولو لم نجد «سوى يسوع وحده».

لعل هذه بعض الأسباب، التى دعت لظهور هذين البطلين على جبل التجلى، إذ وقفا عليه إلى لحظة، وعادا إلى أرض المجد التى أتيا منها، ثم شهدا لعظمته، وانسحبا، لكى لا يوجه الاهتمام الذى أثاره حضورهما إلى شخصيهما، بل يوجه فى الحال بقوة، إلى شخص يسوع المسيح.

(٢) تأمل فى موضوع حديثهما :

لم يتحدثا عن آخر أخبار السماء، ولا عن ماضيهما العجيب، ولا عن المستقبل البعيد، بل «عن خروجه الذى كان عتيدا أن يكمله فى أورشليم» عن قريب.

إن الشخصيات العظيمة، تحب التفكير فى المواضيع العظيمة، وأى الموضوعات كان أعظم من موته العجيب، وقيامته المجيدة، اللذين كان سيمتد أثرهما فى كل العوالم، بعد أن يجلبا على ابن الله خزيا وحزنا، لا تدركهما العقول البشرية؟ وهنا، نرى موسى وإيليا، يسبقان أعظم مفكرى البشرية - جاليليو، وكبلر، ونيوتن، وملتون، وفاراداى، الذين كانوا يتطلبون فى رسالة الصليب، ما يتفق وعقولهم الجبارة.

لقد كانت السماء مشغولة بهذا الموضوع. فالملائكة تركت كل اهتمام آخر وصارت ترقب - بتعجب ولهفة ورهبة ومحبة - كل خطوة نحو النهاية المحتومة. ألست تظن أن الحياة كلها فى السماء، وقفت منذهلة أمام هذه المأساة المحزنة؟ إذن، فقد كان طبيعيا أن يتحدث هذان الشخصان عن هذا الموضوع الخطير الواحد، الذى كان يشغل العالم الذى أتيا منه توا.

لقد كان خلاصهما متوقفا على نتيجة ذلك الموت العجيب. لو وجد هنالك أشخاص من البشر، يجسرون أن يطالبوا بحق القبول أمام الله باستحقاقاتهم، فليس من شك أن هذين الشخصين كانا من ضمنهم. ولكنهما لم يفكرا مطلقا فى أى امتياز كهذا، لأنهما، إذ تطلعا إلى ماضى حياتهما، كانا واثقين تماما من نقائصهما وخطاياهما. فموسى تذكر زلة حدة الطبع عند «مسة»، وإيليا استعاد إلى ذاكرته ضعف إيمانه وسرعة غضبه. فى الصحراء، وفى نور الأبدية، استطاعا أن يبصرا الشر والإثم فى الكثير من الأمور التى كانا يريانها صالحة ومقبولة، بحسب نور الأرض الضئيل. إذن، فلم يكن هنالك أى استحقاق فى شخصيهما. وكان رجاؤهما الوحيد فى الخلاص متوقفا - كخلاصنا نحن أيضا - على غلبة

ناظريه، وشاغلا لتفكيره على الدوام. فكثيرا ما تطلع عن بعد، إلى ساعة موته. لأنه؛ لأجل هذا قد جاء. أما الآن، فإنها قد اقتربت جدا. إذ كان واقفا فى ظلال الصليب. ولابد أنه قد سره جدا أن يتحدث مع هاتين الشخصيتين الكريمتين، الساميتين، عن النواحى المتعددة للسرور الموضوع أمامه.

ولعل موسى قد ذكره، بأنه إن كان، كحمل الله، ينبغى أن يموت، فإنه، كحمل الله أيضا، ينبغى أن يفدى ربوات لا حصر لها. ولعل إيليا، قد بين مقدار المجد العظيم الذى سوف يرجع إلى الآب. هذه الأفكار كانت معلومة تماما، وماثلة دواما فى ذهن المسيح، ولكنها لا شك قد أبهجته، عندما تساقطت من أفواه الآخرين، ولا شك أن نفسه قد ازدادت بهجة، عندما تحدثا عن مجد القيامة، التى كانت عتيدة أن تعقب موته.

لنتعلم من ذلك؛ كيف ينظر البشر إلى عمل المسيح فى نور الأبدية.

إنهما لم يتحدثا عن سر التجسد الإلهى، ولا عن محبة المسيح للبشر، أثناء حياته على الأرض، ولا عن عمق تعاليمه، كانت كل هذه الحقائق ثانوية بجانب موته. هنا – فى موته – نجد أعجوبة الأعاجيب التى أتمها فى جسده: هنا تتمثل صفات الله، بأجلى صورها، وأكمل معانيها. هنا نجد الحل الوافى لمشكلة خطية البشرية، وخلاصها. هنا؛ نجد المفتاح لأنين الخليقة وتمخضها. هنا؛ غرست بذار السماء الجديدة، والأرض الجديدة، التى يسكنها البر والسلام. هنا؛ نقطة الاتحاد بين كل العصور، وكل العهود، وكل الكائنات، وكل العوالم. هنا؛ اختلط البشر مع الملائكة.. أنفس الراحلين، مع أشخاص المجاهدين، بطرس، ويعقوب، ويوحنا، مع موسى، وإيليا. والكل مع الله العظيم، الأبدى نفسه، سمع صوته نازلا بالبركة من السماء المفتوحة.

ونحن كلما اقتربنا من الصليب، وازددنا تأملا فى خروجه الذى تم فى أورشليم، ازددنا اقترابا من مركز الأمور وجوهرها، وازددنا تناسقا مع أنفسنا، ومع أنفس سائر القديسين، ومع الله نفسه.

تسلق إذن ذلك الجبل، برهبة مقدسة، مرارا كثيرة، على قدر استطاعتك. واذكر أنه لم توجد فى كل الكون، نفس اهتمت بالوصول إلى أسرار ومعانى موت مخلصنا، أكثر من ذلك النبى الجليل، الذى لا يطمع إلا فى الشرف الأعظم بأن يقف بجوار المحبوب إلى الأبد، كما فعل على جبل التجلى، برهة وجيزة.





يمتلئ من الروح القدس (لوقا ١: ١٥ و١٧)

أى شئ، لا يستطيع أن يفعله إنسان واحد، فى مدى الحياة القصيرة الواحدة؛ إن كان راغبا كل الرغبة، فى أن يكون آنية يوصل بها الله قوته إلى البشرية؟ لا شك فى أن الفائدة التى ترجى من حياة كهذه، لا حد لها. هنالك - فى الطرف العلوى - كل ملء الله اللانهائى، وهنا فى الطرف السفلى - حاجة البشر المحزنة، وفقرهم المدقع، إثمهم، وضعفهم، وإفلاسهم، وسقمهم. وكل ما يتطلبه الأمر؛ قناة توصل بين الطرفين. وعندما تعد هذه القناة؛ وتفتح، وتخلى من كل الأوحال، والقاذورات، يضمن وصول ملء الله، بقوة وغزارة، لنفوس البشرية، الخالية الخاوية. فلماذا لا تكون حياتك قناة كهذه؛ أيها القارئ العزيز؟

يوجد تشبيه جميل لهذه الحقيقة، فى حياة إيليا، الذى نكاد الآن، نودعه فى هذا السفر. لأكثر من مائة عام، كل تيار الشر، يتعالى ضد حق الله. فقد تطورت الوثنية من عبادة عجول يربعام، إلى عبادة البعل، وعشتاروث، مع ما كان يتبع ذاك، من أقذر العادات، وأوفرها رجسا، وفسادا، مما انتقل إليهم من العبادة القديمة، لقوات الطبيعة. وقد استطاع الكهنة، بمكرهم ودهائهم، أن يبقوا على هذه العبادة، وينشروا الدعاية لها، فى دائرة فسيحة الأرجاء، بما كان لهم من النفوذ الذى لا حد له، على عامة الشعب.

وفوق ذلك، فقد كان البلاط الملكى يسندهم، ذلك؛ لأن الجالس على العرش، كان رجلا ضعيفا، خانعا، أمام دهاء زوجته الفاتنة، الماكرة، التى كان مثلها فى تاريخ اليهود، كمثل لادى مكبث. [١] وكانت مذابح يهوه، قد تهدمت، وأنبياؤه كمت أفواههم ودخلوا مخابئهم، وبنوهه الأمناء، جماعة قليلة جدا، متوارية، فلم يعلم بهم أحد سواه. وفتيلة الحق كادت تنطفئ. ولم يبق فيها إلا شعاعة ضئيلة جدا من النور، كأثر للديانة الحقة التى كانت تضئ بنورها الوهاج.

---

[١] إحدى شخصيات رواية شكسبير الشهيرة «ماكبث» (مكتب المحبة)

وسط تلك الظروف؛ أتى إيليا، غير مسلح، من موطنه فى التلال، التى فى عبر الأردن. وقد كان من سكان الجبال، خشنا، غير مصقول، ليست لديه أقل دراية، بآداب قصور الملوك، ولم يتعلم فى إحدى المدارس، زد على ذلك، أنه كان ضعيفا، كما نحن ضعفاء، مجربا، كما نحن مجربون، تحت الآلام، مثلنا فى كل شئ.

وللحال، ابتدأ التيار يتحول. فقد وقف تقدم العبادة الوثنية، وبدأ يهوه يعرف بين الجميع، وبدأت قوته تظهر بأجلى وضوح، وبدأت الشجاعة تدب فى قلوب البقية الباقية من أولاد الله الأمناء، الذين كان الخوف والجبن، قد ملأ قلوبهم، والمذابح رممت، والكليات فتحت، لتهذيب الشبان الأتقياء. وعين الشخص الذى سيخلفه، وبدأ حق الله يزداد قوة، الأمر الذى استمر إلى عدة أجيال.

لعل أعظم ما يشهد لقوة إيليا بين معاصريه، هو أن اسمه وعلمه، ظلا بارزين، يرن صداهما مدى تسعة أجيال، بعد موته. وفى ذلك، فاق كل أنبياء اليهود، وفوق هذا، فإنه قدم مثالا بين به قوة وشجاعة مهيئ الطريق للمسيح، فإن الروح القدس - متكلما فى ملاخى آخر الأنبياء - لم يجد وصفا أفضل لسابق المسيح، وممهد الطريق له، من أن يشبهه بذلك النبى العظيم، الذى انتقل إلى السماء فى مركبة نارية، منذ عدة أجيال «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجئ يوم الرب العظيم والمخوف» (مل ٤:٥).

والملاك العظيم جبرائيل، إذ وقف وسط البخور الصاعدة من مكان القدس، بعد ذلك بأربعمائة سنة، لم يجد وسيلة أسهل ينقل بها إلى ذلك الكاهن الشيخ، شكل الابن العجيب، الذى سيبتهج به فى شيخوخته، من أن يشبهه بإيليا «ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته» (لو ١:١٧).

وكلما حدثت نهضة دينية قوية فى البلاد، كان الشعب يظنون فى الحال، أن نبى الكرمل، قد عاد إلى الأرض، ولهذا؛ عندما جاء الرجال الموفدون من قبل اليهود، للسؤال عن يوحنا المعمدان، سألوه قائلين «إيليا أنت؟» وعندما جاء من هو أعظم من يوحنا، وتحركت له كل القلوب، اعتقد الكثيرون من عامة الشعب، أن رجاء الأجيال الطويلة ،قد تحقق، وأن إيليا قام من بين الأموات.

وكان الرأى السائد، أنه لا يليق من بين مولودى المرأة، من يتقدم المسيح سواه، وأنه

سوف يتقدمه بثلاثة أيام، ينادى فيها - بصوت عال تسمعه كل الأرض - بالسلام، والسعادة والخلاص.

كل هذه الأمور، تنطق بعظمة أخلاق إيليا، وصفاته، وأعماله التى لا تبارى. ورغم السقطات والأخطاء التى كان معرضا لها، كبشرى، فقد كان شخصية عظيمة، وعملا عظيما. لم يكن السر فى كل ذلك، فى بعض الصفات الموروثة، بل؛ فى امتلائه من الروح القدس.

لنقف هنا برهة، لنسأل أنفسنا إن كنا، بعد إمعان الروية، وبعد تفكير دقيق، نصدق على هذه الحقيقة. إن كان الجواب سلبيا، فإننى اعتبر أن جزءا كبيرا من المجهود الذى صرف فى كتابة هذا الكتاب، وفى قراءته، ضاع هباء، لأن غايتنا الوحيدة، هى توطيد دعائم هذه الحقيقة. أما إن كان إيجابيا، فلنعزم، قبل أن نختم الحديث، عن تاريخ هذه التشخصية المقدسة، المؤثرة، على أن لا نهدأ، قبل أن نمتلئ من الروح القدس. لا يكفى أن نكون مجرد مقلدين، بل؛ لنسع حتى نمتلئ من نفس الروح، لكى يعود فيعمل فينا عجائب الماضى.

إن سُمح لى، فإننى أتجاسر وأقول: إن الله فى حاجة قصوى، إلى أشخاص ينكرون ذواتهم، ويرغبون فقط، فى نوال قوته، ليكونوا قنوات توصل هذه القوة للآخرين. إنه مستعد أن يستلم حياة الشبان والشابات، الشيوخ والأحداث، العبيد والإماء، فى أيامنا الحاضرة، ويملأهم بنفس الروح الذى كانت قوته، وقفا على أشخاص قليلين، معينين.

وفضلا عن كل هذا، فإن الأمر الإيجابى الصريح، الذى أمرنا به الكتاب «امتلئوا بالروح» (أف ٥:١٨) لم ينس قط، بل لا يزال قائما. وغنى عن التأكيد، أن الذين يشعرون فى أنفسهم بأنهم ملتزمون بحكم الجزء الأول من هذه الآية [١] بالامتناع عن المسكر، يجب أن يشعروا بأنهم ملتزمون على حد المساواة بما ورد فى الجزء الأخير من الآية الذى يأمرنا فيه الوحى بالامتلاء من الروح.

علاوة على هذا، فإن الله مستعد أن يتمم من جانبه كل ما يلزم لتنفيذ ما يأمرنا به، وعندما نمتلئ من الروح القدس، كيوحنا المعمدان، فإن كلامنا أيضا كيوحنا المعمدان «يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيئ للرب شعبا مستعدا».

---

[١] نص هذه الآية هو: «لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح».

(١) كان الامتلاء من الروح القدس من مميزات الكنيسة :

ففى يوم الخمسين امتلأ الجميع من الروح القدس، نساء ورجالا، تلاميذ خاملى الذكر، ورسلا أقوياء، لضمان عدم تسرب الخطية إلى حياتهم، الأمر الذى نحن معرضون له جميعا مع الأسف الشديد. كان يتكرر امتلاؤهم من الروح القدس مرارا. فالذين قيل عنهم فى (أع ٤:٢) أنهم امتلأوا من الروح القدس، ذكر عنهم ثانية فى (ص ٤:٣١) أنهم امتلأوا من الروح القدس، والداخلون إلى المسيحية حديثا كشاول الطرسوسى، كانوا يؤمرون بأن ينتظروا إتمام هذا الامتلاء المبارك، والشمامسة الذين كانت مأموريتهم مجرد إتمام الخدمة الإدارية فى الكنيسة كان يجب أن يختاروا من الأشخاص المملوئين من الروح القدس.

ولم يجد ما يوصف به برنابا خيرا من أن يقال عنه إنه «كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس» (أع ١١:٢٢)، فقد كان ذلك أفضل من أن يوصف بأنه باع حقله وقدم ثمنه (أع ٤:٣٧) وحتى الكنائس - ككنائس مرتفعات غلاطية - كانت حالما تؤسس بمجهودات بولس الرسول، تمتلئ من الروح القدس.

والواقع أن المسيحيين فى القرن الأول كان يطلب منهم أن ينتظروا هذا الامتلاء المبارك. والكنيسة الأولى؛ كانت مجموعة أشخاص مملوئين من الروح القدس. كانت القاعدة أن الجميع كانوا ممتلئين من الروح القدس، ويندر أن يكون لهذه القاعدة استثناء. أما اليوم، فقد انقلب الوضع رأسا على عقب، فصارت القاعدة استثناء، والاستثناء قاعدة.

إن كان لا يوجد اختتام رسمى لسفر الأعمال؛ فذلك لأن الله قصد أن تستمر الرواية طول الأجيال على نفس المثال. يجب أن لا تتوهم بأن الله يشبه قوما يضعون الأعمدة الرخامية لبناء الذى لا يستطيعون تكملته إلا بالطوب العادى ، وهو لم يعط فى يوم الخمسين تلك القوة التى لا يريد أو لا يمكنه أن يجعلها تستمر، فيوم الخمسين لم يقصد به إلا أن يكون عينة ومثالا لكل الأيام فى كل العصور.

وإن كان عصرنا يبدو بأنه بعيد كل البعد عن هذا المستوى السامى، فليس ذلك بسبب أى تقصير أو عجز من قبل الله. حاشا، بل لأن الكنيسة قد أهملت هذا التعليم المقدس. ويخيل إلىّ أن المسيحيين اليوم يتوهمون بزن الامتلاء من الروح القدس كان امتيازا منح لجماعة قليلة، ولذلك؛ فإن معظمهم لا يفكرون مطلقا فى أن هذا الأمر فى مقدورهم، وأصبحت

الكنيسة مشلولة لخلوها من القوة التى تستطيع بها وحدها أن تغلب فى جهادها ضد العالم - تلك القوة التى وعدت بها صراحة عند صعود الرب إلى السماء.

إننا لن نستطيع أن نسترد مكانتنا، ونأخذ مركزنا اللائق بنا، ما لم ير جميع المؤمنين أن موعد الامتلاء من الروح القدس هو لهم بنفس المقياس الذى كان للكنيسة الأولى، وأن الحواجز التى كانت تحتفظ بتلك القوة لجماعة قليلة قد تحطمت. نحن لا نطلب هبوب ريح عاصفة، ولا نطلب اندلاع ألسنة نارية، ولا نطلب المواهب الخاصة التى أعطيت لأغراض خاصة، فهذه زمور ثانوية لهذا الملء، نستطيع الاستغناء عنها. أما الذى لسنا فى غنى عنه، والذى يجب أن لا نحلم بالاستغناء عنه، فهو الامتلاء الواضح من الروح القدس. لا شك أنه حال فينا بقوة، لا كمجرد النسيم، بل كريح قوية، ولا كمجرد قناة ضئيلة، بل كتيار جارف، لا كمجرد تأثيره البدائى فى حياتنا، بل شخصه القوى المقتدر المحيى.

(٢) يجب أن نتمم بعض الشروط إن أردنا الامتلاء :

(أ) يجب أن تكون الرغبة فى الامتلاء هى لمجد الله:

أخبرتنى إحدى السيدات مؤخرا أنها طالما طلبت قوة الروح القدس، ولكن بلا جدوى، وأنها لم تدرك علة فشلها إلا بعد أن أدركت أنها إنما كانت تطلبها بسبب السعادة التى سوف تنتج عنها، لا لكى يتمجد الله بها. لهذا، يجب أن نطلب تلك القوة، لا طمعا فى السعادة أو العزاء، حتى ولا ابتغاء ازديادنا فى عمل الخير، بل لكى يتعظم المسيح فى أجسادنا؛ سواء كان بحياة أم بموت (فى ١: ٢٠).

(ب) يجب أن نحضر إليه أوانى نظيفة:

الله لا يسمح بأن يودع أثمن عطاياه فى أوان نجسة؛ ونحن فى حاجة إلى أن نظهر فى الدم الكريم قبل أن ننتظر بأن يستجيب الرب طلبتنا. لا يمكن أن نتوقع بأن نخلى من الخطية الساكنة فينا، ولكننا يمكن على الأقل أن نغتسل فى دم المسيح من كل الأدران والأوساخ.

(ج) يجب أن نكون مستعدين للسماح للروح القدس بأن يعمل فينا وبنا كما يريد:

يجب أن لا يكون هنالك أى تحفظ بأى شئ، بل لنفتح له كل القلب، ولنسلم له كل عضو فى أجسادنا. يقضى أحد قوانين الطبيعة باتجاه القوة إلى أقل النواحى مقاومة. علينا

أن لا نقاوم عمل الروح القدس بأى حال من الأحوال، لأن أقل الأشخاص مقاومة أشدهم قوة وبأسا، والله يعطى الروح القدس «للذين يطيعونه» (أع ٥: ٣٢).

(د) يجب أن نحصل على الملء بالإيمان:

لا داعى للانتظار عشرة أيام، لأن الروح القدس قد أعطى للكنيسة ضمن البركات التى باركنا بها الآب فى المسيح يسوع، ولا داعى للجهاد العنيف والاكتئاب فى التوسل؛ فإن كل ما علينا هو مجرد قبول ما خصنا الله به، وما ينتظر أن يعطينا إياه. افغر فاك فيملأه، انقر الحفر فتمتلئ، ولو لم تستطع أن تبصر أية علامة من علامات الفيضان. اطلب كما يطلب الطفل غذاءه الموضوع فعلا على الطاولة، وحالما تطلب، فإنك تأخذ ولو لم تحس بنشوة الفرح. سر فى طريقك واثقا بأنك قد امتلأت، سواء أحسست بذلك أو لم تحس.ولابد أنك تدرك على مر الأيام أنك قد امتلأت، وأنك مستمر فى الامتلاء بقوة جديدة، وفرح جديد، وثروة جديدة، ثم اعلم بأنك سوف لا تترك طويلا فى انتظار الإيمان، لأنك ستدرك أن قوة تخرج منك لتشفى وتخلص.

(٣) يعوزنا الوقت لإحصاء كل البركات التى نحصل عليها بعد الامتلاء :

إن حلول الروح القدس فى القلب بكل ملئه المجيد، لا يمكن أن يخفى، ولكنه يعلن عن ذاته، كما تعلن عن ذاتها النار الدائمة الاشتعال فى بيت تربية النباتات بالحرارة الصناعية، وذلك الإعلان يكون فى حياة الزهور الرائعة الجمال التى لا تظهر إلا فى المناطق الحارة، مع أن الصقيع والثلوج، تملأ الجو فى العالم الخارجى.

سوف لا يحتاج إلى مجهود، ولا يصارع للحصول على نتائج عظيمة، ولا يتظاهر، يقطر كالندى على العشب، وينزل كأمطار الصيف على الزرع.

وهذا الوصف عن عمله تعلمنا إياه صراحة تلك الكلمات التى اختارها الرسول ليصف بها نتائج سكناه، فإنه يتحدث عنها كأنها «ثمر الروح» عند مقارنتها بـ «أعمال الجسد»، ويا لها من معان جميلة عميقة تضمنتها هذه العبارة، إذ تعبر عن النمو الهادئ، والجمال الرائع، والحياة الحرة، التى تنمو نموا مستمرا.

ولا يسعنا فى هذه العجالة، إلا أن نذكر بعض نتائج حلول الروح القدس وسكناه فى القلب:

(أ) النصرة على الخطية :

فناموس روح الحياة فى المسيح يسوع يعتقنا ويحررنا من ناموس الخطية والموت، كما أن ناموس المرونة فى الهواء يعتق الطير من ناموس الجاذبية الذى يحاول إسقاطه على الأرض.

(ب) حلول الرب يسوع المسيح فى القلب :

إن المسيح يسكن القلب بالروح القدس، وليس معنى ذلك أنه يوجد مسكنان فى القلب، أحدهما للمسيح والآخر للروح القدس، بل مسكن واحد، وليست هذه الإقامة رمزية أو تصويرية، بل هى حقيقة فعلية مجيدة.

(ج) إحياء الجسد الفانى :

وهذا التعبير يشير بلا ريب إلى القيامة. على أنه يشير بنوع خاص إلى القوة والحياة اللتين توهبان لأجسادنا الفانية التى هى هياكل لسكناه.

(د) كل بركات الروح :

التى تأتى مرتبطة ببعضها، لأنه لا يمكن حلول إحداها دون أن تجر وراءها سائر رفاقها. فالمحبة تنشئ فرحا، والفرح سلاما، والسلام صبرا، وهكذا دواليك فى كل السلسلة، وبذلك يمتلئ القلب بالملائكة، كما امتلأ قبر المسيح.

(هـ) قوة للخدمة :

فالرسل قد انتزع من قلوبهم كل أثر للجبن والخوف، وأدوا الشهادة بكل قوة. إن الشفاه المقدسة والنفوس المكرسة هى التى توصل رسالة الإنجيل بقوة. ومتى حل الروح القدس هربت الشياطين وأتت الجماهير الكثيرة عند أقدام المسيح.

أيها القارئ العزيز! إن كل هذا وأكثر منه، ينتظرك عندما تحصل على امتيازك وتمتلئ من الروح القدس. وعلى مر الأيام، تجد نفسك قد صنعت قوات لخلاص الآخرين، دون أن تبالى بمدح الناس أو انتقادهم. ربما يكون من نصيبك الاختطاف لملاقاة المسيح فى الهواء. ولكن، يقينا، إنك سوف تقف بجواره فى التجديد عندما يظهر فى المجد؛ وعندئذ، لا يحول

شئ نظرك عن «يسوع» (لو ٩:٣٦)، وسط ذلك الجمع الحاشد، ولا أفكارك عن التأمل فى «الخروج الذى أكمله فى أورشليم» (لو ٩:٣١).

وسط ربوات الكواكب التى سوف تضئ إلى الأبد فى كبد السماء، سوف لا يوجد ألمع ولا أمجد من إيليا الذى كان إنسانا تحت الآلام مثلنا، والذى بالإيمان، قهر ممالك، صنع برا، نال المواعيد، تقوى من ضعف، صار شديدا فى الحرب، انتقل إلى السماء دون أن يمسسه الموت، ووقف بجوار المسيح على جبل التجلى.

الوداع أيها النبى النارى، وإلى اللقاء فى المجد.



فهرست

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة



كتب للمعرب

للدكتور ف. ب. مار

حياة إبراهيم – حياة إيليا – حياة إرميا – حياة يشوع – حياة داود – حياة زكريا – حياة بطرس – حياة بولس – حياة يوحنا المعمدان – حياة موسى – المسيح فى إشعياء – تفسير رسالة فيلبى – شـهادة علم الآثار للكتاب المقدس – مزمور الراعى – أسرار الحياة المسيحية – مخلصون ومحفظون – أضواء على الحياة اليومية.

لمتى هنرى:

تفسير رسالة روميه – تفسير نشيد الأنشاد – تفسير سفر الجامعة – تفسير هوشع – تفسير نحميا – تفسير إنجيل متى.

لأثناسيوس الرسولى:

تجسد الكلمة – رسالة إلى الوثنيين – رسالة عن الروح القدس – حياة أنبا أنطونيوس.

ليوسابيوس القيصرى:

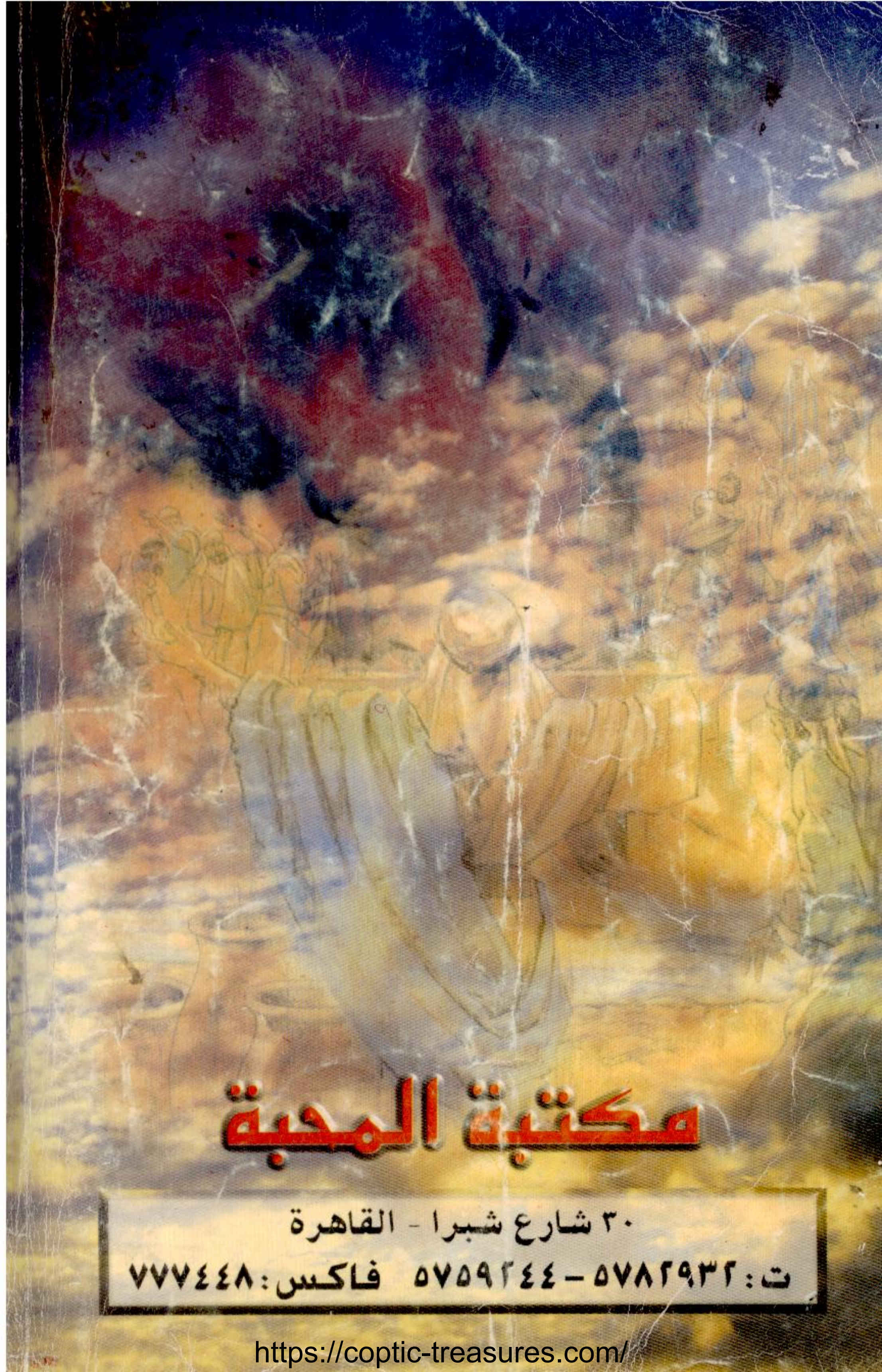
تاريخ الكنيسة – كيف ندرس الكتاب المقدس – القراءات اليومية فى الكتب السماوية.

☩ ☩ ☩

تفسير قداس الكنيسة : (انكليزى وعربى)

أمثلة المسيح: حسب إنجيل مرقس – حياة المسيح – الكهنوت – الذبائح: هودجكن.

☩ ☩ ☩



مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة
ت: ٥٧٨٢٩٣٢-٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٧٧٧٤٤٨